دراسات كردية

مجلة فصلية تصدر عن مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية. العدد 4 خريف 2014

رئيس التحرير :

طه خليل

مدير التحرير :

شاهوز حسن

المحررون :

عدنان مصطفى

بسام خلو

القسم الفني والتصميم :

عبد الله سعدون

آزاد محمد

هەواڵنامەی کتێب

تتم كافة المراسلات باسم رئاسة التحرير على البريد الالكتروني التالي :

kovar.lekolin@gmail.com

لزيارة الموقع الالكتروني :

www.nrlsonline.com

العدد الرابع – خريف 2014

المحتوى

الاساس القانوني لنشأة الدول 6

بشير غزال

الحرب على كوباني 11

اعداد : عبدالله سعدون

دراسة عن نينوى ولاية الموصل تاريخياً وسياسياً 18

اعداد: بسام خلو-منال حج علي

كردستان في منعطفات تاريخية.....29

برادوست ميتاني

جدل الانفصال والوحدة 42

د. سربست نبي

الدوغما الفكرية – الإرهاب الفكري 48

د. محمود خليل

تجربة روج آفا في الاقتصاد الاجتماعي : الأسس والمبادئ.....56

الدكتور : أحمد يوسف

الأسس التاريخية والأبعاد القانونية للقضية الكردية في سوريا 62

شهناز شيخة

ماهي الفيلية ومن هم الفيليون ، وما هي درجة كرديتهم.....66

دارا المندلاوي

التشاركية ، بين مطرقة العولمة وسندان النموذج 71

د . عبدالعزيز صالح داوود

الكرد في سوريا من خلال وثائق عثمانية 84

شتيفان فينتر

كلمة العدد

لاسباب خارجة عن إرادتنا تأخر عددنا هذا من دراسات كردية، واذا نعتذر لقرائنا ومتابعينا عن هذا التأخير فاننا نعدهم بان المجلة ستصدر كما خططنا لها من قبل، حاملة هم الدراسة الاستراتيجية والتحليل لتضع لبنة وان كانت بسيطة في بناء جدار كردي استراتيجي ينظر للواقع من زاوية أخرى ويحاول تركيب المعطيات والنتائج التاريخية والفلسفية لواقع ثقافي عانى مطولا من الاهمال والنسيان.

في عددنا هذا مررنا بتجربة روج أفايي كردستان وتجربتها في بناء إدارة ذاتية ديمقراطية من خلال رؤيتها الاقتصادية وبناء هرم مؤسساتي اقتصادي كفيل بدفع عجلة النمو والتطور في روج أفايي كردستان التي عانت من التهميش والتجويع والنهب على مدى عقود طويلة نتيجة لسياسات عنصرية ارتكبت وطبقت بحق شعبنا الكردي، رغم ان أرض روج أفايي كردستان تعتبر منبعا للغنى والتنمية بكل المعاني بشريا واقتصاديا.

كما اننا حاولنا المرور بالتاريخ، التاريخ الذي ورد الينا على الدوام كمجرد سرد لأحداث وقعت دونما الالتفات الى ماهية التاريخ كفلسفة ونتائج لممارسات كانت تقع وتمارس من قبل أطراف عديدة، كان همها الاول والاخير طمس كل ما يمت بحقيقة الشعب الكردي وكردستان، من كتابة تاريخ منقول عن كتبة عنصريين وقوميين بنوا دولهم القومية على شعارات فاشية وعنصرية مارست لابادة بحق كل القيم الحضارية التي عاشتها ارض كردستان وميزوبوتاميا.

بقلم :

رئيس التحرير

ولان روج افايي كردستان تتعرض ومنذ اكثر من سنتين لهجمة شرسة من تنظيم ارهابي ظلامي متمثل بداعش فكان لا بد لنا من دراسة حرب داعش على شعبنا وغاياتها واسسها و وسائلها، الحرب التي اكتملت مؤخرا بابشع صورها في الحرب القذرة التي شنت على مدينة كوباني الكردية، والتي صارت رمزا للوجود الكردي في القرن الحالي، فكانت المقاومة التي ابداها شعبنا في كل اجزاء كردستان و وقوفهم الى جانب وحدات حماية الشعب و وحدات حماية المرأة انما مثالا حيا لإرادة الانسان الكردستاني الذي لم يعد ينحني امام مخططات الاعداء الكلاسيكيين، بل حول هجمات داعش وداعميها من الانظمة الغاصبة لكردستان الى هزيمتهم عسكريا ومعنويا، وسطر ملاحم جعلت العالم كله يقف احتراما لتلك المقاومة ، المقاومة التي طبعت جبين القرن الواحد والعشرين، المقاومة التي أوصلت مقاتلة كردية " نسرين عبدالله " الى قصر الإليزيه وهي ترتدي بذلتها العسكرية.

كل هذه التطورات تجعلنا نقف على حقائق التاريخ، التاريخ الذي غيب تماما، التاريخ الذي علينا مراجعة فلسفته، وقيمه، وتقاطعاته، للوصول الى فهم جديد للحالة الكردية، ثقافيا واجتماعيا وبنيويا.

دراسات كردية، تنقب في التاريخ والحضارة لبناء اساس علمي صحيح، وبالتالي الوصول لمنهج دراسي وبحثي يتناول المفهوم الثقافي الأرحب في كردستان.

رئيس التحرير.

الاساس القانوني لنشأة الدول

بشير غزال

ثمة أسئلة تتكرر: من اين اتت السلطه؟ وكيف تشكلت الدول ؟ وما هي اركان السلطه ؟ ولماذا تتواجد حكومات ديكتاتوريه وأخرى ديمقراطيه ؟

سنحاول الاجابه على هذه الاسئله من خلال بيان الاساس القانوني لنشأه الدول من خلال المباحث الاربعه التاليه:

أولاً: النظريات الغير عقدية (الدولة ظاهرة طبيعية)

ثانياً: النظريات العقدية (الدولة ظاهرة عقديه)

ثالثاً: النظرية المؤسساتية (الدولة ظاهرة مؤسساتية)

رابعاً: نظرية العصرانية الديمقراطية

ان تحديد الاساس القانوني لنشأه الدول أخذ حيزا كبيرا من الجدل الفقهي، حيث ظهرت الكثير من النظريات التي حاولت شرح او إيجاد اساس قانوني لنشأه الدول، وقد ركزت أغلب هذه النظريات على ركن واحد من اركان الدولة وهو ركن السلطة.

فهناك نظريات أعتبرت أن نشأة الدولة كان نتيجة للتطور الطبيعي، وذهبت بعض النظريات إلى ايجاد اصل نشأة الدوله على اساس عقدي، وبعض الاخر من النظريات ترجع نشأة الدولة إلى الفكر المؤسساتي ، وكان أخر هذه النظريات والتي أحدثت زلزالا على أرض الواقع والتي فجرها السيدعبد الله اوجلان وهي نظريه العصرانيه الديمقراطيه.

أولا : النظريات الغير عقديه

تقوم هذه النظريات على ان الدولة ظاهرة طبيعية حيث ترجع اساس نشأة الدولة إلى عوامل تاريخية واجتماعية واقتصادية. وفي هذا الاطار يمكننا ذكر النظريات التالية مع ذكر تعريف لكل منها:

1- نظرية القوة:

ترجع هذه النظرية أصل الدولة إلى القوة والعنف والصراعات التي نشبت عن الجماعات الاولية، وذلك من خلال أن الجماعات الاولية كانت تعيش في حالة صراع مستمر فيما بينها وقد ادى هذا الصراع إلى غلبة جماعة على غيرها من الجماعات وفرضت هذه الجماعة الغالبة إرادتها على البقية فوجدت الدولة.

2- نظرية التطور التاريخي:

ترجع هذه النظرية اساس نشأة الدولة إلى عدة عوامل كالعوامل الاقتصادية والتاريخية والاجتماعية والدينية، وتختلف أهمية هذه العوامل من دولة لأخرى تبعا لطبيعتها وتاريخها. وقد لاقت هذه النظرية قبولا لدى بعض فقهاء القانون الدستوري وعلى رأسهم بوردو ليون ديجي والذي ربط هذه النظرية بنظرية القوة.

3- نظرية الماركسية :

تقوم الماركسية كإيدلوجية وكمذهب سياسي على اساس التفسير المادي أو بالاحرى الاقتصادي للتاريخ، أو مايعرف بالمادية التاريخية . فالتاريخ البشري هو صراع دائم بين الطبقات، الطبقة المسيطرة والطبقة المقهورة.

وحسب ماركس الدولة من البنى الفوقية للمجتمع هي نتاج وانعكاس للبنية التحتية والتي اساسها طرق الانتاج . فطرق الانتاج هي التي تحدد العلاقات بين الطبقات الاجتماعية ، وهذه العلاقات وضعت فيما بعد في أطر البنية الفوقية (الدولة، القانون، الاخلاق، الدين، الايدلوجية) وكان هدفها الاول تحديد هذا الاطر وجعلها ملزمة، والدولة بهذا المفهوم هي أداة بيد السلطات المستثمره، وذلك للمحافظة على سيطرتها، فالدولة أداة أضطهاد وليس إلا. ولذلك ومن اجل حرية الانسان وكرامته لابد من اختفاء الدولة بشكلها هذا . فماركس يريد هدم الدولة، وذلك من خلال مهاجمة الاسباب التي أدت إلى ظهور الدولة . أي عن طريق تغيير طرق الانتاج من خلال إلغاء الملكية الفردية كأداة أو وسيلة للإنتاج. ففي اليوم الذي تصبح ملكية أدوات الانتاج جماعية تختفي الطبقات المستغلة، والدولة لم تعد أداة للإضطهاد، وبالتالي لم يعد لوجود الدولة سبب..؟ لذلك لابد من زوال الدولة. وماركس لايريد زوال الدولة بشكل كامل، ولكن فقط زوالها بوظيفتها السياسية والتغير الجذري في طبيعتها.

لكن لينين أضاف الكثير إلى النظرية الماركسية، فعمل لينين على بناء نظريته المؤسسة على ديكتاتورية البروليتاريا . فحسب لينين ليس من الضروري تغيير طبيعة الدولة كأداة أضطهاد ولكن فقط وضع قوة الأضطهاد في خدمة الطبقة المسيطرة الجديدة وهي البروليتاريا، والتي يجب أن تمارس الاضطهاد، ضد الطبقات القديمة المستغلة حتى الاختفاء التام لهذه الطبقات. هذه البروليتاريا الجاهلة من الناحية السياسية ولاتزال خاضعة لأفكار الطبقات السابقة المستغلة لابد لها من أجل قيادة المجتمع نحو بناء الشيوعية من أن تقاد من قبل حزب شيوعي.

فمفهوم وتنظيم ودور الحزب الشيوعي يعتبر أهم ما أضافه لينين إلى النظرية الماركسية المتعلقة بمفهوم الدولة، حيث ان الحزب هو الطليعة المنظمة لطبقة الفلاحين والعمال الكادحة.

ثانيا : النظريات العقدية

ترجع هذه النظريات أصل نشأة الدولة إلى فكرة العقد، فالافراد انشأو الدولة بإرادتهم من خلال عقد اجتماعي فيما بينهم.

وفي هذا المجال ظهر ثلاثة من المفكرين الذين اختلفوا فيما بينهم حول فلسفة وآلية هذا العقد.

1- نظريه العقد الاجتماعي عند توماس هوبز (1588 - 1679)

كان هوبز يخالف ارسطو في نظريته الى كون الانسان اجتماعي بطبعه ، حيث كان يرى العكس فهو يرى بأن الانسان أناني ومحب لذاته ولا يعمل إلا بالقدر الذي يحقق مصلحته الشخصية . ومن هنا يرى أن الحياة البدائية قد سادتها الفوضى والاضطراب وسيطر الاقوياء على الضعفاء، والنتيجه التي قد تؤدي إلى فناء الانسان، إلا أنه قد حال دون ذلك كون الانسان غريزيا كان حريصا على البقاء، ولهذا السبب تولدت لدى الافراد فكرة التعاقد. وبموجب العقد يتنازل فيه الافراد عن كامل حقوقهم وحرياتهم لصالح شخص الحاكم، وبهذا يتم الانتقال من حياة الفطرة الى حياة الجماعة . ويعتبر هوبز إن هذا العقد ملزم لجانب واحد وهم الافراد فقط . أما الحاكم فهو غير ملزم بشيئ، حيث ان الحاكم لم يكن طرفا في العقد.

فهوبز يرى بوجود سلطة مطلقة وإن ظهرت لديها بعض الانحرافات بسبب غلبة العاطفة على المنطق وتقبل ذلك معللا رأيه بأن:

"السلطة هي الشيئ الوحيد الذي يقف بيننا وبين الهمجية "

فهوبز من خلال نظريته اراد إيجاد سند قانوني للحكم المطلق الذي كان سائدا في انكلترا.

2- نظرية العقد الاجتماعي عند جون لوك (1632-1704).

يرى لوك ان الافراد كانوا يعيشون حياة حرة تسودها المساواة " حالة الفطرة " ولكن الافراد أرادوا حياة افضل لهم ، وتحقيقا لذلك سلكوا طريق التعاقد فيما بينهم من اجل إقامة سلطة تتمثل في شخص أو عدة أشخاص يمثلون المجتمع بأكمله ، وعلى هذا يقول : " إن التعاقد تم بين الافراد من ناحية والحاكم من ناحية أخرى ".

أي إن العقد عند لوك ملزم للطرفين ، وبالتالي فالافراد بموجب هذا العقد لم يتنازلو عن كل حقوقهم في حياة الفطرة، بل إن التنازل الحاصل كان جزئيا با لقدر الضروري للحياة المنتظمة. والنتيجة ان لوك أراد من هذا التفسير تحقيق سلطة الحاكم المقيدة لما يتضمنه العقد من التزامات متبادلة . فالحاكم ملزم من جانبه بالمحافظة على حقوق الافراد التي لم يتنازلو عنها، والافراد ملزمون بواجب الطاعة للحاكم طالما كان هذا الحاكم يعمل وفقا للحدود المرسومة بموجب العقد ، وإذا تجاوز الحاكم تلك الحدود كان من حق الافراد الاعتراض عليه ومقاومته .

3- نظرية العقد الاجتماعي عند جان جاك روسو (1712 - 1778)

استهدف روسو بفكرة العقد الاجتماعي تنازل الافراد عن كافة حقوقهم الطبيعية التي كانوا يتمتعون بها في حياة الفطرة، وهذا التنازل لم يتم لشخص معين بالذات أو اشخاص معينين كما ذهب كل من لوك وهوبز بل أن هذا التنازل تم للمجتمع بأكمله. ويضاف إليه إن الافراد لم يفقدوا حقوقهم كليا وإنما استعاضو عنها بحقوق مدنية مضمونة وصحيحة من قبل الطرف الذي أقاموه وهو الدولة .

فالتعاقد عند روسو هو إحلال الادارة العامة الجماعية محل الادارة الفردية ، كما أن غرض التعاقد هو تنازل كل فرد عن كافة حقوقه الطبيعية للمجتمع ، وبما أن هذا التنازل يتم دون تحفظ من قبل الافراد ، فليس لأي فرد أن يطالب بشيئ وذلك لتحقيق مبدأ المساواة بين الجميع . ويضاف إلى ذلك مادام كل فرد قد تنازل عن شخصه وحقوقه فليس هناك ما يدفعه للتعدي على الاخريين ، وفي ذلك تحقيقا لمبدأ الحرية . وإن تنازل الافراد عن حقوقهم الطبيعية يقابله حصولهم على حقوق مدنية يقرها الحق العام الذي أقرته السلطة أو الدولة . وفي هذا أختلف روسو عن هوبز الذي جعل هذا التنازل كليا لصالح الحاكم ، كما أختلف عن لوك الذي أقصر هذا التنازل عن بعض الحقوق دون البعض الاخر. وبذلك يكون روسو قد جعل السيادة للجماعه لا لشخص بذاته أو اشخاص معينين بذواتهم.

ثالثا: نظرية المؤسسة

إن هذه النظرية نظمت في قسم كبير منها من قبل العميد موريس هورو. أنطلقت هذه النظرية من أن الدولة تجمع من الافراد مدار من قبل حكومة مركزية بأسم فكرة المؤسسة، التي هي تجسيد وتحقيق لنظام اجتماعي سياسي يستفيد منه الافراد. وهذا المجموع المتكون من أجل تحقيق الفكرة، ومن مجموع الافراد المستفيدين ، ومن المؤسسة، . يشكل في اساسه جهازا اداريا مركبا، فالدولة إذن هي جهاز أو هيئة اجتماعية منظمة.

رابعا : الاساس القانوني لنشوء الدولة من خلال فكر عبد الله اوجلان: (العصرانية الديمقراطية)

إن السيد اوجلان لايقتصر على نظرية واحدة، كما فعل كل من لينين وماركس وموريس، لكنه قام على الجمع بين هذه النظريات، من

خلال تطبيقها على أرض الواقع وقدرتها على الاستمرار مع الزمن.

فيبدو واضحا رفضه التام لنظرية هوبز من خلال وصفه دول الهيمنة وتصرفاتها ، وفي هذا الصدد يقول : "القوى المهيمنة في غصون القرنين الاخيرين، هي الدولة القومية الانكليزية وامبراطورياتها ، ففيما قامت هذه الامبراطوريه بإرهاق القوى الكبرى في أوربا عبر تأليبها على بعضها البعض وجرها إلى الاشتباك داخل البئر الأوربي خلال القرون الثلاثة الاخيرة . فقد بسطت نفوذها على مستعمرات تلك القوى وطرقها التجارية ، بعد أن كسرت شوكتها خارجيا ، في حين أحكمت سيطرتها على ماتبقى منها ، كما أخضعت أمريكيا وشرق أسيا وجنوبها الشرقي لرقابتها بنفس الاساليب لتبدو امبراطورية لاتغيب عنها الشمس".

ونجد أيضا أن السيد اوجلان يقبل بنظريه القوة في حالة الضرورة والدفاع عن الوجود إذ يقول: إذا مادعت الحاجة وحين يكون موضوع الحديث "وعندما تغدو الشعوب وجها لوجه أمام فقدان حريتها وكرامتها يصبح انخراطها في الحرب أمرا لا مفر منه " فالقائد أوجلان يبين أنه في فترة 1980 كان من الضروري الوقوف هذه الوقفة الثائرة ، فحيث أن ماجرى كان أكتساب حق الحياة من قبل جميع الكرد المتبنين والخائضين فيها.

وكذلك فإن السيد أوجلان أخذ أيضا بالنظرية التاريخية ، ويبدو ذلك جليا وهو يتحدث عن الأغاني الأسطورية التي تؤكد قدم هذا الشعب وعراقته، حيث يقول:

"إنها تعبر عن أحتضار الدولتية الكردية التي دام الحنين إليها والتحسر عليها منذ أيام أحمدي خاني ، حيث أن درويش عبدي يشير من خلال عدولة إلى المقاومة اليائسة للكردايتية الجاهدة للصمود في وجه الصهر والإبادة، وإلى تصديها متمثلا في الجيل الاخير من الايزيديين . فدرويش عبدي بتجواله في كل مرة بين جبل سنجار وسهل الموصل يسرد المقاومه البطولية ضد هذه المقاومة تقاليدا عمرت آلاف من السنين ضاربة الاقطاعية العربية الاسلامية .وكانت بجذورها إلى عهد السومريين وربما إلى ما قبل ذلك إذ تمتد إلى النزاعات الممتدة بين القبائل السامية الصحراوية والقبائل الآرية الجبلية السهلية . ودرويش عبدي كان الممثل الاخير لتلك التقاليد. أما سقوط درويش عن صهوة الحصان وإصابته بجروح ، فما هو في حقيقته إلا سقوط تاريخ برمته ومجتمعية بأكملها، وإصابتها بجروح غائرة، والموت البطيئ لدرويش المجروح قد تحول على لسان عدولة إلى عبارات كانت كافية و وافية للتعبير بكل يسر عن تاريخ يمتد لعشر آلاف سنه وعن أعرق التقاليد الشعبية".

إن فلسفة السيد أوجلان المستندة إلى الحضارة الديمقراطية وثقافة الحداثة الديمقراطية لاتهدف إلى هدم مؤسسة الدولة وبناء دولة جديدة مكانها ، بل يهدف إلى بناء مجتمع جديد أخلاقي وسياسي ومنتظم على قاعدة المبادئ الديمقراطية ، حيث يقول السيد أوجلان في هذا المجال " إذ كانت الأمة الديمقراطية روحا ، فإن الادارة الذاتية هي الجسد ، الادارة الذاتية هي حال إنشاء الامة الديمقراطية بإكساء العظم باللحم وجعله شيئا ملموسا وتحويلها إلى جسد " . إن الامة الديمقراطية تتأسس ضمن إطار وطن ديمقراطي وسياسة ديمقراطية حيث أن التعددية وقبول الفوارق هي اساس الاتحاد لهذه الامة.

كما أن تفعيل الادارة المحلية وتوزيع السلطات المركزية المطلقة على الولايات والاقاليم والمناطق والنواحي والقرى هي إحدى متطلبات التعددية والديمقراطية للوطن الديمقراطي. بالاضافة إلى قدرة جميع الشرائح والمكونات والاطياف في التعبير عن نفسها ومطالبها عبر الاحزاب والمنظمات السياسية، وبهذا المعنى يمكننا القول أن الادارة الذاتية هي إدارة الشعب والمجتمع لنفسه بنفسه .

ونجد أن السيد أوجلان يؤمن بالفكر الموسساتي حيث أن الادارة الذاتية تبدأ من أصغر خلية تنظيمية وصولا إلى المجلس والمؤتمر كما أن مجلس الولاية يتألف من ممثلي المجالس أنفة الذكر . ومن خلال التعاون والتنسيق بين هذه المجالس يتحقق الفكر المؤسساتي من جهة وتتمثل الديمقراطية من جهة ثانية .

فالسيد أوجلان قام على تحويل الحداثة الرأسمالية إلى عصرانية ديمقراطية حيث يقول : "العصرانية لاتعني قبول الاشتراكية أو نفيها بل تقوم بتحليلها بصفتها تجربة ، ويمتص من صلبها حقيقة الحداثة المناهضة للرأسمالية . فهي تستفيد نظريا وعمليا من ميول مناهضة الحداثة التي هي في الاشتراكية المشيدة وتتخطى مساوئها ، وتتبنى محاسنها ، كما أنه يصوغ التحليل العلمي للثقافة التقليدية في الشرق الاوسط ، مستحدثا بذلك الحقيقة الكامنة فيها ، ليصيرها اهم المرجعيات . كما أن العصرانية تضرب جزورها في أعماق التقاليد الثقافية المعمرة منذ آلاف من السنين . والحقيقة الراهنة لهذه الثقافة هي مجتمعنا الحالي الذي هو قائم بذاته . كما ويستحيل الحديث عن عصرانية ديمقراطية لاترتبط جذورها بالتقاليد، فالتقاليد المجتمعية هي الواقع التاريخي للعصرانية الديمقراطية ، وبما أنه لا مجتمع بدون تاريخ ، فلا عصرانية ديمقراطية أيضا بدون تاريخ"

ومن خلال هذه النقاط يتبين لدينا:

إن السيد اوجلان يدعو إلى حل الدولة القومية وينادي بالامة الديمقراطية من خلال أصغر كومونات المجتمع إلى أكبرها " الادارة الاجتماعية ". والادارة الاجتماعية تستطيع إجبار الدولة على فتح مجالات الديمقراطية وفرض إرادة المجتمع على مؤسسات الدولة ، حتى تتحول هذه الموسسات إلى هيئات تنسيقية رمزية هامشية، ليس لها دور في الحياة الاقتصادية، الاجتماعية الثقافية، السياسية، بل يقتصر دور مؤسسات الدولة فقط على مجال الخدمات العامة، وحماية التوازن الناتج عن وصول المجتمع إلى حالة إرادية فعالة يستطيع فيها إدارة نفسه بنفسه.

المراجع:

1- د سام دلة - مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية - مطبوعات جامعة حلب – 2002-

2- د أحمد سالم السهلاوي - نظرية العقد الاجتماعي - الحوار المتمدن - العدد 1210 – 2005

3- عبد الله أوجلان - مانفيستو الحضارة المجلد الخامس - الطبعة الثانية - مطبعة أزادي - 2014

4- الادارة الذاتية الديمقراطية - لجنة بحوث ودراسات غربي كردستان

http-tev-dem.com/indoxiphp?option=com conten&view=aticle&id=48?:2011-08-08-18-84-07&catid=40:2011-07-10-19-19-5.

الحرب على كوباني

اعداد : عبدالله سعدون

منذ اندلاع الاحتجاجات في درعا منتصف شهر آذار 2011 وإلى الآن، لم يتمكن أي من الأطراف المتحاربة إنهاء حالة الحرب الضروس والمتعددة الجنسيات التي تدور رحاها اوإلحاق الهزيمة بالطرف الآخر، أي كل من النظام والمعارضة، وذلك لوجود عدد لا يحصى من الفصائل المقاتلة على الأرض السورية، ولا يستطيع أي من طرفي الصراع التحكم بهذه الفصائل، ولذلك من الصعب وضع حد للحرب الدائرة بين الطرفين، حتى وصلت إلى حالة مزمنة عصية على الحل، وحالة الجمود هذه التي وصلت إليها الحرب في سوريا تشبه إلى حد بعيد ما جرى في الحرب الكوبية إبان الحكم الاسباني لتلك الجزيرة الواقعة في القارة الامريكية والتي وصفها الرئيس الثامن عشر للولايات المتحدة غرانت :" يبدو كل طرف قادراً كل المقدرة على إنزال أفدح الأذى والضرر بالطرف الآخر وبالعلاقات والمصالح التي تعتمد على سيادة السلام في الجزيرة، على أنهما عاجزين عن بلوغ أي مرمى، وأنه ليبدو في مثل هذه الظروف أن لا محيص عن التوسل بأطراف أخرى ان عاجلاً وإن آجلاً اما للوساطة وإما للتدخل لوضع حد لهذا القتال".

والحرب السورية الدائرة هي حرب بالوكالة عن دول عربية وأجنبية على الأرض السورية ومن بينها أرض غرب كردستان، التي شهدت على مدى هذه الأعوام تحولات هامة وبالغة الخطورة في نفس الوقت، أي عسكرة النزاع بعد قرابة 6 أشهر من المظاهرات التي كانت إلى حد ما تتسم بالسلمية في البداية، ولكن بعد عسكرة الصراع في سوريا طفت على السطح الكثير من الحركات والمنظمات التي تحمل فكراً وعقيدة متطرفة اهم أسلحتها الترهيب والتدمير والسيطرة على المدن وإحراق الأخضر واليابس، وبهذه القوة التدميرية الفتاكة لهذه الجماعات المتطرفة المتشددة، لم تستطع أعتى الجيوش وأكثرها قوة، الصمود امام تمدد وسيطرة هذه التنظيمات على مدن وبلدات ومساحات جغرافية بالغة الأهمية سياسيا واقتصاديا، حيث قامت هذه التنظيمات بترسيخ ايديولوجيتها وفرض نظامها المتطرف على سكان المناطق التي سيطرت عليها بعد هروب الآلاف من عناصر الجيش وقوات الأمن في العراق وسورية خوفاً من بطشها، وبهذا تحول مسار الحرب الدائرة في المنطقة برمتها إلى مرحلة أخرى، وهي الاعتماد على التكنولوجيا في محاربة هذه التنظيمات، بعد عدم تمكن دول المنطقة والتحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة من محاربة هذه التنظيمات بالاعتماد على القوة البشرية على الأرض، المتمثلة بقوى الجيش والامن نتيجة تفشي عقيدة المال والاعتماد على المصفحات والتكنولوجيا في استراتيجية جيوش العالم عامة والعراق وسورية خاصة وتراجع العنصر المعنوي الأساسي التي تحارب بها قوة عسكرية أخرى، أثبتت مدى كفاءتها ونجاحها في صد هجمات المتطرفين وحتى انزال خسائر فادحة بهم في معارك عدة، وهذه القوات هي وحدات حماية الشعب والمرأة وقوات دفاع الشعب الكردستاني المتسلحة أيدولوجيا وبالاستناد على فسلفة وفكر وعقيدة تقوي من حب الانسان وتعلقه بارضه وتاريخه

وثقافته وبذل دمائه رخيصة لذلك، وبهذه العقيدة صمدت هذه القوات في وجه اعتى وأشد التنظيمات المتطرفة لسنوات عدة حتى انحصرت الحرب في سوريا في الرقعة الجغرافية التي هي روج آفا "غرب كردستان" بعد ان تمكن المتطرفون من الاستيلاء على مساحات شاسعة في سوريا وحوالي ثلث مساحة العراق بكل سهولة، وبعد مرور عدة سنوات من الحرب على روج أفا اثرت مقاومة كوباني على مسار الحرب السورية المندلعة منذ سنوات أيضاً، وكأن الحرب انحصرت على كوباني فقط، وبذلك نالت المدينة مساحة واسعة من التغطية الاخبارية والاعلامية وأصبحت كوباني رمزاً عالمياً للمقاومة في وجه القوى الظلامية المتطرفة وخاصة بعد تمكن المدينة و سكانها ووحدات حماية الشعب والمرأة من الصمود والمقاومة منذ 15 أيلول 2014 في محاولة منها لتحرير المدينة بكل السبل المتاحة، رغم الحصار الخانق التي تعيشها المدينة من جميع الجهات والنواحي.

ولمعرفة كيفية تمكن هذه المدينة من الحفاظ على صمودها، واستمرار مقاومتها لقوى التطرف لمنع احتلال المدينة، يجب العودة إلى مراحل سابقة هامة بدءا من ثورة 19 تموز في 2012 والتي انطلقت من كوباني، وتكمن أهمية هذه الثورة كونها أسهمت في تأخير الحرب التي حلت على كوباني في 15 أيلول 2014 وعموم روج آفا. أي لولا الخطوة تلك لكان الحال في كوباني أكثر كارثيا من جميع النواحي أكثر مما جرى في شنكال أيضا، فالوضع في تلك الفترة كان مغايرا تماما، والقوة العسكرية في روج آفا كانت في طور البناء والتنظيم، ووحدات الحماية لم تثبت وجودها كما الآن، والنظام السياسي والاجتماعي في روج آفا لم يترسخ بعد بين الشعب، والكتائب المتشددة والمتطرفة كانت قد وضعت عينها على هذه المدينة وحاولت الهجوم عليها قبل الهجوم على العاصمة دمشق، مما حذا بالحركة السياسية الوطنية في روج آفا، باتخاذها قراراً استراتيجياً يقضي بضرورة تحرير كوباني وسد الطريق أمام المتطرفين، حتى قبل معرفة ماهيتهم التي كانوا يتسترون وراءها أي الجيش الحر والمعارضة المسلحة "لإسقاط النظام"، والتي تبين فيما بعد بأن الكتائب المتطرفة التي تتخفى وراء ستار المعارضة هي الأكثر قوة وتنظيما ونشاطا على الأرض بعكس كتائب الجيش الحر التي ظلت في الخارج وبدون غطاء سياسي، وبذلك تم تحرير مدينة كوباني من النظام السوري، وانطلاق ثورة التاسع عشر من تموز، وجميع هذه التحولات في المنطقة ومنذ اليوم الأول من اندلاع شرارة الثورات الشعبية في المنطقة أدت إلى قيام حركة التحرر الكردستانية وبخطوات سريعة تطبيق استراتيجية لإدارة تلك المرحلة لضمان حماية الشعب في روج آفا وفق ثلاثة مبادئ استراتيجية وفي آن واحد، رغم انه هذه الاستراتيجية استطاعت حماية الشعب الكردي الإيزيدي في شنكال ايضاً، وبعد مقاومة كوباني أثبتت صحة هذه الاستراتيجية محلياً وعالمياً:

أولاً استراتيجية الوحدة الوطنية

السعي إلى تحقيق الوحدة الوطنية الكردية، إحدى أهم الأهداف الاولية والعملية لحركة التحرر الكردية في روج آفا، وذلك منذ اليوم الاول لحظة الرجوع إلى ساحة روج آفا، وذلك بالجلوس مع جميع الأطراف السياسية من احزاب ومستقلين والتحضير لتشكيل مجلس وطني جامع لجميع الأطراف الكردية في روج آفا.

واجتمعت الأطراف الكردية المكونة من أثني عشر حزب وعدد من الشخصيات المستقلة والحراك الشبابي، وخرجت ببيان مشترك في 2011\05\11، وأعلن إلى الرأي العام في احتفال جماهيري حاشد يوم السبت 2011\05\14 في مدينة قامشلو، وطرح

مشروع الحل للأزمة في سوريا بمبادرة من احزاب الحركة الوطنية الكردية في سوريا، إعلان مبادرة قامشلو للأحزاب الوطنية كانت إحدى محاولات توحيد الصف والخطاب الكردي، لتنتهي هذه المبادرة الى تشكيل المجلس الوطني الكردي في سوريا في 2011\10\26، الذي فيما بعد أقصي منه حزب الاتحاد الديمقراطي، عللها الكثير من المراقبين نتيجة ضغوطات من الدول الإقليمية الراعية للمعارضة السورية، وحزب الاتحاد الديمقراطي في قوائمها السوداء.

و سقط هدف الوحدة الوطنية على الارض منذ الجمعة الاولى للمظاهرات التي كانت تنطلق في قامشلو نتيجة اختلاف على ابراز اللون الكردي، الطرف الأول يريد التظاهر بلونه الكردي والطرف الآخر يريد التظاهر باللون السوري، حيث وصف السيد آلدار خليل عضو منسقية حركة المجتمع الديمقراطي في غرب كردستان تلك المرحلة بقوله: "بأن استقبال مرحلة ساخنة ومليئة بانتفاضة الشعوب لا يمكن مواكبتها بشكل عادي، وهم كحركة لم يقبلوا لأنفسهم بالسير حسب أجواء الشارع أو المخططات والألاعيب التي تحاك؛ وبأنهم أصحاب مشروع واستنادا عليه نزلوا إلى الميدان".

ففي يوم الاعلان الرسمي لحركة المجتمع الديمقراطي، أوائل الشهر السابع لعام 2011، رفعت الحركة في مظاهراتها شعار "أنا كردي، أين هويتي ولغتي". وشعار" سنعيد الأسماء الأصلية للمدن والقرى الكردية رسمياً". وحتى بلغ الأمر بمطالبة حركة المجتمع لمؤيدها بالخروج في يوم الجمعة من امام جامع قاسمو بغية إضفاء الطابع الكردي عليها، وأول جمعة خرجت تحت مسمى جمعة آلا رنكين في 2011\07\22، وتم رفع العلم الكردي بألوانه الأخضر والأحمر والأصفر لأول مرة في أيام الجمعة، والقسم الآخر من الكرد الذي ربط مصيره بقوى خارجية، فضل الخروج تحت اسم جمعة "الثورة السورية" جمعة أحفاد خالد بن الوليد.

ودعت الحركة بعدها إلى توحيد الكرد والشارع الكردي والتظاهر في الجمعة المقبلة تحت اسم جمعة الوحدة الكردية بتاريخ 29 \ 07 \2011، ولكن الطرف الآخر خرج تحت اسم جمعة "صمتكم يقتلنا" السورية، ورفع علم النظام السوري في كلتا المظاهرتين، ففي تلك الفترة لم يكن علم الانتداب الفرنسي قد اتخذ رمز للمعارضة السورية بعد.

والدعوات من قبل حركة المجتمع لخروج الطرفين معاً في يوم الجُمع، إنما هي محاولات في إطار الوحدة الوطنية الكردية، وجمعة الوحدة الكردية، وطبعا قبلها كانت جمعة آلا رنكين هي محاولات لإعادة إحياء الصبغة الكردية على شكل تلك المظاهرات، ولكن المفارقة أنقسم الشارع مرة أخرى وشارك في المظاهرات ذو الطابع الكردي حركة المجتمع الديمقراطي لوحده وبشعارات والرموز الكردية. وشارك الطرف الأخر وفق الشعار الذي تبناه مظاهرات المعارضين الإسلاميين في سوريا؛ واحد واحد الشعب السوري واحد، وبرموز وأعلام سورية.

ومحاولات الوحدة الوطنية لم تتخل عنها حركة الحرية رغم عدم تجاوب باقي الاحزاب والحركات في روج أفا معها، والسبب كان الخوف من إبراز اللون الكردي أو الشعار أو أي رمز يدل على وجود الكرد على أرضهم الطبيعة، بغية عدم "إسقاط الثورة في سوريا" التي بمنظورهم إظهار الوجود الكردي سيتسبب في "إفشال الثورة"، ولكن بقاء الحركة السياسية الكردية على هذا الحال أي طرفين متمثل بطرف يدعو إلى الاعتماد على الذات والطاقة الكامنة في المجتمع، دون الاعتماد على الخارج لحماية الشعب في روج آفا بعيداً عن الاجندات الدولية، والطرف الآخر أرتأى الانتظار إلى حين السقوط السريع للنظام في سوريا، بناء على وعود دولية والاعتماد على الخارج بالمجمل، وعدم

القيام بأي خطوة من شأنها ضمان الحماية والاستقرار للشعب في روج آفا.

وبعد ذلك ظل حال الحركة السياسية الكردية منقسما وإزدادت الهجمات على روج آفا من جميع النواحي، وكان أبرزها الحصار الاقتصادي وإغلاق المعابر الحدودية من جهة شمالي كردستان بيد الدولة التركية ببناء جدار أسمنتي أطلق عليها ناشطون أسم "جدار العار" في 2013\10\10 بين شمال وغرب كردستان بدءاً من مدينة نصيبين؛ والحصار المفروض من جهة الأخوة الكرد في جنوب كردستان من جهة أخرى، حتى بلغ الامر بقيام حزب الديمقراطي الكردستاني بحفر خندق حدودي بين روج آفا وجنوب كردستان في بداية شهر أبريل 2014، معللا السبب لحماية حدودها من دخول المتطرفين عبر هذه الحدود، وبهذا التصرف ازدادت حالة الانقسام هذه حدةً.

وهاجم المتطرفون كوباني في 15 أيلول من العام 2014، واستطاعت المدينة المقاومة لوحدها لأكثر من شهر، وبذلك طرأ تحول جذري في مسار الحركة السياسية الكردية على الساحة الداخلية والعالمية، وعندها

جلست الأطراف السياسية لروج آفا في مدينة دهوك في الفترة ما بين 14 إلى 22 أكتوبر 2014 مرة أخرى والخروج باتفاق على تشكيل مرجعية كردية توافقية، برضى جميع الأطراف.

ثانياً استراتيجية الدفاع المشروع

مشروع الدفاع يعود إلى جذور حركة التحرر الوطنية بالاستناد الى فلسفة السيد عبدالله أوجلان والذي يرى ان كل مخلوق حي على وجه الأرض له وسيلة أو أداة للدفاع عن نفسه. وتجربة روج آفا من الناحية العسكرية لها تاريخ بالغ الأهمية، رغم انعدام الجانب العسكري على أراضي روج آفا من الناحية النظرية إلا أن العمل على تأسيس خلايا ومجموعات تعنى بشؤون الحماية والأمن وعلى عدة مراحل، ففي المرحلة العملية تم التحضير لإنشاء «وحدات حماية الشعب» (YPG)، التي هي لحد الآن قوات برية قادرة على استعمال الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة، ومن أبرز سماتها أنها قوات دفاع.

ثالثا استراتيجية التنظيم:

رغم أن تاريخ روج آفا حافل بتجربة التنظيم والعمل التنظيمي الثوري الذي يعود جذوره إلى دعم ومساندة الثورات في باقي أجزاء كردستان، ولديه ميراث كافي من النضال التنظيمي، وإلى جانب عدد من الكوادر والناشطين والطليعيين الذين لديهم مقدرة وخبرة عالية في بناء وتطوير وتنظيم الشعب والمجتمع.

حيث بدأت الخطوة التنظيمية الأولى بعقد اول كونفرانس في ربيع 2011 لـ تنظيم المرأة وعوائل الشهداء.

إلا أن العامل التنظيمي الأبرز او نستطيع تسميتها المحطة التنظيمية التي أفرزت معها ما جرى في كوباني من مقاومة صلبة وإرادة قوية في صد الغزاة عن احتلال الأرض والحفاظ على الوجود، هو النشاط التنظيمي الذي بدأ بدخول السيد عبدالله اوجلان إلى أرض روج آفا مروراً بمدينة كوباني في الثاني من شهر تموز عام 1979 والتي بعدها تم بناء الأرضية واللبنة الأولى في العمل التنظيمي الذي أنخرط فيه الآلاف من الشباب والشابات، والبدء بالعمل

والمرحلة الثانية من خطوة التنظيم في روج آفا بدأت مع عودة نشاط حركة التحرر الكردستانية إلى هذه الساحة وذلك منذ الإعلان عن حملة الوفاء للشهيد رستم جودي ومع هذه الحملة بدأ العمل على تنظيم صفوف الشعب في روج آفا، وشملت جميع تفاصيل ونواحي

الحياة من الصغير إلى الكبير ومن العمال والفقراء إلى الأغنياء والمثقفين ويمكن وصف تلك المرحلة بـ اندلاع عشرة ثورات في آن واحد، والتنظيم تم عن طريق تدريب الشعب وفق مفهوم الأمة الديمقراطية، من خلال بناء وتشكيل المجالس الشعبية والمؤسسات والمنظمات الاجتماعية على كافة الأصعدة (اقتصاديا، ثقافياً، اجتماعياً، سياسياً، عسكرياً، دبلوماسياً.. الخ) وبناء الكومونات والاكاديميات الفكرية والجمعيات التعاونية والمدارس الكردية.

ولم يقتصر العمل التنظيمي على هذه المؤسسات فقط بل ان حملات النشاط التنظيمي استمرت وبوتيرة سريعة من خلال عقد المؤتمرات الديمقراطية وفسح للشعب المجال بكل مرونة للفرد والمجتمع للقيام بالعمل ضمنها دون التفريق بين المكونات او الانتماءات الحزبية فالباب مفتوح للجميع.

الدور التركي في الحرب على كوباني:

أن ما تقوم به تركيا من ممارسات في دعم المتطرفين باتجاه كوباني وروج آفا هي امتداد لسياسات قديمة حيال الكرد وكردستان عامة والسياسات التي ينتهجها الرئيس التركي رجب أردوغان او بحسب ما يسميه الكثير من المحللون " السلطان أردوغان" تتقاطع هذه السياسة في الكثير من الأمور لما كان يقوم به السلطان العثماني ياووز تجاه الشعوب المختلفة في المنطقة. التي تتطرق إليها السيد أوجلان كالاتي:

"ان المذابح التي مارسها القوم التركي قبل التشكيل الاجتماعي – القومي الجديد، على الشعب الأرمني، لم تمح من الاذهان حتى يومنا هذا. بهذه الحركة الوحشية الملائمة لعادات الطبقة الحاكمة التركية".

"كذلك يعرف كيف تعرضت شعوب البلقان للإبادة اثناء حملات الغزو والاستيلاء. لقد تعرض الكثير من شعوب البلقان وحتى شبه الجزيرة العربية لممارسة السيطرة العثمانية، وهكذا عملت الطبقات التركية التي ظهرت تاريخياً كمدمر للحضارة على ادامة وجودها – غير المعتمد على اساس انتاجي – بممارسة سياسة النهب والإبادة التي طبقتها على الشعوب، ولكنها اصبحت من مدوني التاريخ سيء الصيت بالنسبة للشعب التركي ايضاً. ومن بين حقائق التاريخ حل تنظيمات الشعوب والسعي لإيقاعها ببعضها بالتناقضات الموجودة بينها وتحقيق مواجهة كهذه خاصة بواسطة العملاء. فمثلاً حركة الاستيلاء والاحتلال التي بدأت مع ياووز (سلطان سليم) تعمقت مع تأسيس عبد الحميد الفرق الحميدية. فهذه الوحدات الغازية المرتبطة بالسلطان وفي يد الاقطاعيين المحليين العملاء أخضع الشعب الكردي والارمني للسلب والنهب والمذابح، واجبرت على ترك مناطق تمركزها كما تعرض هذين الشعبين في فترة الاتحاد والترقي لمختلف اشكال المذابح الوحشية من الابادة والتشريد، بما فيها الايقاع بينها".

وما تمر بها مدينة كوباني اليوم من خلال ما تتعرض لها من هجمات شرسة تهدف إلى إزالة الشعب الكردي هناك من الوجود ليس على يد داعش والمتطرفين وعلى ثلاثة جبهات فقط، بل امتدت ساحة القتال وأضيفت إليها جبهة رابعة وهي التركية بعد ان فتحت باب معبر مرشد بينار على مصراعيه للمتطرفين للهجوم على كوباني والاستيلاء على المدينة ولمعرفة هذا التصرف الذي هو ليس الأول من نوعه في تاريخ الدول التركية يجب العودة الى الدور الذي لعبته هذه الدولة خلال مراحل تاريخية ليست ببعيدة وباستغلالها لدين الإسلام والمتمثل الآن "بدولة الإسلام" داعش في القرن الواحد والعشرين.

فالدور التركي في القرن العشرين وما قبله كان يعتمد على الإسلام السياسي والذي تتطرق إليه السيد أوجلان بقوله: "ان الدور الذي لعبته هجمات الابادة الفتاكة والمذابح التي شنتها الأقوام التركية– لم تكن مختلفة من

ناحية التطور التاريخي – على الشعب الكردي اولى الشعوب المستقرة التي واجهتها أثناء انتشارها في الشرق الأوسط وعند مداخل الاناضول. هذه الأقوام التركية البربرية اتجهت الى كردستان بأطلاق العنان لهجماتها واتخاذها لسيف الاسلام الذي لعب دور الدم الجديد بالنسبة لها، عندما واجهت بنى أكثر منها تقدما كما حصل في الاناضول".

من مفرزات مقاومة كوباني

ما جرى في كوباني كان أشد وأعظم مما جرى في الحرب العالمية الاولى والثانية فعدم التكافؤ بين الطرفين المتحاربين من حيث الجغرافية، والعدة والعتاد الحربي والحالة الكردية التي تتسم بعدم وجود أي جيش أو دولة أو أي إطار يكون للكرد لديهم مكان على الخريطة السياسية العالمية للدفاع عن حقوقهم أمام المجتمع الدولي.

فالقوة الوحيدة التي أثبتت أنها تستطيع الدفاع عن نفسها معنويا بواسطة الفكر والفلسفة وماديا بواسطة أسلحة وتكنولوجيا بسيطة وبهذه العناصر صمدوا وقاوموا بوجه أعتى وأشد الجيوش فتكا في التاريخ الحديث هم وحدات حماية الشعب والمرأة.

وما لم تستطع تركيا والرئيس التركي رجب طيب أردوغان الوصول اليه في سياستهما للتمدد نحو الشرق الاوسط ومن ثم الى العالم الاسلامي عن طريق "الاسلام السياسي" والفشل في هذه السياسة خلال عقد من الزمن أو أكثر، ادى الى محاولة انتهاج سياسة أخرى للتمدد عن طريق الاسلام الراديكالي المتطرف، ولذلك لن تتوقف تركيا عن دعمها للمتطرفين، وكوباني هدفها الأبرز، ما دام مشروعها السياسي التوسعي في فشل دائم، وآخر محاولات تصفية الإدارة الذاتية عندما قامت تركيا بفتح جبهة رابعة ضد المقاومين في كوباني، بفتحها بوابة معبر مرشد بينار أمام المتطرفين لاحتلال المدينة من الخلف، ويبدو أن تركيا لن تتخلى عن معاداتها للشعب الكردي

ليست داعش وحدها من تحمل مشروع التمدد نحو الدول الواقعة في محيطها الاقليمي بل كل من إيران وتركيا والسعودية وروسيا وامريكا وحلفائهم، والمنطقة تتأثر بهذه التجاذبات، والتخبط والتشويش والتشرذم الحاصل في داخل سياسة هذه الدول تؤثر على المرتبطين بها أيضاً. والقوة التي أثبتت كفاءتها وقابليتها للوقوف في وجه المتطرفين وحتى الصمود لمدة طويلة ولو في جيوب صغيرة كما جرى في سري كانية سابقا وكوباني هي وحدات حماية الشعب والمرأة وهي القوة الوحيدة التي استطاعت تطهير سري كانية بالكامل من المتطرفين وتحرير كوباني بالكامل والحرب الحالية الدائرة في كوباني وعموم المنطقة هي عبارة عن حرب تدار عن بعد، أي بواسطة تكنولوجيا وأسلحة متطورة بدون قوات على الأرض ولكي تتم القضاء على المتطرفين يجب محاربتهم بواسطة قوات على الأرض، كما الحال بالنسبة للقوات التي تحارب المتطرفين في كل من كوباني وروج آفا وجنوب كردستان.

ما تريده الولايات المتحدة والغرب من الكرد وخاصة المدافعين في كوباني والإدارة الذاتية، هو احتواء المتطرفين وخاصة داعش وليس القضاء عليهم نهائياً، وهذه ربما لحسابات استراتيجية بغرض الإبقاء على نوع من التوازن في علاقاتها مع روسيا عبر تركيا الواقعة على الطريق الجنوبي لروسيا والتي هي الأخرى ترى في تركيا الضامن الوحيد لمد أوروبا بالغاز الروسي بعدما شعرت بأنها لن تستطيع الحفاظ على مصالحها في نقل غازها عبر أوكرانيا وحالة التخبط السياسي والإقتصادي التي تمر بها روسيا حاليا جراء تدخلها العسكري في هذا البلد، وباتت الولايات المتحدة تنظر إلى الكرد وخاصة بعد صعود نجم حركة التحرر الكردستانية في شمال وعموم كردستان كقوى يمكن الاعتماد عليها

في احتواء تمدد الروس والمتطرفين نحو الغرب عبر المعبر والجسر التركي الداعم والمساند لهم.

المنجزات والمكاسب التي تحققت على مدار السنوات السابقة في روج آفا هي تشكيل قوة عسكرية لا يستهان بها ونظام سياسي قادر على الإدارة في ظل الفوضى الحالية في المنطقة، والانجاز الأبرز كان على صعيد إعادة إحياء و إن جاز التعبير إعادة بناء مؤسسات المجتمع المدني وفق أسس ديمقراطية.

الخلاصة:

الاحداث والتطورات التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط في هذه المرحلة التي تعاني من حالة فوضى عارمة وتمر بفترة حساسة وخطيرة من جهة، وتعتبر فرصة ذهبية بالنسبة للشعوب المقهورة والمظلومة كالكرد من جهة أخرى. وهذه المرحلة تفرض على الكرد بشكل عام استغلال هذه الفرصة وخاصة أن المنطقة برمتها على أبواب ترسيم حدود جديدة لمنطقة الشرق الأوسط وذلك بعد بقاء سنة واحدة فقط على مرور مئة عام على اتفاقية سايكس – بيكو، وتقسيم الكعكة بعد مرور كل هذا الوقت على هذه الاتفاقية باعتقادنا سيكون بإعادة تقسيم المنطقة، وعلى الأرجح سيكون نصيب جغرافية كردستان وملامحها أكثر وضوحا على الخريطة السياسية للعالم ما بعد سايكس – بيكو، وهذا يتوقف على مدى وعي النخبة السياسية الكردية ووحدتهم.

ويمكن تقيم المرحلة وما تشهده من حرب شعواء بـ ثلاثة جبهات:

الجبهة الأولى هي للأنظمة البالية القومية الكلاسيكية المتربعة على عرش السلطة منذ تطبيق سايكس – بيكو وانشاء دول لها، وهذه الدول هي المنتفعة من وجود سايكس – بيكو.

والجبهة الثانية بقيادة المتطرفين والذين هم ضد سايكس – بيكو من منظور اسلامي راديكالي ذي حدود مترامية الأطراف وإعادة امجاد الإمبراطورية الإسلامية كما يتطلب منهم.

والجبهة الثالثة المتمثلة بالدول التي وضعت مشروع سايكس – بيكو ونفذته في المنطقة وتريد الآن الانتهاء من هذا المشروع وإعادة ترسيم المنطقة وفق جزيئات مفتتة متناحرة وغير قابلة للحياة، بغية نهب ثرواتها المعدنية لحد العام 2050، والمائية لبعد هذا التاريخ.

والجبهة الرابعة المتمثلة بمشروع الأمة الديمقراطية والإدارة الذاتية الديمقراطية ومن يريد تغليب الجبهة الديمقراطية على الجبهات الثلاث الأنفة الذكر يجب عليهم مساندة الكرد ومشروعهم الديمقراطي في روج آفا كون هذا المشروع يعتبر الورقة الرابحة والضامنة لدمقرطة المناطق الملتهبة بالصراعات من جهة ولأن الجبهة الديمقراطية قادرة على حل مشاكل وأزمات الشرق الأوسط عموما من جهة أخرى.

فالمنطقة برمتها منشغلة بحروب فتاكة وقودها المتطرفين أو ما يسمى "مكافحة الإرهاب"، والذي يتم محاربتهم على الأرض بواسطة حركة التحرر الكردستانية ووحدات حماية الشعب والمرأة في جبهة مترامية الأطراف بدأ من كركوك والسعدية وجلولاء وشنكال في جنوب كردستان مرورا بالجزيرة وكوباني وانتهاء بعفرين في روج أفا.

والمحطة الأبرز في هذه الحرب التاريخية في كوباني، ومن الواضح بان جبهة كوباني تشهد حالة تقدم عسكري وسياسي من جانب وحدات الحماية ضد المتطرفين وخاصة بعد عملية مرشد بينار والتي تمت بمساعدة حكومة أردوغان، وباعتقادنا أن الوضع في كوباني سيرتبط إلى حد بعيد بمرحلة السلام في شمالي كردستان وتركيا

دراسة عن نينوى ولاية الموصل تاريخياً وسياسياً

اعداد: بسام خلو

منال حج علي

اسم المدينة نينوى:

يذكر المؤرخون بأنه نينوى كانت موجودة في عصور ما قبل التاريخ، وقد أصبحت مدينة مهمة لوجود معابد قديمة جداً فيها، تعود إلى فترة سبقت كونها عاصمة الآشوريين، وهذه المعابد عائدة إلى ننهورساغ (ninhursag) إلهة النظام الجبلي في الشرق والشمال ويستدل عليها بالنجمة التي تعني ستيرك باللغة الكردية (star ستار)، و بالعربية عشتار، وقد كتب في نص للملك شلمنصرالأول على مخاريط طينية عثر عليها في نينوى، بأن هذا الملك رمم بعض أجنحة معبد ستار التي أصابها التصدع على إثر هزة أرضية تعرضت لها، وتقرأ العلامة المسمارية التي كتب اسم المدينة هنا بصيغة (اورو) تأتي بالعربي معناه (اليوم)، وهناك ثلاث صيغ لاسم المدينة (أورو) بالطريقة المقطعية الصوتية في هذا العصر وهذه الصيغ هي (ني- نو- نيو) بمعنى الجديد.

وسميت نينوى باسم (نيوأردشير) (erdÊsÊra Ênû) وتدعى بالعربية أراضي الأسود الجديدة نسبة إلى الملك أردشير الأول، وقد لاقت اهتماما كبيراً من قبله وكانت فترة حكمه أواخر القرن الثاني في المرزبان وحكم مدينة اصطخر وسيطر على كثير من بلاد فارس والمدن المجاورة ل (كرمان وأصفهان ونينوى)، وسميت باسم مسبيلا حسب الرحالة اليوناني زينفون في رحلته عام (401 قبل الميلاد) وسميت باسم الحصن العبوري أي الحصن الغربي وقت الآراميين وسميت باسم الموصل.

هناك من يقول بأن الاسم (الموصل) جاء نسبة إلى كلمة مسبيلا، والبعض الآخر يقول جاءت التسمية لأنها تصل بين نهري دجلة والفرات، وأيضا لأنها كانت تصل بين بلاد الشام وخرسان ولهذا سميت بالموصل.

أما التسميات التي وردت بعد الفتح الإسلامي عام (17 للهجرة) باسم أم الربيعيين لأنها منطقة معتدلة دافئة (الربيع – الصيف).

وسميت باسم الحدباء نسبة إلى قلعة الحدباء أو إلى احدداب في نهرها واعوجاج في جريانها.

وسميت باسم الخضراء لأنه يتوسط مدينة الموصل نهر دجلة وفيها الغابات الخضراء المكتظة بأشجار الصنوبر والبلوط وغيرها وفي فصل الربيع تكسو سهولها وهضابها لوحة خضراء.

وسميت في القرن الماضي باسم أم الرماح لأنها بسبب الحروب كانت تدافع ضد الغازيين وهذه تسمية عربية.

قبل أن نوضح ونتعمق حول مدينة نينوى في أثناء التاريخ القديم قبل الميلاد بظهور الحضارة الجديدة وهي حضارة آشور، اللذين ينحدرون من العرق السامي، وتأسست هذه الامبراطورية حول أربع مدائن ترويها مياه نهر دجلة وروافده، وهي آشور و محلها الأن

قلعة شرقاط،وأربيلا وهي أربيل الحالية (هولير)، والكلخ وهي الآن نمرود ونينوى.

كشفت بعثة أثرية حديثة في (تبي جورا) بالقرب من موقع نينوى عن بلدة يرد كاشفوها الفخورون تاريخها إلى عام (3700 قبل الميلاد)، رغم ما فيها من هياكل وقبور كثيرة وأختام إسطوانية متقنة النقش وأمشاط وحلي، ورغم ما عثروا عليه فيها من نرد هو أقدم نرد عرف في التاريخ (حسب المؤرخين)، وسمى الإله آشور احدى مدنها باسمه، وقام بعد ذلك على كامل ذلك البلد. وفي هذه المدينة كان يسكن أقدم ملوك هذه الأمة، وقد بقوا فيها حتى تعرضت هذه المدينة لحر الصحراء هذا من جهة، ومن جهة أخرى هاجمهم جيرانهم البابليين، ولذا اختاروا مكانا جديدا للاستقرار أكثر أمنا وأقل حرارةً وتصحراً بسبب قوة مياه نهر دجلة وهذه المدينة هي نينوى.

ومن جهة أخرى أمنوا حدود الحماية الطبيعية بسبب نهر دجلة، والمساعدة في الاعمار والتوسع والزراعة والصناعة، يعني موقع جيوستراتيجي (موقع في غاية الأهمية).

ولم تكن مدينة نينوى إلا العاصمة الثانية للإمبراطورية الآشورية، وإن اسمها كما توضح مأخوذ من آلهة الامهات نينا إشتار (ستار) من كلمة ستيرك لأن الآشوريين أخذو علمهم ودينهم بالأغلب من السومريين، وأكد الباحثون أن السومريين ليسوا من العرق السامي، وهذه حقيقة مؤكدة و كان عدد سكان نينوى ثلاثمائة ألف نسمةفي أيام مجدها في عهد آشور بانيبال، وإن السكان وخاصة الأقدمين قبل قدوم الآشوريين كانوا من الميتانيين– الحيثيين... ويقول (وول ديورانت) ومن الكرد سكان الجبال، وقسم آخر من الساميين اللذين وفدواإليها من بلاد الجنوب (من أمثال بابل وآكاد)، ولهذا بعد احتلال الآشوريين لهذه المدينة أصبحت خليطا من الكرد الميتانيين ومن الساميين وأخذوا جميع الصلاحيات بأيديهم أي الآشوريين. كانت اللغة والفنون آتية من سومر سابقا لكن صاغوها فيما بعد صياغة جديدة جعلتها لا تكاد تفرق في شيء عن لغة أرض بابل وفنونها.

وبذل الآشوريين في اصلاح الأرض البور من القوة والنشاط، وأصبحت لديها فائض من غلاتها الزراعية.

الفنون والأدب :

شجع الآشوريين على الفن المعماري والنحت في مدينة نينوى ويتضح ذلك في بناء الهياكل والقصور وتزيينها، وأمروا عددا كبيرا من الكتبة بأن يجمعوا وينسخوا كل ما خلفه السومريين والبابليين من آداب، ووضع ما نسخوه وما جمعوه في مدينة نينوى وضمن مكتبتها العظيمة.

وهناك وجدها علماء هذه الأيام سليمة بعد أن مرت عليها أكثر من خمساً وعشرون قرناً من الزمان حيث كانت هناك ألواح أدبية.

وأكثرية النقوش في نينوى هي نقوش الحيوانات، ولم ينجح أي فن قديم وحديث كالفن الآشوري في نحت مناظر الحرب والصيد من الأسود – خيلاً – معزاً – كلاباً ودببة وطيور.

واللبؤة الجريحة التي عثر عليها في قصر سنحاريب بنينوى، وقصر سنحاريب في نينوى قصر ملكي سماه (المنقطع النظير) يفوق ضخامة كل القصور القديمة.

وكان من عادة الغزاة الآشوريين، نقل أهل البلاد المفتوحة إلى بلاد أخرى بعيدة، من أجل مزجهم فيها مع سكانها الأصليين لكي يفقدوا وحدتهم وكيانهم، ويقلل الفرص السانحة لهم من أجل العصيان والهدف منها منع الثورات ومع ذلك لم تنجح.

وواصل (عسر هدن) توسيع نينوى وإعادة ما تهدم من عمائرها،فقد كانت اثنتا عشر ولاية تقدم إليه حاجته من المواد والرجال، ونقل إلى بلاده آراء جديدة عن العمران والنقوش، ولما

أتم بناء قصوره وهياكله ملأها بالتحف التي غنمها من جميع بلاد الشرق الأدنى وبما رأى فيها من روائع الفن.

خاتمة الإمبراطورية الآشورية وتأثيرها على نينوى :

إن الملك (العظيم) الملك القادر، ملك العالم، ملك آشور أخذ في آخر أيامه يندب في سوء حظه، ومهما تكن ميتته فقد كانت نذيرا بما سيؤول إليه أمر بلاده ورمزاً لآخرتها لقد كانت هي الأخرى مقبلة على الفناء لأسباب بعضها من صنع يده.

ذلك أن حياة آشور الاقتصادية كان جل اعتمادها على ما يصل إليها من خارجها، أسرف ملوكها في الجري على هذه السياسة، فكان مصدر حياة البلاد هو الفتوح الخارجية التي تأتيها بالمال الوفير من الغنائم والمتاجر، وتلك سياسة تعرضها للخراب في أية لحظة اذا ما هزمت جيوشها في واقعة حاسمة، وكان في كل واقعة تنتصر فيها آشور كان يهلك فيها أقوى جنودها وأبسلهم، وكان اتساع فتوحها سببا آخر من أسباب ضعفها، ولم يكن افقار الحقول من زراعتها لإطعام إله الحرب النهم هو السبب الوحيد في هذا الضعف، بل كان له سبب آخر وهو ان فتوحها جاءت إليها بالأسرى وبالملايين من الأجانب المملقين، اللذين تناسلوا كما يتناسل المعدمون البائسون، فلم يبقى شيء على شيء من الوحدة القومية في الجسم والخلق، وأخذ هؤلاء الرجال القادمون من البلاد الأجنبية يزداد عددهم في الجيش نفسه، بينما كان الغزاة أنصاف الهمج يهاجمون البلاد من جميع أطرافها ويستنفذونها من موارد في سلسلة لا آخر لها من الحروب للدفاع عن تخومها غير الطبيعية.

ومات آشور بانيبال عام (626 ق. م)، وبعد أربعة عشر عام من موته اجتاح جيش من البابليين بقيادة نبوخذ نصر ومعه جيش من الميديين بقيادة سياخارو وجحافل أخرى غير نظامية من السكوذينين أهل القفقاس، وسرعان ما استولت هذه الجيوش على القلاع الشمالية بسهولة عجيبة، وخربت نينوى تخريباً لا يقل في قسوته وشموله عما فعله ملوكها من قبل بالسوس وبابل، فأشعلت النار في المدينة ونهب القصر الذي أشاده آشور بانيبال من عهد قيصر ثم دمره أشنع تدمير، وهكذا اختفت آشور من التاريخ ولم يبق منها إلا بعض أفانين الحرب وأسلحتها وبعض النظم الإدارية لحكم الولايات انتقلت إلى الفرس ومقدونية وروما.

وبعد مئتي عام من الاستيلاء على نينوى، وطئت جيوش اكسنوفون التي تبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل الأكوام التي كانت قبل نينوى، ولم يدر جنودها قط أن هذه الأكوام بعينها هي موقع الحضارة القديمة التي كانت تحكم نصف العالم.

ولم تقع أعين هذه الجيوش على حجر واحد من حجارة الهياكل التي حاول جنود آشور الأتقياء أن يجملوا بها أعظم عواصمهم. وحتى آشور نفسه إلهاً خالداً أمسى في عداد الموتى.

نينوى وقت الامبراطورية الميدية :

لقد خرجت نينوى من مركز النهب والسلب والطغيان قبل الميديين وقت الآشوريين حيث كانت منصهرة بالثقافة الاستعمارية، وكان لها آلهة الحرب والقتل، وحيث كانت كل تلك المدة التي حكمتها الدولة الآشورية متغيرة المعالم، وكانت لها هياكل ورسومات أعطتها شكلا منصهرا عن حالتها السابقة التي كانت تمجد آلهة الأمهات (star) التي كان فيها معبد الإلهة، ولكن كما قلنا بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية أصبحت تتجه نحو المعالم الميدية التي تمجد الديانة الزرادشتية التي لا تفرق بين السكان الموجودين في كونفدراليتها.

ولأن الأكثرية بسبب الاحتلال هاجروا من نينوى إلى خارج نطاق السيطرة الآشورية والتي كان فيها تأثير القبائل الميدية. وبعد المرحلة الميدية تم غزوها من قبل الأخمينون،

اللذين حكموها سنة (550-331 ق.م) وقاموا بتوطين الفرس فيها.

ولم تسلم موصل من الحروب التي دارت بين الشرق والغرب والتي أضاعتها بين رحى الحروب، وسبب لها النكبات لعدة مرات ومنها الحروب التي دارت بين الساسانيين والرومان سنة (241 وسنة 579 ق.م)، وفي سنة (627) ق.م انتصر الروم على الفرس بعد معركة حاسمة وقوية فأصبحت الموصل تحت حكم الروم.

الموصل بعد الميلاد و السيطرة العربية:

لقد تم في العهد الإسلامي هجمات الجيوش الإسلامية، وتحت راية الاسلام آتية بمرحلة جديدة من القتل والتدمير والتخريب والصهر والإذابة لأهل المنطقة الأصليين، حيث كانوا يعتنقون الديانة الزردشتية من السكان الكرد والقسم الآخر من الأرمن والسريان والكلدان والآشوريين كانوا يعتنقون المسيحية.

في سنة (637 ق.م) دخل العرب المسلمون الموصل بقيادة ربيعي بن الأفكل العنزي، الذي دبر خطة للسيطرة على الموصل بمساندة قبائلها العربية التي كانت في قتال ضد الروم في تكريت، فقامت هذه القبائل بالانسحاب إلى الموصل مظهرين انهزام المسلمين في معركة تكريت حتى اذا دخلوا المدينة سيطروا على أبوابها لتدخل وراءهم جيوش المسلمين.

بعد أربع سنوات من هذه الواقعة، قام سكان الموصل ضد العرب اللذين غزوها باسم الفتح الإسلامي، مما أدى إلى معارك أخرى نجحت في إعادة سيطرتهم على الموصل.

الموصل في عهد الخلفاء الراشديين :

أصبح عتبة بن فرقد السلمي والياً على الموصل بعد السيطرة عليها، وعمل على توطين سكان العرب المسلمين من قبائل النمر وتغلب وإياد فبنى دار الإمارة والمسجد الجامع وهو أول جامع بناه المسلمون في الموصل والذي بقي حتى سنة (543 هجرية).

في عهد الخليفة عثمان بن عفان:

كثرت الهجرات من قبل القبائل العربية إليها بعد أن استقرت السيطرة الإسلامية فيها، ومنها قبائل طي- كندة – وعبد قيس، وفي حكم عرفجة بن هرثمة البارقي تم توسيعها وتغميدها حسب التقاليد والأصول الاسلامية،وتوسيع الجامع كما توسعت الهجرة العربية إليها في خلافة علي بن أبي طالب، وكل هذا أدى إلى جعل مدينة الموصل مدينة كبيرة ذات سكان كثر.

الموصل في العهد الأموي :

ازداد توسع الموصل في عهد سعيد بن عبد الملك بن مروان حيث قام بتعميرها وتحصينها وأحاطها بسور ورصف طرقها بالحجارة.

كما نصب لها مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين جسرا وبنى قلعتها، وشق الحر يوسف الأموي نهرا عرف نهر الحريين محاذيا للتلال المطلة على حاوي (و مجرى دجلة الحالي)، حيث كان سابقا يمر قرب سور نينوى وتقع عليه بوابة المسقى. واستمرت هجرة القبائل العربية في هذه الفترة وهي قبائل تغلب وربيعة وعنزة وشيبان والخزرج.

الموصل في العهد العباسي :

حكم العباسيون الموصل سنة (132-751 للهجرة)، وبعد فترة ثار أهل الموصل على الوالي العباسي محمد بن صول الفارسي، ففتك بأهلها وخرب بيتها، ولما وصل الأمر إلى الخليفة السفاح ولى عليها اسماعيل بن علي بن العباس وبقيت تحت حاكميتهم في خلافة المهدي.

الموصل في العهد الحمداني :

أصبحت الموصل تحت نفوذ الحمدانيين في أواخر القرن الثالث للهجرة بعد دخولهم في طاعة العباسيين، توسعت المدينة وأصبحت مركزاً تجارياً مهماً، وصارت تصدر إلى بغداد الدقيق والسكر والعسل والسمن والجبن والشحوم والسماق والقير والحديد كما وتوسعت حولها القرى والبساتين والمزارع.

الموصل في العهد العقيلي :

انتقلت الموصل إلى حكم العقيليين سنة (367-489 للهجرة)، وبسبب منازعة الأمراء فيما بينهم على الحكم والسلطة وأساليب المؤامرات والفتن، أدى إلى تأخر الموصل وبنى لها شرف الدولة سورا جديدا.

الموصل في العهد السلجوقي :

أصبحت الموصل تحت نفوذ الترك السلجوقيين فحكموها 32 عاماً، لاقت خلالها الويلات والمصائب والخراب، وهجر كثير من أهلها ديارهم ومساكنهم لكثرة الإضرابات والفتن بين أمرائهم.

الموصل في العهد الأتابكي :

حكم الأتابكيون الموصل وقت استلام عماد الدين زنكي سنة (521 للهجرة)، فخصت المدينة في زمنه وزمن من بعده بالاهتمام وتوسع كبير، وتقدمت في صناعتها وزراعتها وعمرانها، وأمتاز حكمهم بالعدل والمساواة. وآلت في عهد بدر الدين لؤلؤ إلى أجمل صورها.

الموصل وقت الغزوات الأتية من المغول والتتار :

ارتبط تاريخ الموصل في تلك الفترة بشخص بدر الدين لؤلؤ حيث ولي عليها في محرم (631 للهجرة) (1233ميلادي)، وحافظ على ولائه الظاهري للخلافة إلا أن ضغط الأحداث أجبرته على موالاة المغول، ثم تحولت الموالاة إلى الطاعة وتحالف، فقد أمدهم بما يحتاجونه من ميرة وآلات أثناء حصار أربيل، كما ساعدهم في حصار بغداد. توفي بدر الدين لؤلؤ في شعبان (656 للهجرة /اغسطس 1258م)، وخلفه ابنه الملك الصالح اسماعيل الذي هادن المغول أول الأمر، ثم انقلب عليهم وطردهم من الموصل، وأرسل أخاه إلى مصر لطلب المساعدة من بيبرس، ثم ذهب بنفسه ونسق معه لتنظيم المقاومة ضد المغول، فأرسل هولاكو إليه جيشا تعداده حوالي عشرة آلاف مقاتل، بقيادة ضدغون فحاصره فيها ونصب عليها خمسا وعشرين منجنيقا وراح يضرب المدينة. فقلت الأقوات واشتد الغلاء، وما أن علم بيبرس بذلك حتى أرسل إليه نجدة تعدادها سبعمائة فارس، وأمر بخروج العساكر من دمشق وحلب، فخرج صاحب حلب وهو شمس الدين البرلي بسبعمائة فارس وأربعمائة من التركمان ومئة من العرب.

إلا أن ضدغون المغولي قد علم بخروج تلك القوة فكمن لها عند سنجار، وانقض عليها وقتل معظم أفرادها، ثم عاد مشددا الحصار على الموصل، ونصب عليها ثلاثين منجنيقا، فضاقت الأحوال بشدة على المدينة وفي سنة (796 هجري) استولى تيمورلنك عليها وأكمل تدميرها إلى أن ظهر الشاه اسماعيل الصفوي وسيطرة الصفويين على العراق.

ولاية الموصل في العهد العثماني :

إن تكرار هجمات الصفويين على العراق، غيَرت من الاستراتيجية العثمانية من التوسع نحو الغرب الاوربي إلى التوسع نحو الشرق الأدنى، وذلك في عهد السلطان سليم الأول والتي قادت إلى معركة جالديران 1514، حيث انتصر فيها العثمانيون ومهدت لدخولهم الموصل في عام 1515 وبقائهم فيها الى العام

1918بعد الحرب العالمية الأولى وسقوطها تحت الانتداب البريطاني.

وبسقوط الموصل بيد العثمانيين أصبحت التجارة الفارسية تحت رحمة العثمانيين وخصوصا تجارة الحرير، فقد كانت الامبراطورية الفارسية تصدر هذه البضاعة إلى الغرب مقابل الحديد والنحاس لصنع العتاد الحربي. وبسيطرة العثمانيون على هذا الطريق التجاري الهام المار من الموصل وضع حد لأطماع الفرس التوسعية،وأحكمت قبضتها على جميع الطرق التجارية الاستراتيجية (فقد استولى العثمانيون على طريق ديار بكر – الموصل وعلى خط تبريز- أرضروم- حلب).

إن ما تتميز به مدينة موصل من موقع استراتيجي هام حولها من مدينة صغيرة إلى مركز ولاية قائمة بذاتها، وذلك في منتصف القرن السابع عشر، وبلغت مساحتها 91 ألف كيلو متر مربع، تحدها من الشمال ولايتي وان وديار بكر ومن الشرق الامبراطورية الفارسية ومن الغرب دير الزور ومن الجنوب ولاية بغداد.

وتميزت بحفاظها على التنوع الإثني المميز لها، فقد عاش فيه الكرد والعرب وطوائف مسيحية بحالة من الانسجام، ولكن هذا الموقع الاستراتيجي والتنوع الاثني لم يحمي موصل من الاضطرابات وعدم الاستقرار، سواء من الناحية الإدارية أو المعيشية. فمن الناحية المعيشية نتيجة حلول الأوبئة عليها والمجاعات وأبرزها المجاعة التي حصلت في عام 1878 والتي دعيت بسنة غلاء الليرة، والمجاعة التي حصلت في أعقاب الحرب العالمية الأولى عام 1917 والتي دعيت بسنة الغلاء، ومن جهة كانت جبهة الالتقاء بين الامبراطوريتين الفارسية والعثمانية وأرضا للصراع القائم بين هاتين القوتين.

ومن الناحية الإدارية ارتبط عدم الاستقرار فيها بالتمردات ضد السلطة العثمانية، ففي بداية سقوطها في يد العثمانيين أصبحت سنجقا تابعا لديار بكر، وفي عهد السلطان سليمان القانوني أصبحت ولاية قائمة بذاتها وذلك في العام 1534 تضم كل من اسكي موصل وتكريت وزاخو وعانة وكشاق، لتصبح في سنة 1850 سنجقا تابعا لولاية بغداد بطلب من والي بغداد رشيد باشا للقضاء على الامارة البابانية في السليمانية، لتصبح من جديد ولاية عام 1879 وضم إليها كل من كركوك والسليمانية، واستمرت كولاية إلى سنة 1918. كانت السلطة العثمانية تعين الولاة التابعين لها من أبناء الولاية من تراه كفؤا ويحقق مصالحها، إلا أنه في الموصل في البداية ولي عليها ولاة عثمانيين مثل محمد باشا بكلربكي ومن بعده حديد سليمان المحمدي وعدة ولاة آخرين إلى أن تولاها حسين بن اسماعيل باشا الجليلي وهو من أبناء الموصل وذلك عام (1730)، وفي ولايته تعرضت موصل إلى حصار شديد من قبل نادر شاه الصفوي الذي فشل في دخول الموصل، كما ولى عائلة بابان على السليمانية.

بالرغم من الأهمية الاستراتيجية للموصل لم يولها العثمانيون الاهتمام اللازم والكافي،حتى النصف الثاني من قرن التاسع عشر حيث اتبعت سياسة جديدة لوقف تمردات الكردية والعربية المستمرة، وذلك في زمن ولاية مدحت باشا، فعملت على توطين الكرد والعرب الرحل ومنح ملكيات كبيرة لرؤساء عشائر العرب والكرد على حساب أفراد القبيلة مغيَرة بذلك طبيعة العلاقات القائمة بين أفراد القبيلة، لتصبح كل المقدرات بيد فئة قليلة بعد أن كانت ملكا لأفراد القبيلة ككل، فأصبح همَ رئيس العشيرة زيادة ممتلكاته، أما بقية الأفراد أصبحوا تحت أعباء ديون لا يمكنهم فكاكها، لتبدأ الروابط العشائرية بالانحلال، وتعلل دورين وارنر سكوت الحكومة العثمانية عن تسجيل الأراضي والقرى الكردية بصورة خاصة بأسماءالآغوات والمختارين خلافا لما نص عليه قانون الأراضي من عدم تسجيل القرى باسم شخص واحد إلى رغبة الحكومة

في الابقاء على استتباب الأمن في تلك المنطقة.

تنقسم العشائر الكردية في الموصل إلى عشائر رحل وعشائر شبه مستقرة. سكنت العشائر المستقرة في هولير والسليمانية، في حين استقرت العشائر الرحل في الجبال. ومن العشائر التي قطنت الموصل، عشائر هورمان وبلباس وبايلان وسنجابي وهركي، وعشائر الجاف في السليمانية، وعشائر الكلي والسندي والسليفاني في زاخو، وعشائر المزوري والدوسكي والشرفان في دهوك، والسورجية في عقرة، وريكان ونيروه وبرواريوبالا في العمادية، والزيبار ودزي الراحلة بين هولير والموصل. وكانت هذه العشائر تتكون من طبقتين طبقة شيوخ العشيرة وأبنائهم وطبقة الكوران (الكادحين) وكان يقع على عاتق هذه الطبقة الأخيرة كافة الأعباء من الأعمال الزراعية والرعوية، في حين تأخذ الطبقة الأولى طبقة الشيوخ نتاج هذه الطبقة دون بذل أي جهد، ولكن لم تكن توجد أي اختلاف في الحياة المعيشية بين الطبقتين. أما بالنسبة إلى المدن فقد انقسم إلى ثلاث طبقات وهي طبقة الوالي المعين من قبل السلطان العثماني وجهازه الإداري وطبقة التجار ومالكي الأراضي وطبقة عامة الشعب.

إن التدهور السياسي والاجتماعي الذي انتشر في الموصل في العهد العثماني، أدى إلى ظهور بعض الطرق الصوفية فيها، والتي أثرت بشكل واضح على الناحية الاجتماعية للولاية، ومن هذه الطرق الطريقة المولوية والطريقة النقشبندية والقادرية وانتشرت لها تكايا في أرجاء الولاية.

لم يكن عدد سكان الموصل ثابتا خلال الحكم العثماني، نتيجة الأوبئة والمجاعات التي تعرضت لها من جهة، ومن جهة أخرى كونها ممر لصراعات الامبراطورية العثمانية، وكانت مركزا لتزويد قواته العسكرية بالمواد اللوجستية. ورغم ذلك لوحظ هناك زيادة كبيرة طرأت على عدد السكان في فترات الأمن والاستقرار، ففي المصادر الرسمية العثمانية قدرت عدد سكان موصل في عام 1907 ب 51200 نسمة، مع أن هذا العدد لا يشمل الاناث أما بالنسبة إلى تقارير القناصل البريطانيين لسنوات 1867-1919 فهي كالتالي:

السنة 1867 عدد السكان 265 ألف نسمة وفي عام 1890 اصبح 401 ألف نسمة وفي عام 1905 اصبح 540 ألف نسمة وف عام 1919 اصبح 703 ألف نسمة.

حسب المصادر العثمانية الرسمية اعتبر الموصل وما جاورها منطقة كردية، بدليل إنهم تركوا أمر تقسيمها من الناحية الادارية للملا ادريس البدليسي (المتوفي 1520 م) الكردي الذي تعاون معهم لقاء احتفاظ الكرد بنوع من الاستقلال الذاتي، وليس أدل على هذا إلا ما ورد في مصدرين عثمانيين كلاسيكيين، الأول هو كتاب (سياحتنامة) للرحالة التركي الشهير (ابن بطوطة الأتراك) أوليا جلبي الذي زار المنطقة بنفسه ودرسها عن كثب في القرن السابع عشر أي بعد مرور قرن على دخولها في حوزة العثمانيين وفق ما ورد في الصفحة (74-75من كتاب سياحتنامة). إن تسع ولايات في عهده كانت تؤلف كردستان وهي (ولاية أرضروم، ولاية وان، ولاية هكاري، ولاية ديار بكر، جزيرة بوطان، العمادية، الموصل، شهرزور،أردلان).

أما المصدر الثاني فهو كتاب حاجي خليفة المشهور بكتاب جلبي فيه الذي ألفه في القرن السابع عشر في اسطنبول سنة (1732 م)، إن كردستان تبدأ من هرمز ملاطية ومرعش وشمال ولاية وان، ومن الجنوب إلى الموصل والعراق الغربي.

وهذا يثبت تاريخياً حقيقة واضحة لا غموض عليها، وهي أن الكرد ومن أقدم العصور وعبر المراحل التاريخية المختلفة كانوا يشكلون نسبة عالية من سكان مدينة الموصل

حتى فترة متأخرة من العهد العثماني (1516-1918) م.

وبصدد تعرب الكرد وبتأثير من الإسلام وثقافته، يشير المؤرخ والجغرافي ياقوت الحموي (1179-1229م) حول التعريب الذي لحق بالأكراد وطبق عليهم.

كما لاحظ مراقب روسي زار المنطقة نفسها في مطلع القرن العشرين، فكتب يقول أن العرب فيها كما يبدو من شكلهم هم أقرب للكرد ممن تبنوا لغة العرب وثقافتهم، استمر تحول الكرد وببطء في الموصل عن قوميتهم حتى في العهد العثماني (1516-1918م).

كتب الرحالة البريطاني جاكسون الذي زار مدينة الموصل في عام (1797 م)، إن مدينة الموصل مكتظة بالسكان وتضم أصناف من مختلف الأديان ولكن معظم السكان من الكرد واللغة الكردية هي اللغة السائدة في الشارع والبيت، ويقول المؤرخ والمستشرق لوسترنج في كتابه بلدان الخلافة الشرقية إن أهالي الموصل في القرن الرابع الهجري كانوا كرداً، وقال العلامة النمساوي فون هامر في كتابه تاريخ الدولة العثمانية وأكد بأن نفس أهالي الموصل كرد يتكلمون الكردية، وعلاوة على ذلك يتكلمون العربية والتركية والفارسية وقال المؤرخ والمستشرق نورمان في كتابه تاريخ الشرق القديم : "إن منازل الشعب الكردي تمتد من الخليج الى بحر قزوين ومن ساحل البحر الأسود الى ساحل البحر الأبيض المتوسط باتجاه أضنة واسكندرون بخط مستقيم إلى الموصل ومنها مستقيم آخر إلى بدرة والزرباطية شرق بغداد".

الموصل في العهد البريطاني:

بعد انكسار العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، دخل البريطانيون الموصل بدون قتال بعد هدنة مودرس التي عقدتها مع العثمانيين عام 1918، ووفق اتفاقية سايكس بيكو كانت الموصل من نصيب فرنسا،إلا أن بريطانيا التي طمحت إلى الاستحواذ على الموصل من أجل تأمين طريق تجارتها من الهند البريطانية ضد أي خطر أو ضغط، سارعت إلى دخول الموصل بعد انسحاب الفرنسيين منها نتيجة المقاومة التي ابداها أهلها ضد الجيش الفرنسي. اعترضت فرنسا في بداية الأمر،ألا أن بريطانيا عوضتها من خلال نفط العراق وفق معاهدة سان ريمو، وبذلك أمنت بريطانيا على طريق تجارتها من الهند إلى العراق عبر الموصل إلى الاردن وفلسطين التي انتدبتهما لاحقا، لتصل إلى بحر الأبيض المتوسط والتي بنت فيها مستعمرات لها بحيث لا يعترض طريقها أي من الدول الاستعمارية، وبنفس الوقت مسيطرة على أكبر منبع للنفط في المنطقة، محققة تصريح ونستون تشرشل: "على بريطانيا ان تكون مالكة للنفط أو على أقل تقدير مسيطرة على احتياجاتها منه".

استمرت تركيا بالمطالبة بالموصل في حين تمسك البريطانيون بموصل تابعة إلى الدولة العراقية الوليدة، لتأمين حدودها الطبيعية مع جارتها الدولة التركية، وأحيلت القضية إلى عصبة الأمم التي قررت عام 1924 تعيين لجنة من السياسيين والجغرافيين والمستشرقين العالميين منهم البلجيكي والمجري والسويسري والهولندي والتركي والعراقي، للبت في القضية وقررت هذه اللجنة عائدية الموصل إلى العراق، وتثبيت الحدود بين الدولتين وفق خط بروكسل لتنضم رسميا إلى الدولة العراقية في عام 1932. وهكذا أقفلت الصفحة على معاهدة سيفر التي نصت على إقامة كيان كردي حسب بنودها 62 و 63 و 64 فقيام كيان كردي مستقل لم يكن في مصلحة أي من الدول التي تقاسمت كردستان أو انتدبتها.

ذكر المندوب البريطاني إن تعداد ولاية الموصل كان بحدود 788 ألف مواطن، منهم 455 ألف من الكرد، و186 ألف من العرب، و66 ألف من الترك، و62 ألف من الملل المسيحية المختلفة، و19 ألف من اليهود.

الموصل في العهد الملكي الهاشمي :

انتقلت الموصل إلى عهد الحكم الأهلي سنة (1921) تحت ظل الانتداب البريطاني،وظلت الموصل ورقة رابحة بيد الانكليز للمساومة على الانتداب في المفاوضات التي جرت لتحديد خط الحدود بين العراق وتركيا، بالضغط على الحكم الملكي القائم لقبول صك الانتداب.ورفض آهالي الموصل خلال الاستفتاء الذي أجرته لجنة خاصة الانضمام إلى تركيا وأصبحت في ظل الحكم الملكي حتى قيام ثورة 14 تموز 1958 التي أطاحت بالحكم الملكي.

شهدت هذه الفترة حوادث مهمة في تاريخها منها انتفاضة الجيش في سنة 1937، بعد اغتيال الفريق بكر صدقي رئيس أركان الجيش في مطار الموصل، وأيضا أجبرت الحكومة على الاستقالة وكذلك حادثة اغتيال القنصل البريطاني في الموصل بعد قتل الملك الغازي في الموصل في حادث أدعت إنه مدبر من قبل الانكليز وشاركت الموصل في حركة رشيد الكيلاني سنة (1941م).

الموصل في العهد الجمهوري :

عانت الموصل من اضطهاد كبير من السلطة وخاصة في فترة قيادة صدام حسين وحزب البعث للعراق وضع برنامج لمحاربة الكرد، ولهذا عانى الكرد من الويلات والقتل والإبادة والتهجير والاستيلاء على ممتلكاتهم، ولقد طبقت هذه السياسة على أكثرية المناطق الكردية وعلى سبيل المثال تهجير الكرد من مدينة كركوك ومخمور ومدينة الموصل، وحتى أسسوا قوات منظمة عسكرية سميت بالجحوش لتستخدم الكرد ضد الكرد وغير ذلك من السياسات، واعتبر الكرد مواطنون من الدرجة الثانية لا يحق له حتى تملك بيته وأملاكه فسجلت أملاكهم بأسماء المواطنين العرب ولجأ أكثريةالكرد في الموصل الى البيوت المأجورة.

ولاقى الكرد في جنوب كردستان عامة وفي الموصل خاصة، عندما هاجم قوات التحالف على الدولة العراقية في بداية التسعينات، وقت ذلك حررت معظم المناطق الكردية إلا مدينتي الموصل وكركوك، حيث قام الشعب بالانتفاضات المسلحة، ولكن الغرب وخاصة امريكا وبريطانيا وبسبب أطماعهم فتحوا المجال للدولة العراقية بإخماد تلك الانتفاضات في مدينة كركوك والموصل، فقتل العديد من أبناء الشعب الكردي (غير المعتقلين في سجون النظام البعثي) وتم كتم أصوات الشعب الكردي إلى الحرية والإبادة الجماعية التي ارتكبها النظام الفاشي العراقي في مدينة حلبجة قد أثر على الشعب الكردي عامة وجرائم الأنفال، وكل الأعمال القذرة التي قامت بها الدولة العراقية خلفت نتائج تطهير المناطق الكردية، وخاصة مدينة الموصل لأن موقعها الجغرافي والاستراتيجي مؤثر إلى درجة كبيرة وعميقة.

وقد أقام صدام حسين له قصراً كبيراً قرب حي المجموعة ونهر دجلة، وكل ذلك قوى من شوكة النظام البعثي وأخضع الكرد ومن خلال مدينة الموصل أثر على منطقة بهدينان ومنطقة صوران وعلى منطقة شنكال.

أثناء وبعد الغزو الأمريكي للعراق عام 2003:

في 20 مارس (2003م) بدأت الولايات المتحدة الامريكية حربها مع العراق بمساندة دول أخرى من أبرزها المملكة المتحدة، عانت فيها العديد من مدن العراق الدمار جراء المواجهات العنيفة بين الأطراف العديدة المتحاربة، ولاقت مدينة موصل نصيبها من ذلك، وسقطت المدينة بأيدي السيطرة الأمريكية بعد قصف عنيف في يوم 11أبريل عام (2003م)، بعد أن انسحبت قوات الفيلق الخامس للجيش العراقي، و كانت دولة العراق في أوضاع مأساوية نتيجة الحصار الذي دام عليها سنوات وهذا الحصار أثر على الشعب وعلى الجيش العراقي، وكان الجيش العراقي

في أسوأ أوضاعه فقد لاذ بالفرار بعد سقوط بغداد، وكان العساكر يبيعون أسلحتهم الفردية مقابل مبلغ بسيط ومقابل لباس مدني.

وقد دخلت قوات البيشمركة الكردية مع القوات الأمريكية الموصل بعد سقوط بغداد بيومين، وحاولوا السيطرة على بعض أجزائها، وانسحبت القوات الكردية مجبرة، وكانت تدعمها الحكومة الأمريكية بأنها ستترك المدينة واستبدلت بقوات أمريكية، وفي 22 أبريل (2003) قامت قوات التحالف بقتل أبناء الرئيس العراقي (عدي - قصي) داخل مدينة الموصل، وسلم عدد من قيادات النظام أنفسهم للقوات الامريكية، ومنهم وزير الدفاع سلطان هاشم. أثناء تلك الفترة تعرض أبناء الموصل إلى أوضاع اقتصادية ومعيشية صعبة للغاية من حيث غلاء الأسعار وعدم توفر المواد والتعرض إلى حوادث اغتيال،ولم تلعب القوى السياسية الكردية الدور المنوط بها ولم تترك خيارا لأبناء الشعب الكردي سوى الهجرة إلى الخارج، وخصوصا الكرد اليزيديين والشبك وأعداد من أبناء عشائر السورجيين والهركيين والزيباريين والكوران، كما تم تهجير عدد من المسيحيين والشيعة وتوطين العرب السنة مكانهم.

ووسع تنظيم القاعدة من امتداده في الموصل وبمساندة من بعض افراد العشائر العربية السنية التي هيئت لهم الأرضية المناسبة، فزاد التنظيم من عملياته الارهابية ضد الناس العزل وبخطط مدروسة محكمة، وبمساندة من بعض الدول وعلى رأسها تركيا، وخاصة بعد أن فتحت لها قنصلية في الموصل وكان عمل تلك القنصلية هو إفراغ الموصل من الكرد، ولهذا بث روح التفرقة بين الشيعة والسنة من جهة وأيضا بين العرب والكرد وبين المسلمين والإيزيديين وبين المسلمين والمسيحيين.

فبعد كل هذه المخططات البعيدة الأمد والمدبرة والمطبقة غيرت موازيين القوى وديموغرافية المنطقة، فأصبح اللون العربي والمذهب السني خاصة هو الطاغي على مدينة الموصل في تلك الفترة.

6/11 دخول تنظيم داعش الإرهابي إلى الموصل :

بسقوط نظام صدام حسين كانت ايران المستفيد الأكبر وعملت على دعم الشيعة في حكم العراق، وهذا شكل ردة فعل لدى السنة فعملت مع بقايا تنظيم البعث في المنطقة ومع القاعدة على تقوية وجودهم في الموصل وبخفاء، وبنفس الوقت ضغطت أمريكا على القوى الكردية لإخراج البيشمركة من الموصل، وبوجود الانقسام داخل الأحزاب الكردية استفادت بقايا تنظيم البعث والقاعدة من الانقسامات الموجودة والفراغ لتزيد من تكتلها وقوتها في المنطقة.

وبعد أن ظهر الرد الشعبي في داخل الدولة السورية بالمظاهرات السلمية وبسبب تدخلات الدول الخارجية وبالأخص تركيا وقطر والسعودية و بعدها الدول الاوربية ومن أجل اسقاط النظام السوري هذا من جهة ومن جهة أخرى لكي لا يستفيد الكرد من الفراغ الذي كان يحدث في سوريا. قامت تركيا بفتح حدودها للمتطرفين الاسلاميين وارسالهم باتجاه روج آفا، وبسبب هذه التدخلات الخارجية لم يبقى شيء اسمه معارضة حقيقية، وليخرج من أحشاء هذه التطورات تنظيم داعش معلنا عن خلافة اسلامية بعد دخولها الموصل بتاريخ 11/ 6 / 2014 بدون أي مقاومة من الجيش العراقي الذي لاذ بالفرار تاركا الشعب في مواجهة داعش، ونتيجة ممارسات داعش اللاإنسانية هرب معظم السكان من مدينة الموصل وخصوصا الكرد والشبك والمسيحيين والشيعة، وقام بتدمير آثارها التاريخية وارثها الحضاري الذي يعود لآلاف السنين.

دخول تنظيم داعش الارهابي إلى سنجار:

بعد دخول داعش الى الموصل استولى على أسلحة وعتاد كثير، وكذلك على البنوك وبذلك امتلك قوة عسكرية ومادية لا يستهان بها خصوصا بعد استيلائه على بعض الآبار النفطية، ليبدأ بالهجوم على منطقة زمار وسحيلا وتلعفر، واتخذ تنظيم داعش مدينة الموصل مركزا له لما للمدينة موقع استراتيجي مهم، وعن طريق الموصل هاجموا على منطقة شنكال بوحشية وقتل الكثير من سكانها الأيزيدين الابرياء ودمروا قراها ومدينتها واغتصبوا النساء وسبي الآلاف منهم مربوطين بالسلاسل وحدوث هجرة اضطرارية افرغت من جميع سكانها.

وأخيراً، لأن مدينة الموصل لها بعد وثقل استراتيجي للعديد من الاطراف وذو خصائص متنوعة متعددة الديانات والقوميات ولكن الآن وضعها ما زال ضبابية ومستقبلها غير واضح المعالم وهذا مرتبط بالوضع الكردي خاصة والعراق عامةً مع التأثير الاقليمي والعالمي.

هەولنامەی کتێب

المصادر

د.نائل حنون ، مدن قديمة ومواقع أثرية.

ول ديورانت ، قصة الحضارة ج 2.

عبدالله أوجلان ، دولة الكهنة السومريين نحو الحضارة الديمقراطية.

د.عبدالعزيز المفتي، ولاية الموصل والحقوق الكردية بعد الحرب العالمية الأولى.

ابراهيم خليل العلاف ، الحياة الاجتماعية في ولاية الموصل 1515 -1918.

كردستان في منعطفات تاريخية

برادوست ميتاني

يتفق معظم الباحثين في التاريخ وعلم الآثار منهم المفكر العراقي الراحل هادي العلوي أن الشعب الكردي عريق بعراقة وقدم أرض كردستان وهو يعيش على أرضه الأم منذ ألاف السنين ويتميز في هذا عن شعوب المنطقة، وأنفرد في بناء حضارة عريقة انطلقت من موزوبوتاميا العليا حيث جبال طوروس وزغروس، ثم انطلقت منها نحو موزوبوتاميا السفلى ورفدت الحضارات اللاحقة في سوريا ومصر وأوربا والعالم وذلك ما نبحث فيه بحيادية وشفافية متخذين من أقلام الباحثين المختصين حقائق لقناعاتنا في البحث بعيداً عن روح الميل إلى قوميتنا الكردية التي أنتمي إليها ولا أخفي بأنني لا أستطيع أن أكتم على شعوري لأنني فرحت كثيرا عندما عثرت على هذه المصادر عن تاريخنا الكردي الغابر ولو كانت بشق الأنفس لأنني كثيراً ما كنت أقلب صفحات عديدة من الكتب التي دونت بأقلام مثقفي الأنظمة للحصول على معلومة صغيرة من تخص تاريخنا، وبالرغم من قلتها ظهرت مؤلفات قيمة جديدة في الآونة الأخيرة بأقلام الكرد أنفسهم يكتبون عن أسلافهم الأوائل وتاريخهم الممتد إلى هذه السنوات الطويلة.

أن جهودنا المتواضعة في هذا المجال –مجال تسليط بعض من الضوء على مكامن التاريخ الكردي – تأتي للرد على أساليب الذين كانوا يغطون الشمس بالغربال عندما كانوا يوهمون الآخرين في كل مكان بأن الكردي لا وطن له هذا إذا اضطروا أحياناً إلى ذكر اسمهم إذ كثيراً ما سئلوا من هم الميتانيين أو الميديين فيجيبون بأنهم شعوب غريبة جاؤوا محتلين وكثيراً ما كانوا ينعتون الكاشيين بالهمجية متناسين حضارتهم على مدار ستة قرون في بابل وأكاد ويصفون الكوتيين (الجوديين) بالبابارية المتوحشة متجاهلين مدنيتهم الأولى في موزوبوتاميا منذ الألف السابع ق.م ونظامهم السياسي الديمقراطي المتحضر في بابل ما يقارب قرنيين من الزمن وهكذا بالنسبة للهوريين أصحاب سوريا الأوائل منذ أكثر من اربعة آلاف سنة في كري موزان حيث العاصمة أوركيش وفي فلسطين حيث آثار مجدو ومصرمع الهكسوس.

من المؤكد كما اسلفنا فللشعب الكردي تاريخ عريق يمتد إلى آلاف السنين في أرض كردستان التي أنجبت الحضارة الجودية والسوبارية والكاشية و الآراراتية والميتانية والميدية واللورية وإمارات في شهرزور وآمد وميافارقين والحسنوية والبدرخانية وغيرها وبالإضافة إلى الثورات القومية من قبل الشعب الكردي التي كانت تهدف إلى التحرر والاستقلال إلى جانب ذلك دور الشعب الكردي في بناء الدولة الحديثة في كل من سورية والعراق وإيران وتركية وهو يفتخر بذلك كونه قدم للبشرية حضارة عريقة لا تقل عراقة حضارات الأمم الأخرى.

من حيث اللغة : كانت الكتابة مسمارية وقد أتفق معظم الباحثين بأن أختراعها جاء على يد ثقافة ممزوجة مختلطة لا تعود لقومية ما في 3500 ق.م أي قبل تأسيس الدول علماً إن سومر حينها تشهد وجود العنصر الكوتي أي الجودي مؤخراً ثم الإيلامي من بعده ولاحقاً الكاشي الكوتي هؤلاء الذين تركوا أثراً حضارياً عميقاً في سومر لفترة تزيد عن ثمانية قرون تركت حضوراً في اللغة المحكية

أدت إلى أن يستخدم الأكاديون اللغة الإيلامية بدلاً من لغتهم وتشترك اللغة الإيلامية مع السومرية على أنهما لغتين لاصقتين. أن الكلمات والأسماء المشتركة بين الكردية والسومرية كثيرة جئنا ببعض منها على سبيل المثال: سومر المشتقة من سوبر أي سوبار أو سوبارتو (إحدى القبائل الكردية) -كار أي العمل -كوي أي الجبل، هذا الاسم المستخدم حتى الآن لدى إخواننا الصورانيين – لوكال هذا اللقب للأمير أو المسؤول في السومرية والكردية لو (الرجل) وكال (الكبير)- كلكامش هذا الاسم هو لبطل ملحمة كلكامش ملك أوروك معنى كل (كر) كامش (جاموس) أي الجاموس الأقوى – قصدير هذا المعدن اسمه مشتق من كاشي وأصبح لدى اليونانيين كاسيت ثم كاسيتير – الرفش اسمه مر – روفي أي الثعلب - توبو داناتو أي كاتب الطابو للأراضي –القرميد يعني الآجر الناري أي آكر – زاكوتو هذه كانت ضريبة تعفى دور العبادة أي الزكاة – شار كشاتي الملك العام أي شاه كش- خور أي الشمس اسم الإله – مي أنثى - إينا هو اسم لإلهة أنثى وما زال اسم مبارك ليوم إسبوعي لدينا وهو إين – نك أي لنك القدم – آكر النار – دب أي اللوح – مشكين أي مسكين (وهي الطبقة الدنيا من المجتمع الكاشي والحوري)- زند أي الساعد – آ أي آف الماء – نندا أي نان الخبز – ساك أي ساري الرأس – تير السهم – كة أي كةنم القمح-شة أي شة أو جة الشعير –ستم ستمكةري الحداد-نةرار نةشار النجار –غيد غا الثور-قول أي كولة خادم – قيزك الفتاة- ميش الذباب –كاكا الأخ الأكبر وأحياناً العم – غوت أي جوت المحراث – سركون أي سر كوند رئيس القرية – باران المطر- تي العطش – باتيسي أي باتيشاه الملك – بر كثير–دار شجرة - كور عميق – كما أن مدينة بابل عرفت في التاريخ باسم كردونيا .

عاصر الكرد في وطنهم كردستان العصور الحجرية الثلاثة القديمة والوسطى والحديثة خلال ظهورالإنسان الأول : آركتوس حيث تم العثور على بقاياه في منطقة قارس في شمال كردستان وإنسان كروماينون في ماردين ووان وهوموسابيناس في كهوف جولميرك(هكاري) وإنسان نياندرتال في كهف دودري في جبال ليلون بعفرين بالإضافة إلى مواقع كردستانية أخرى ظهرت فيها بقايا وأثار الإنسان القديم مثل كهف شانيدار البرادوستي وتل جرمو وتل حلف وحسونة وكري نافوكي وسوزا (وسنأتي في الكتاب علي هذا بشيء من التفصيل).كان ذلك الإنسان يعيش في الغابات يقتات النباتات ويأكل اللحم الني ثم أنتقل إلى الكهوف وشاهد خلالها العصور الجليدية الأربعة التي تسببت في إنحسار قسم منه عن الجبال -أي البشر- نحو السهول إما في موزوبوتاميا أو خارجها إلى أقاصي قارة آسيا وأسفلها .أماالمتباقون في كردستان وبعد ذوبان الجليد في الألف الخامس عشر وظهور المروج الخضراء والينابيع والأنهار في جبال طوروس وزاغروس ووديانها وسهولها شكلوا النواة الأولى للمجتمع المدني من خلال مجتمع كلان الذي مهد لظهور الحضارة الكردية ما قبل الآرية عبر الدول الأولى كالكوتيين والإيلاميين والهوريين والسوباريين والوللوبيين والكاشيين ثم عودة اولئك القدامى الكردستانيون الذين كانوا قد هاجروا فاختلطوا معهم من جديد مشكلين العرق الآري.وظهور الدول الجديدة كالميتانين الهوريين والكالتيين والكانيين والميديين وكانت بلاد الكرد قد شهدت الحادثة الكبرى وهي الطوفان العظيم الواردة في الكتب السماوية وميثولوجية الشعوب متجسدة بشخصية النبي نوح (زيو ستر) عليه السلام – أبو البشرية الثاني_ وبهذا تصبح كردستان مهد البشرية عبر جبال جودي أو أغري في الألف السادس قبل الميلاد والتي انطلقت منها هجرات جديدة إلى الهند وما وراء القفقاس والبحر الأسود فأوربة ليتفرع الآريون إلى هندوأريين وهندوأوربيين وليبقى منهم الكرد في وطن آبائهم وأجدادهم كردستان.

يعود الفضل إلى أسلاف الكرد الطوروسيين الزاكروسيين في إدخال المعالم المدنية

المحدثة إلى سومر في هذا يقول جان كلود مارغون في كتابه ،السكان القدماء لبلاد مبين النهرين : وعندما تفيدنا النصوص بشكل واف في بحث تطور العلاقات التنازعية بين بلاد ما بين النهرين وساكني الجبال يجب القول أن التاريخ بكامله خضع لنزول هؤلاء الأخيرين الى السهول وللنزاعات التي تقودها المدن ،مثل نارام سين والوللوبي وسيطرة كوتي وتمركزالسكان الحوريين إلى الشمال وسيطرة الكاسيت (كاشيين)- أماعيلام أو الميتاني أمثلة (الحديث ما زال لجان كلود) أخرى عن مملكة الخيالة في السهل والجبل التي تبين بأن البناء السياسي لم يتم تشييده على الحوض (بلاد الرافدين) فقط بل أيضاً على الأطراف.

يذكر الباحثان د.عيد مرعي ود. فيصل عبدالله في كتابهما الذي يحمل عنوان تاريخ الوطن العربي القديم أن كثيراً من العوامل للحضارة السومرية مثل الطوب المجفف والجدران الملونة المزخرفة بالفسيفساء والأواني والأصنام الحجرية والدمى الفخارية والأختام وأشغال المعادن قد ظهرت منذ الألف السابع والخامس في شمال العراق وأن حفائر شوجامي قد وطدت الصلة بين ثقافة سامراء وتلك التي عاصرتها أريدو وحاجي محمد وأن ثقافة السامرائيين أنفسهم تتعلق بسكان الأدوار الحجرية الحديثة في شمال العراق وكردستان وأعالي الدجلة .

يقول المفكر والسياسي الكردي عبد الله أوجلان في كتابه مانفيستو الحضارة الديمقراطية (المدنية) مجلد (1) : أن لفظ آري يشير إلى أصحاب أولى هوية ثقافية في هذه الأرض ، لذا بإمكاننا اعتبار الآريين مبدعي الزراعة كونهم أول من بدأ بفتح الأرض الواقعة شمال الساميين للتطور الزراعي وفي مقدمتها قوس سلسلة جبال طوروس وزاغروس كرقعة نواة .

قال الباحث سبايزر: أن عنصر التقدم والنهضة تم في لاغاش في عهد الملك الكوتي ،كوديا كما قال جان كلود مارغرون عن زمن الجوديين أي الكوتيين في سومر وبابل: كانت المبادلات والنقل للمواد تجري بدون صعوبة يسبق ذلك رواج تداولها مثل النقوش الفاخرة في جوديا ولاغاش والكلفة الضخمة لنقل بعض المواد من سورية من خشب الارز والاخشاب الاخرة الثمينة والأحجار المقصوبة او من البلاد المشاطئة للخليج ووادي الهندوس من خشب شجر الابانوس والذهب والنحاس والحجر البركاني الديوريت والعقيق الأحمر لبناء المعابد للإله نان جرسو وإن خواتم ورسوم تعود إلى العصر الكاسيتي تظهر أداة الحرث للزراعة تجرها الأبقار.

ذلك دليل على إن الكاشيين طوروا أساليب الزراعة والفلاحة واهتموا بالخيول والعربات والفنون والصنايع وفن الكتابة والخط كما إن يعود الفضل إلى الكوتيين بأنه أول من وضعوا نظام سياسي ديمقراطي لا مركزي فدرالي في سومر وبابل معتمدين على تشكيل مجالس محلية للقبائل والمكونات الاجتماعية والعساكر وقد سبقوا في هذا سورية ومصر بقرون .

الكرد أول من وضعوا بناء نظام سياسي قائم على الديمقراطية وحق المكونات الإجتماعية في القرار العام بصورة جماعية في تاريخ المنطقة على أساس التصويت والانتخاب في المجالس الشعبية على يد الكوتيين في بلاد الرافدين (موزوبوتاميا العليا والسفلى).

يقول في ذلك الأستاذ صلوات كولياموف في كتابه آريا القديمة وكردستان الأبدية : لم يكن للجوديين ملك إذ عاش الكوتيون الكرد في زمن الحرب مع آكاد بقانون الديمقراطية الحرب ، حيث كان أثناء العمليات الحربية يقوم مجلس القبائل باختيار قائد عسكري مشترك ، يخضع له زعماء جميع القبائل الأخرى ،وكان حكم الجوديين قوياً جداً في سومر وأن لوغال (الزعيم) المدن والقلاع والناموس (مقاطعة) قدموا أتاوات ضخمة، وخلال ذلك بقي السلام الكامل سائداً فيما بين النهرين، الأمرالذي يجب النظر إليه كعرفان من السومريين للكوتيين لأن الكوتيين أنقذوا

السومريين من الذبح والجينوسايد من قبل ملوك آكاد ولا سيما من الملك ريموش الذي أمر بذبح 50 ألف سومري. وأن حضارة سومر الأولى في العالم بناها المنتمون إلى زاغروس وإيران (سوزا الإيلامية وكرمنشاه) ، وحسب الأرقام الأركولوجية فأن تغلغل هذه القبائل في موزوبوتاميا قد حدثت في مرحلة من الألف السادس والخامس قبل الميلاد .

كردستان في العصور القديمة

تكونت المعالم الجغرافية كالجبال والوديان والسهول والهضاب والأنهار والينابيع على أرض كردستان عبر الأزمنة الجيولوجية ولعبت دورا كبيرا في توطين الأنسان القديم منذ ملايين السنين واستفاد هذا الأنسان من أشجارها وكهوفها ثم البيوت لاستمرار حياته وأحيانا أضطر الى الهجرة سواء داخل كردستان أو خارجها بسبب موجات الجفاف وأحيانا موجات الجليد .

1- خلال العصور الحجرية القديمة (الباليوليتي):

منذ ظهور البشرية حتى عشرة ألاف عام قبل الميلاد. عاش الأنسان في هذه الفترة عاريا على اغصان الاشجار متغذيا من فواكهها وعلى اصطياد الحيوانات ثم سكن الكهوف وتعرف على النار لشواء لحم الحيوانات وقد استفاد من النار في مجالات اخرى كالحماية من الحيوانات المفترسة وقد صنع لنفسه من الحجر ادوات استخدمها في حياته اليومية كالمثاقب الحجرية القديمة وسكاكين ورماح وفؤوس غليظة ودقيقة. ظهرت أثار هذا العصرفي كردستان في هذه المواقع التالية : شرق كردستان بموقع كلي صور القريب من بهستون وكرمنشاه وفي جبال بختياري أما في جنوب كردستان فقد ظهرت هذه الأثار في مواقع بردا بلكي شمال شرق جمجمال على طريق مدينة السليمانية وفي كهف شانيدار المشهور وفي موقع يلكا بين السليمانية وكركوك يعود الى 120 ألف عام حسب قول أكزينفون وقد عثرت البعثة الأثرية بقيادة رالف سوليكي 1959- 1961 م على سبع جماجم وعظام في كهف شانيدار الكائن في جبال برادوست وتسمى عند الأركولوجيين بالبرادوستية وهي عظام لأنسان نياندرتال وهومو سبينس الى جانبها كيس من بذور القمح والشعير. في شمال كردستان ظهرت أثار هذا العصر في جبال نمرود غرب وان وفي جبال جولمرك (هكاري) وفي جنوب مدينة قرس وهي عبارة عن عظام أنسان آركتوس المنتصب على أقدامه لأول مرة العائد زمنيا الى مليون عام، كما عثرفي منطقة موش على عظام أنسان نياندرتال الذي يعود الى 100 الف عام وكذلك في شمال مدينة ماردين وجدت عظام أنسان كرومانيون العائد زمنيا الى 32 ألف عام الساكن في بيوت تحت الأرض .

في غرب كردستان عثر الأركلوجي الياباني تاكيرا أوكازاوا على عظام أطفال في كهف دودري الكائن في جبال ليلون في عفرين شرق النهر وهي تعود الى مئة ألف عام لأنسان نياندرتال محفوظة الآن في متحف حلب بأسم عظام أطفال كهف دودري بعد أن تمسك هذا العالم (تاكيرا أوكازاوا) بالأسم الكردي دودري بعد محاولات النظام السوري بتعريبه الى أسم كهف حيدري.

2- خلال العصور الحجرية الوسطى (ميزوليتي) من 10000- 9000 سنة ق.م

عثرالعلماء البولونيون في جنوب كردستان بالقرب من مدينة دهوك على خمس بيوت مستديرة تدل على غنى قاطنيها الذين يربون الغنم والغزال والوعل ويمارسون الزراعة كالخضرة والقمح كما عثروا على بعض الرحى والمدق الحجري وبعض الحبوب وسلال القمح أما جدران البيوت بنيت من

الطين على أساس حجري تتخللها أكواخ مستديرة برزت الحداثة في أدواتهم لأنها كانت مصقولة و حادة ومثقوبة بالضغط بعضها من العظام كالخرز وبينها مطارق صغيرة وسكاكين ومناجل ثبتت مقابضها معها بمادة القار وثمة بعض حلي الزينة مصنوعة من العظام و اسنان الحيوانات .

في هذا المجال غير موقع كري نافوكي (كوباكلي تبة) القريب من مدينة الرها في شمال كردستان الكثير من الحقائق التاريخية كونه يتضمن أثارا أكثر تطورا وحضارة من غيرها وتعود الى الألف الثاني عشر ق.م من حيث المجتمع والميثولوجيا والكتابة والرسم وهندسة البناء والثقافة التي أبدعت في العمران الحجري والأعمدة العديدة على شكل حرف T .وظهرت فيه المفردات التالية : جيو (مكان) ، أرد (أرض)، زن(إمرأة) ،روز (شمس) ،برا (أخ)، مر (موت) ،صول (حذاء)، نيو (جديد) ، غا (ثور) ،غران(ثقيل أو كبير) ، مش (مشي) ،خودا (رب) ، وغيرها من ألاف المفردات.

كما عثر على أثار هذا العصر في جنوب كردستان منطقة زاوي على نهر شانيدار 4 كم بالقرب من نهر الزاب الأعلى وفي موقع كريم شهر على نهر كورة على بعد ميل شرق جرمو بالقرب من مدينة جمجمال و كذلك في موقع بالي كورة .

3- خلال العصر الحجري الحديث (نيوليتي) 5600-9000 سنة ق.م بدأت الثورة الزراعية و تعزز مجتمع كلان بقيادة المرأة وتقديسها مع ظهوربوادر المعتقدات الدينية المنظمة و ظهور الحرفة في العمل و تربية الماشية و الغنم والبقر و الكلب وانتقل المرء من مرحلة جمع المونة إلى انتاجها وتحول المجتمع من حالة التنقل إلى التجمع القروي اي أن ظهور الحياة المدنية بدأت من هذا العصر وأصبحت الحضارة ظاهرة ملفتة مع الشعور بالملكية الشخصية ونمو المعرفة حيث تم تقسيم الوقت كالنهار و الليل والشهر و السنة وفق التقويم الشمسي وبدأ تقديس الأم كأله والأيمان بحياة الأخرة بعد الموت لهذا نقول بأن الحضارة ظهرت في موزوبوتاميا .

آثارهذا العصر :

ظهر في موقع تل جرمو بيوت مستطيلة عددها من عشرين إلى خمسة وعشرين منزل مؤلفة بذلك قرية تضم مئة وخمسين ساكن يستخدمون سلال من القمح والشعير و العدس والفستق والبلوط وبعض الصناعات المتطورة المكتشفة من قبل جيمس ميرلات كما يحوي الموقع فؤوس حادة ورحى حجرية مستديرة كذلك مع ملاعق وخواتم وأسورة رخامية جميلة منقوشة .

أما في تل حلف (غوزانا) في غرب كردستان بالقرب من سري كانيه فقد انتشرت الثقافة من هناك نحو الزاب الأعلى وطوروس وأناضول واستمرت حتى 4300 ق.م منها الكتان والأدوات الحجرية والعظامية و أبنية ضخمة و منازل مستديرة ذات الاساس الحجري و الجدران الطينية السميكة ، فحجم حجر الركن 5،5 م كما عثر في الموقع على أختام طينية و على مظاهر تأليه الأم وقد كانت قبورهم تحت البيت تضم عظام الميت و رأسه باتجاه الغرب احتراما لشروق الشمس(كما هي العادة عندنا) كما عثر على أواني وخرزات حجرية منقوشة ورسوم للطيور و الحيوانات ، كما تضمنت هذه الآثار قصة الطوفان لنبي نوح على جبل نيسير وهي قصة سومرية (اسم الجبل الآن في كردستان بيرو مكرون) كما أن موقع حسونة القريب من الموصل يحوي على آثار تعود لهذا العصر .

- العصر الحجري المعدني 5600- 3500 ق.م :

صنع الإنسان أدواته من المعدن واستخدمت في الزراعة المتقدمة فازداد الانتاج وانتقل إلى

الطور المبادلة العينية للمحاصيل الزراعية ، وتم الاختصاص في الحرفة والعمل وظهرت بوادر العلاقات التجارية كذلك بالنسبة لملامح الدين و القومية .

من المعلوم إن الحضارة بدأت من موزوبوتامية العليا ومن المركز جبال زاغروس وطوروس ثم انتشرت نحو سومر وسوريا ومصر وأوربا وأسيا والعالم أي من موطن الأكراد بدأت و أولئك الأخوة الأكراد الذين هاجروا من زاغروس باتجاه الهند و أوربا و أمريكا هم آريون فيقول المؤرخ – ميجر سون – نحن السكسون أحفاد هؤلاء الأكراد الكالتيين خرجنا من كردستان وكذلك يقول ويلي ديورانت إن الجرمانيين أحفاد الكالتيين اللذين هاجرو من كردستان وإن القيصر الروماني ألقى تسمية بيريتان على الإنكليز فسميت دولتهم بريطانية ، من المعلوم إن اسم بيريتان هو اسم لقبيلة كردية .

مهما توزع وانتقل الكرد فإنهم مازالو يعيشون على أرضهم منذ تاريخ البشرية من إنسان آركتوس و النبي نوح وغيرهما حتى الان.

أقسام الآريين :

1- المجموعة الغربية (هندو أوربي)

هيتي(حثي)، ليدي، يوناني، أيطالي، فرنسي، اسباني، ألماني، هولندي، انكليزي، أيرلندي، ويلزي، لاتفي، ليتواني روسي، تشيكي، بولوني، أوكراني، صربي، كرواتي، بلغاري، أرمني، ألباني.

2-المجموعة الشرقية؛ (هندوآري)- وهم ثلاث فئات، الأولى قديمة:

ميتاني ، كاشي، هوري، سوباري، كالتي، ماننای، جودي، لولو، كاردوخ.

الثانية وسطى: سنسكريتي، ميدي، فارسي، هندي.

الثالثة حديثة: الشعب الكردي الحالي، تاليش، بلوش، أفغاني، طاجيك، أوستي، باكستاني، سنغالي.

تلك كانت حضارة أرض كردستان في الفترة المسماة ماقبل التاريخ أي قبل اختراع الكتابة أي قبل أن تتشكل القومية الكردية وتنفصل عن أخواتها من الأريين وذلك دليل على أن الكرد يعيشون على أرضهم منذ بداية ظهور البشرية ، على أرض موزوبوتاميا بشقيها العلوي و السفلي .

يستنتج القارئ من البحث السابق الحقائق التالية:

1- كردستان مهد الحضارة التي أشرقت شمسها نحو سومر وسوريا و مصر و آسيا والعالم

2- الكرد أمة لم تغادر وطنها منذ القدم

3- الأوربيون ومنهم الألمان و الاسكندنافيون والسلافيون ذو أصول قديمة تعود إلى موزوبوتاميا لأسباب كالجليد الكبير الذي كان منذ عشرين ألف سنة قبل الميلاد وكذلك بالنسبة للهنديين والأفغانستانيين وغيرهم.

4- موقع كري نافوكي عند الرها صاحب أقدم حضارة شهدت ثورة المدنية وبذلك خلط بين أوراق الباحثين و الأركولوجيين الذين يجب عليهم أعادة ترتيب التاريخ وفق حقائقه الصحيحة منها اختراع الكتابة التي تداولت بفترة 3500 ق.م، ولكن كري نافوكي سبقها بآلاف السنين.

5- إن العلاقات الاجتماعية بدأت من كردستان ضمن تجمع كلان.

6- ظهور المعدن و النحاس في كردستان سبق ظهوره في أوربا . الكوت (الجودي) KOYTÎ- KORTÎ- KORDÎ- KURDÎ 7000 – 2109 ق.م

تعد القبائل الكوتية من السكان المحليين الأصلاء كغيرهم من القبائل الكردية التي

عاشت في الأودية والسهول الخصبة لسلاسل جبال زاغروس (ZEGROJ في اللهجة الزازية شروق الشمس) وطوروس (TOROJ في اللهجة الزازية غروب الشمس) .

يعود تاريخ وجودهم فيهما إلى ما قبل تشكل العرق الآري أي إلى فترات العصور الحجرية في وطنهم كردستان .

وضع البوفيسور سبيذر نظرية مفادها إن الكوتيين أجدادالكرد وقد التقى ذلك مع رأي سيمكا نوي كرامر والعلامة محمد أمين ذكي والعالم الأمريكي جون كاميرون .

يقول بعض الباحثين –منهم المناضل عبدالله أوجلان - أن اسمهم ينسب إلى كوي-تي أي العلو في اللغة الكردية هذا العلو الآتي من الجبال حيث كانوا يستوطنون، أي سكان الجبال.

يقول صلوت كولياموف يرجع اسم جودي الى الاسم القديم كوتي ذو الأصل الكردي الذي يعني رغيف او قرص من دقيق القمح الابيض المطبوخ الحلو أي كاتا الذي يستعمله الفرنسيون باسم كاتو هذه الحلوى التي استخدمتها القبائل الجودية عندما تحتفل بسلامة قطعان ماشيتها بعد مضي مئة يوم على عيد الأكباش إذ أن الجوديين عرفوا في تاريخهم القديم بكثرة الماشية الى جوار شهرتهم في الزراعة وخاصة القمح و الشعير وذلك خلال الألف السابع قبل الميلاد إذ تم اكتشاف قراهم على نماذج تل جرمو ومستوطناتهم في الأودية الجبلية وسفوح جبال زاكروس ووجد الأثاريون فيها أدوات الجوديين من حجر صوان كالمنجل المقوس لحصاد القمح وعظام كثيرة مقشرة لتصنيع جلود الحيوانات وأستخدمت المواقد بكثرة لصناعة الخبز والتدفئة وأماكن لعبادة الإله داخل بيوت مبنية من الطوب بعد إن نزلوا من الجبال الى السهول بما يدل على ان الكرد الجوديين عاشوا على شكل حضر منذ الالف السابع ق.م

اما الالف السادس زاد انتاج القمح من قبل الجوديين قاطني مستوطنات جرمو بواسطة منجل صواني

يتمكن من جمع أربع أرطال من القمح في ساعة واحدة ويدرسه في الأجران ويغربله بينما كان سكان موزبوتاميا السفلى يعيشون في مستوى حياتي أدنى جداً عندما كانوا يمارسون عملية الالتقاط البدائي بذلك نقول إن شمال موزوبوتاميا شكلت أساساً لجميع الحضارات القادمة الى ما بين النهرين خاصة في دور حضارة حسونا الكبرى على مقربة من الموصل التي ارتبطت بالجوديين الذين يعدون أول من استخدموا في تاريخ البشرية طرق الري الاصطناعي للارض ببناء قناطر وسدود ساعد ذلك الجوديين (اكراد حسونا) على زراعة ثلاثة انواع من القمح وأربع أنواع من الشعير كالقمح المهجن والحنطة الرومية والشعير ذات الصفين والست صفوف كما إنهم صنعوا الآقمشة من الكتان بدل من جلود الحيوانات التي أصبحت قديمة ومن الماضي كما أنهم صنعوا الصحون من الفخاري من طراز الفرموز والكؤوس الواسعة المزخرفة بالأشرطة المنقرة .

تحرك الجوديون من الشمال حيث العاصمة آرابخا الهاصمة (كركوك) نحو الجنوب على امتداد نهري دجلة والفرات حتى الخليج الفارسي (العربي) وأسسوا فيها مع قطعانهم مدن لارسا وأريدو وأنتقلوا في الالف الخامس الى النمط الزراعي المركز .

كما ان الجوديين أمتدوا إلى شمال سوريا بإتجاه سواحل البحرالأبيض المتوسط وأن حضارة تل حلف تشهد لهم ذلك وهي تشترك مع حضارة حسونا من الناحية الأثنية .
أول ملك لهم هو أنناتوم ملك لاغاش من حيث البناء السياسي للدولة الذي حارب بني جلدته في آيلام في القرن الواحد والثلاثين ق. م أما الملك لوغال زاغيزي كان ملكاً على أريخا وسومر في القرن التاسع و العشرين ق .م اذ

ان الكوتيين أنشأوا فيها دولة قبل ان تؤسس فيها أية حكومة سابقة لهم.

الجوديون الحاملون للغة الكردية القديمة انتشروا من جبال كردستان زاغروس و طوروس الى المناطق المجاورة منها في موزوبوتاميا السفلى ، أستولوا على بلاد سومر وأكاد معا عام2649 ق.م وظلوا فيها طوال 125 سنة وثمة من يقول من الباحثين مئتي عام حيث ظهرت بعد ذلك الدولة السومرية المشتركة مع الجوديين في ملامح الثقافة من حيث اللغة والكتابة سواء الكتابة التصويرية او الابجدية واللباس والميثولوجيا الدينية والطقوس الاجتماعية والاقتصاد والفن وتقسيم الكون الى صنفين اجتماعي نشط واخر خامل.

بني النظام الاجتماعي عند الجوديين على أساس مجتمع تحت قيادة المرأة لما تتوفر لديها من خصال قيادية وذكاء اما النظام السياسي فقد كان قبلياً مبنيا على أساس عشائري بقيادة مجلس يضم شيوخها المتقدمين في السن وقد ظل هذا النظام أمداً طويلاً ساعد على نشر الأمن والاستقرار دون نشوب نزاعات وحروب بين شعوب ايران القديمة وكذلك عدم الخضوع لفكرة سلطة الحاكم الواحد ولم يظهر ذلك إذا ما قسناه بشعوب مصر وسوريا وموزوبوتاميا السفلى الا بعد قرون. الكوتيون (الجوديون) يشتركون مع الكاشيين و الايلاميين واللولبيين بأصل واحد ولهجات متقاربة، والجوديون أول من وضعوا ثقافة سومر في المدن الإولى مثل آرينو و أوروك (اريخا)حيث تؤكد الخزفيات حقيقة انتقال ثقافة سكان جبال زغروس الى السهول الطمية لموزوبوتاميا في الألف السابع و الخامس ق م.كما انهم نزلوا تجاه كرمنشاه عبر كركوك و تل جرمو و خانقين وكذلك على طول نهر كرخ ومنطقة سوزا في شرق كردستان.

ترك الجوديون أثرهم في النمط السومري في الألف الثالث ق.م ،يظهر هذا في أوروك حول معبد اينانا ذو الإسم الكردي .هذا الاسم أي إينان في الكردية مازال يعني اليقين والإيمان - في البداية كان اسمها إين ، نلاحظ هنا الأصل المشترك لغوياً مع اسم إين أي يوم الجمعة وكذلك مع اسم دين أي الإيمان ،كما يظهر الأثرفي النمط السومري في الإيمان بالإله تيش باك اي ذيل الجبل النظيف ،واسم كوتانا هوالإسم الذي أطلق على المحراث القديم وهو المشتق من كوتا ، الاسم القديم لجودا أي للجوديين .بالطبع إن اللفظ بتلك الصيغة هو عربي لأنهم يقلبون كثيراً حرف الكاف الى الجيم وهذا ما حصل عندما ورد الاسم في القرآن الكريم على صيغة جودي. شكل الجوديون والسومريون جانباً واحداً في الزراعة وتربية الحيوان وسيطرت ألهة الجوديين على السومريين في مناطق كيش وأشنونا وسيبار إذ إنهم كانوا أمراء للسومريين

فتح الملك الكوتي منطقة هالمان قبل سركون الأكادي الذي أسس السلالة الملكية الإولى لآكاد وسومر استمرت من 2316 حتى 2261 ق.م والتي سقطت تحت ضربات الجوديين بعد حروب طويلة وحسب الوثائق السومرية الاكادية فأن ساركون كان يعمل بستانيا لدى أور زابابا لوكال الرابع من سلالة كيش الملكية وهوالإبن الضال للمعبد من أسرة الألهة الجودية الكردية ألهة الخصب اينانا وأن معنى اسم سركون بالكردية سركند يعني زعيم القرية و يقول الباحث الروسي دياكو نوف ان الأكراد الإيزيديين هم أحفاد الجوديين لقد انتصر سركون الاول في حروبه باتجاه سورية و لبنان منطلقا من نيبور بدعم الجوديين المزارعين و رعاة الماشية في جبال طوروس و زغروس على امتداد نهر الفرات.

تقلد ريموش ابن سركون الحكم عام 2260ق م وحارب الجوديين وبدأ بشن حرب على كاكوالذي كان لوكالا على دولة اور فحطمه وأستولى على المدينة وقتل اكثر من 8000 انسان كما انه هاجم لاكاش ودمر مدينة كازال وقتل اكثر من 12 الف انسان وقتل ريموش فيما بعد بيد الكهنة . خلفه أخوه التوأم

مانيشتوش على الحكم الذي بنى معبدا لعشتارت على أرض نينوى الجودية.

بعد الملك الجودي دافازير الذي لقب نفسه ملك جهات الاربع من العالم حكم خمس حكام سومر فترة حكم كل واحد منهم ست سنوات هذا دليل ديمقراطيتهم وهم : ايمتا، اينكوشوم، سرلاكا، شولي، الالومش، حيث كانو يحكمون سومر من خلال نوابهم و يحصلون منهم على الاتاوات كما أن السومريين كانوا يستوردون من منطقة ماغدي التابعة لكركوك العاصمة الخشب وحجر البناء ومن ضفاف أورميا المعدن. جاء نارام سين على حكم أكاد 2237 ق م التي استمرت حتى 2200 ق م الذي قاد حرباً ضد العيلاميين و الجوديين ولكن الجوديون شكلوا حلفاً ضد أكاد من القبائل الكردية عام 2200 ق.م و دحروا جيش أكبر دولة سميت بإسم حرب أومان ماندا و قتلوا نارام سين ، ثم خلف نارام سين على حكم اكاد لودوثور شاركا ليشارلا 2200 حتى 2176 مستغلا أنشغال هنري دافا زير بحروبه في ايلام وتمكن من اسر الزعيم الجودي سرلاكا. قضى الجوديون على حكم الأسرة الأكادية في سومرو اكاد عام 2154 ق.م فتوسعوا نحو سوزا الآيلامية وظلوا مسيطرين على حوض الرافدين وقد خلد السومريون ذكرى هجوم الجوديين لهم بقصيدة تقول أن الأله أرسل الجوديين الذين لا يعرفون الخضوع لأي سلطة وإن إدراكهم كإدراك الانسان ولكن كلامهم مثل عويل الكلاب مندفعين من الجبال بأعداد كبيرة مثل الجراد مغطين وجه الارض

.

نجح الجوديون في السيطرة على سومر لأن السكان لم يقاوموهم بل استقبلوهم لكي يتحرروا من الاكاديين الغرباء ومن الجدير ذكره هو أن الجوديين شكلوا مع السومريون حلفاً عسكرياً بقانون ديمقراطية الحرب حيث تم تشكيل مجلس للقبائل بإختيار قائد عسكري مشترك يطيعه زعماء جميع القبائل للاستمرار في التصدي للاكاديين لكي لا يتم إعادة ارتكاب المجازر بحق السومريين من قبل الاكاديين مثلما حدث قبل ذلك عندما تم قتل قرابة خمسين ألف سومري على يدهم. في 21 أذار قام السومري اوتوخيجال في اوروك بانقلاب في القصرمنفذاً مؤامرة اثناء أحد الأعياد الدينية عندما أنتقل الكثير من المقاتلين الجوديين الى الجبال بالاحتفال بالعيد (لنقارن في اذهاننا بين 21 آذار هذا وعيد نوروز) فجمع اوتوخيجال أعوانه و هاجم عليهم ، قامت معركة عام 2109 ق.م بينه و بين تيريكان أخر ملوك الجوديين في سومر الذي أسر و أعدم بعد ان سلمهم له اهالي دوبروم مع أولاده وزوجته.

بعد ذلك اندمج الكوتيون في دولة اللولوبيين الكرد كما انهم شاركوا بعد ذلك أخوانهم الكاشيين في الهبوط نحو موزوبوتاميا السفلى وسيطروا على سومر وأكاد قائمة ملوك الجوديين في سومر : أيمتا – أينكيشوش – سرلاكا – شولمه – ايلولومش – اينيماباغش – اينكشوم – ايارلاغاب – ايباته – ايارلاغاب – ايباته – ايارلانكاب – كوروم – خابيلكين – لاى رابوم – ايراروم – ايبرانوم – خابلوم – بوزور – ايا رلاكاند – سي اوم – تيريك - الملك جوديا

لم يغب الكوتيون من الساحة السياسية من موزوبوتاميا إذ نرى أداد نيراري ملك اشور عام 1310- 1281 ق.م يقول اني هزمت جيوش كاساي و كوتي و لولوم و سوبارتو كما إن شماسم الاشوري 1280- 1261 يقول إن الشعب الجودي الذي كان نجمه يزهر في سماء العصر لم يكن متصفاً بالقوة و السلطان فقط بل كان معروفاً بالحزم و الشدة المتناهية و الارهاب و التدمير فقد قاومته بكل إرادتي لحد أريقت دماؤه كالمياه الجارية على امتداد منطقة أوراتري حتى كموخي أي من أرمينيا حتى تور شبا (طور عابدين) .

مملكة (آيلام- عيلام) - ÊLEm 4000 750ق .م

يعد موقع سوسا SOZA-هذه المدينة التي أصبحت فيما بعد عاصمة للدولة العيلامية القديمة -منبعاً للتاريخ خلال العصور الحجرية الثلاث القديمة ، الوسطى و الحديثة التي سبقت تكون العرق الآري، تبلورت فيها الحضارة التي تفاعلت مع حضارة منطقة موزوبوتاميا و حولها حيث يدل الموقع على الإستقرار البشري الآري وما قبله بعد أن سكن الإنسان في بيوت بسيطة البنيان وقام بصناعة أدواته الحجرية ومن ثم المعدنية وتربية الحيوان بعد تدجينه لها كالغنم و الماعز و الأبقار و الكلاب و غيرها و مارس بشكل رئيسي الزراعة التي كانت في مجتمع تقوده المرأة لما كان لها دور في القيام بالزراعة وأنجاحها في الريادة كما أن موقع مدينة سوسا يتميزآثارياً من غيره بأنه تم إكتشاف نصوص مكتوبة بالأحرف العيلامية الصورية (من الجدير ذكره ان نقش بهيستون الذي سجل عليه الملك الاخميني دارا الاول انتصاراته قد تضمن الكتابة العيلامية إلى جانب اللغات الأيرانية القديمة و البابلية وهو الأن في سفوح جبال زغروس مقابل مدينة كرمنشاه على بعد 60 كم تقريباً) والكتابة العيلامية القديمة الصورية تعود الى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد ومنها انطلقت الحضارة الحديثة بمبادئ الكتابة الى جانب العمليات الحسابية في جمع الأعداد ثم قامت فيها أكبر التجمعات العمرانية تركزت فيها الحياة المدنية منذ الالف الثالث ق.م عندما تأسس فيها أقدم نظام سياسي مدني بقيام مملكة عيلام عاصمتها مدينة سوسا الواقعة في الجهة الجنوبية من شرقي كردستان أي جنوبي غربي ايران وتعد سوسا مركز تداخل حضاري بين بلاد الرافدين و ايران الجنوبية بكل حضاراتها و ثقافاتها القديمة، والعيلاميون من الشعوب الجبلية على امتداد سفوح جبال زغروس من الشمال الى الجنوب و الشرق و ينحدرون من اصل مشترك و لهجات متقاربة مع الكوتيين و اللولبيين والكاشيين الكرد ومن منظومة شعوب زاغروس بمن فيهم سوبار وهور و كثيرا ما تعاونوا معا في وجه الأخطار المحدقة بهم وأحيانا أخرى دخلوا في حروب فيما بينهم مثلما حدث مع الكوتيين (الجوديين) عندما حارب ملكهم إننا توم الآيلاميين في القرن الحادي والثلاثين ق.م. امتد نفوذ العيلاميين من سهل سوسا الى منطقة الخليج فأصطدموا في ذلك مع الاكاديين وعندما أسسو أول أسرة حاكمة في الربع الأول من الألف الثالث ق.م وكانت نتيجة الصدام لصالح شاروكين الأكادي الذي نجح في دخول سوسا وضمها الى مملكته كذلك في عهد خلفه مانيش توسو الذي تحكم في المنطقة وممراتها التجارية مستورداً المعادن و النحاس و الأخشاب و غيرها أما في عهد نارام سين الأكادي فقد قامت ثورة عارمة بدايتها من عيلام و نهايتها عند نهر الزاب، تمكن نارام سين من قمعها و عين حاكم اكادي في سوسا وبدأت بذلك حرب ثقافية على العيلاميين إذ تم فرض اللغة الاكادية محل اللغة العيلامية كذلك بالنسبة للأسماء و غيرها .

عندما عين نارام سين حاكماً محلياً و هو أن شوشيناك أنتقلت السلطة في عيلام بالتدريج الى اهلها و بدأت علامات الإنفراج في الحالة الثقافية حيث تظهر النصوص العيلامية الى جانب النصوص الاكادية كما ان الحاكم العيلامي ان شوشيناك عمل على ترسيخ سياسة رصينة في البلاد وقيادة حملات نحو الشمال ألتقى خلالها ببني جلدته الجوديين و عقد صلات مباشرة معهم .

عاشت عيلام عهداً جديداً خلال حكم بوزور أن شوشيناك في 2670 ق م الذي نفذ أعمالا عمرانية ضخمة أدت سياسته الى توافد ممثلي القبائل والممالك الصغيرة إليه لتقديم الولاء له، ساعدت هذه السياسة على استعادة عيلام قوتها وأمجادها وخاصة بعد موت نارام سين وولادة شعور لدى هذا الملك (بوزور) بضرورة التخلص من التبعية للاكاديين و الاستقلال عنهم لذا هاجم الاكاديين وتمكن من نزع استقلال دولته عن الحكم الاكادي وكان ذلك بادرة لتحركات القبائل الكردية الأخرى ايضا

كاللولبيين والجوديين نحو سهول رافدين للتخلص من سطوة الاكاديين وهذا ما ادى الى تراجع دورالأكاديين شيئا فشيئا ليظهر دور ذلك الشعب الزغروسي الأصيل في موزوبوتاميا العليا من جديد.

عندما نجح الجوديون KOYTÎ في القضاء على الاكاديين قرابة 2150 توجهوا نحو بلاد سوسا حيث العيلاميين ونتيجة الصراع كانت سيطرة الجوديين على بلاد عيلام ولكن السلطة الحاكمة في اور بإسم الأسرة الثالثة البابلية تمكنت من تحقيق النصر على الجوديين و ابعادهم عن سومر و عيلام التي سيطروا عليها قرابة مئة عام أما العيلاميون فقد نهضوا من كبوتهم و قاموا بالتحرر من البابليين وطردهم ومن ثم ملاحقتهم حتى اور التي سيطروا عليها وقضوا على حكمها و جلبوا ملكها إيبي سين اسيراً الى سوسا العاصمة هذا ما يتضمنه نقش سومري عثر عليه في مدينة اور وهو يسرد أحزان وهموم السومريين أزاء تلك الكارثة التي يسمونها لعنة آكاد. ونهضت قوة ايرانية جديدة بإسم شيماس التي سيطرت على عيلام في أواخر الالف الثالث ق.م من منطقة أصفهان وكذلك ظهرت قوة جديدة في سومر بعد سقوط اور الثالثة وهي ايسن السومرية التي نجحت في حروبها مع مملكة شيماس بطردها واحتلال سوسا عاصمة العيلاميين .

لم يستسلم العيلاميون للمحتلين حيث نجحت اسرة عيلامية تحمل اسم سوغل ماه في الالف الثاني ق.م بطرد ايسن من البلاد عندما كان يحمل ملكها لقب ساعي الأله الأب ملك أنزان و سوسا لتدخل بعد ذلك عيلام من جديد أوجها الاستقراري و التوسعي ،حيث نرى الاهتمام بالدواوين و المعاملات التجارية وبالثقافة الدينية عندما ازدهرت عندهم ميثولوجيا الالهة الانثى للربة شالا و قرينها الذكر أن شوشيناك كما إن آيلام اصبحت المركز الاول في عصر البرونز من حيث التقدم المادي والاقتصادي في الهضبة الأيرانية اذا ما تم مقارنتها بالتطورات التي ظهرت في موزوبوتاميا حينذاك .اما من حيث التوسع فان احد الغزاة العيلاميين نجح في السيطرة على لارسا و تأسيس اسرة حاكمة فيها ثم التوجه نحو موزوبوتاميا السفلى و السيطرة على ايسن و اوروك و بابل لأكثر من قرنين ونصف من 2025 حتى 1763ق م عندما تأسست الأسرة البابلية الاولى و خاصة عند ظهور حمورابي الذي نجح في تقليص الدور العيلامي لسنين عديدة.

بعد ذلك واجهت عيلام ظهور قوتين وتحركهما ألا وهما التحرك البابلي الآموري الذي صمدت عيلام في وجهه و التحرك الثاني هو الآري من قبل قبائل كاشية في زكروس و كرمنشان الذي لم تصمد امامه عيلام حيث رضخت له عام 1570 ردحا من الزمن لتعود بعد ذلك الى مسرح السياسة في عهد الملك العيلامي ذو الاسم الهوري خورباتيلا ثم التصدي لهجوم الملك الكاشي البابلي كوري جالزو الثاني عند دور شولجي على الطرف الاخر من بلاد البحر ولكنه هزم وأنسحب الى عيلام فلاحقه كوري جالزو 1345 ق.م 1324ق.م حتى العاصمه سوزا (سوسا) ولكن الاحتلال البابلي الكاشي لم يستمر لأن عيلام عادت من جديد الى استقلالها ووحدتها على يد ملكها أكي خالكي.

ازداد ضعف بابل في عهد ملكها الكاشي كاش تيليتاش الرابع 1242_1235فتعرضت لهجمات جيرانها الاقوياء عيلام في عهد ملكها أونتاش جال(هوبان) الذي اشتهر بالعمران فبنى مدينةأونتاش وأسس زقورة جوغازبيبل على بعد 42كم جنوبي شرقي فدخلت عيلام في الخلاف على الحدود مع الكاشيين فقد استغله الاشوريون بقيادة كوكولتي نينورتا الاول فهاجموا بابل واحتلوها وقضو على الحكم الكاشي ولكن العيلاميون لم يتوانوا عن الاستفادة من ذلك وبعد انتظار طويل لتلك الاوضاع في بابل لكي يستعدو للهجوم على الاشوريين بقيادة ملكهم كيتن خوتران الذي

عبر نهر دجلة وأخضع مدينة ايسن ونيبور في وسط البلاد ثم تمكنوا في الهجوم الثاني من تدمير مدينة الدير وعندما قام كبار بلاد بابل بالثورة على السلطة الاشورية أستغله العيلاميون وهاجموا للمرة الثالثة عبر نهر دجلة ونجحوا في الوصول بعد مدينة ايسن الى منطقة موراد هذه المرة وبالرغم من تحقيق النصر على البابليين أقفلوا راجعين الى سوسا وهاجم العيلاميون بابل عام1160 ق.م بقيادة ملكهم شوتروك ناخونتي عبر نهر أولاي (كارون) واسقطوا مدن آش نونا ودور كوري جالزو وسيبا واوبيس اذ تكشف الحفريات الاثرية الحديثة مدى استفادة العيلامين من التحف الفنية الكاشية التي أخذوها من بابل.

بلغت عيلام اوج قوتها في عهد ملكها شوتروك ناخونتي ،الذي شن حروباً على خلفاء حمورابي واحتل بابل ونقل تمثال شريعة حمورابي وكتيبة نارام سين ، وكانت عيلام أول دولة كبرى فرض نظام في تاريخ ايران[8].إذ يعتبر من ذلك التاريخ إن كل شواهد عظمة بابل موجودة في سوسا منها تمثال الملك الاكادي مانيشتوسو ومسلة النسر للملك الاكادي نارام سين التي تخلد انتصاره على قبائل لوللوبو الكردية وكذلك نصب مدون عليه قوانين حمورابي كما تذكر حولية بإن الملك العيلامي شوتروك ناخونتي قد طرد زبابا شوما آدينا الكاشي 1160ق.م واطاح بحكومته ووضع ابنه الاكبر كردور (كوتير) ناخونتي بدلا عنه الذي يعود اليه الفضل إليه في فرض النظام والاستقرار في البلاد.

عاد الصراع من جديد على بابل بين الاكاديين الذين حاولوا دائما احتلالها وبين العيلاميين حكامها الذين عليهم الدفاع عنها عندما هاجم نبوخذ نسر1124-1103 ق.م (هذا ليس نبوخذ نسر الكلداني) من مدينة ايسن مستغلاً ضعفها في ظل ملكها العيلامي الجديد خوتيلو كوش(شولهاك) ولكنه أضطر للانسحاب بسبب مرضه ليعود بعد ذلك مستكملاً هجومه على عيلام حيث وقعت معركة بينهما على نهر كارون كان النصر فيها للاكادي الذي دخل العاصمة سوزا ثم نهب ثرواتها وجلب معه تمثال الإله مردوخ، ليسجل بعد ذلك هذا الانتصار في نقش على حجر حدود (كردور) نتج عن ذلك اخفاء عيلام لمدة ثلاثه قرون[9] متواصله من الكتابات الرافدية ليعود ذكرها في الوثائق الرافدية 821 ق.م كحلفاء للاراميين ضربوا من قبل الاشوريين .وفي 750 ق م اتحد الإيلاميون مع بابل ضد الآشوريين ولكن آشور بانيبال انتصر عليهم واحتل سوزا العاصمة وانهى الحكم الإيلامي فيها . ولكنهم ظلوا متمسكين ببلادهم دون التخلي عنها وما إسم مدينة آيلام الحالية إلا دليل على ذلك، من الجدير بالذكر إن العيلاميين كانوا يكتبون بلغتهم وعلامات مسمارية[10] وإن لغة لوللو تعد منتمياً اليها[11] كذلك بالنسبة الى كرديتهم التي لا تخامره شك فإن أبناء جلدتنا الفيليين ينتمون إليهم وهذا ما أكدته العديد من وسائلنا الاعلامية وكذلك احتفاظ جبل صغير بإسم ايلام حتى الآن ألا وهو كري ايلم (Girêêlm) الواقع بين شمال وغرب كردستان.

موقع الحمدي كتب

المراجع :

1 – مدخل الى تاريخ فارس وحضاراتها القديمة – محمد حرب فرزات ص 16 .

2- المصدر السابق ص 33 .

3- المصدر السابق ص 34 +37 .

4- المصدر السابق ص .36

5- المصدر السابق ص 39 .

6- المصدر السابق ص 41 .

7- المصدرالسابق ص 42 .

8- المصدر السابق ص 49 .

9- المصدر السابق ص 50 .

10-المصدر السابق ص 50 .

11-كرد وكردستان – محمدأمين ذكي ص76.

برادوست ميتاني 5-9-2626كردي .25-11-2014م

المصادر :

1- المفكر الكردي عبدالله أوجلان- مانيفستو القضية الكردية المجلد الخامس –ص.87

2- مجلة الحوار العدد 32 – مقالة الكاتب أحمد

3- مجلد صوت كردستان العدد 72 الاستاذ عبدالله شكاكي.

المصادر :

1-تاريخ أسلاف الكرد – د. أحمد محمود خليل- ص.15

2- منهم د.سلطان محيسن في كتابه عصور ما قبل التاريخ ص.156

3- الحوار العدد 32 – مقالة الكاتب أحمد باكاسي .

4- المصدر السابق – وعصور ماقبل التاريخ –د. سلطان محيسن ص281- وأسلاف الكرد –د.أحمد محمودخليل ص.15

5- المفكر الكردي عبدالله أوجلان- مانيفستو القضية الكردية المجلد الخامس – ص87.

6- المصدر السابق – ص87 – المجلد الأول(المدنية) ص108 .

7- المناضل حسن هشيار – ذكرياتي وتجاربي ص.36

8-أسلاف الكرد –د.أحمد خليل –ص16 – عصور ما قبل التاريخ – د. سلطان محيسن ص198-موجز تاريخ سوريا القديم –محمد حرب فرزات ص53 ،وآريا القديمة وكردستان الأبدية- صلوات كولياموف ص.53

9- تاريخ أسلاف الكرد د.أحمد محمود خليل – ص24.

جدل الانفصال والوحدة

د. سربست نبي

بداهة هذا السؤال لاتبرر طرحه إلا من زاوية الإستهجان والاستغراب من مطالب الكرد، ممايريدون..؟!! والإرتياب في شرعية حقوقهم أو طموحهم وتطلعهم لوضع أمثل مستقبلاً. فهذا السؤال يضمر استياءاً خفياً وعميقاً أعمق بكثر من الحياد المعرفي الظاهر، الذي يدعيه. ليس بريئاً بالقدر الذي يعلن فيه عن نفسه بصفته موضوعاً للبحث والتناول المعرفي أو السياسي فحسب.

ما يريده الكرد يتعلق بإرادتهم، ولايتعدى موضوعه حدود إرادة الآخرين، ولهذا لايمكن أن يكون مايريدونه عبئاً أو على حساب الآخرين. إلا إذا أراد الآخرون أن يدسّوا إرادتهم بوازع ما في موضوع إرادة الكرد.

الإرادة المقصودة هنا إرادة عامة، وبعبارة أخرى هي هويّة نوعية في التاريخ. وليست إرادة كمية. لهذا لاتقاس أهدافها وشرعية مقاصدها بمعيار كمي. إنها إرادة الحق، الحق بصفته موضوعاً وغاية للإرادة.

وطالما إن الأمر يتعلق بالإرادة، فالكرد وحدهم معنيون بمصيرهم في سوريا، وهم من يقررون أن يكونوا سوريين حقيقيين بإرادتهم الحرّة. لا مرغمين أو مكرهين بوصاية غيرهم وإرادتهم. لا أحد يستطيع أن يجعل الآخرين سعداء مكرهين، أو يرغمهم على دخول الفردوس. الذين لايؤمنون بحق البشر والجماعات في العدل والمساواة والحرية يستطيعون ببساطة شديدة أن يتنكروا لهذا المبدأ ويرفضوه. إن ما يجعل الكرد سوريين ويحثّهم على الكفاح لأجل سوريتهم هو فقط الأمل في الحرية وليس أيّ شيء آخر. لا مداهنات أخوية، ولا تملق آيديولوجي مجاني من أي صنف أو نوع، ولا أية مصادفة تاريخية اعتباطية جعلتهم سوريين دون إرادتهم. بقدر ما ستكون سوريا حرة، وبقدر ما سيكونون أحراراً فيها ومتساوين مع غيرهم، سينحازون لها.

الكرد في سوريا (غرب كردستان) لا يتفيؤون بظلال تاريخ أحد، ولابشرعيتهم السياسية. وشرعية حقوقهم تنبثق من هنا بالذات، لا من أيّ مصدر آخر. وهذه الحقوق تتمثل في مبدأ رئيس وبدهي، هو حقهم في تقرير مصيرهم وفي أن يكونوا سوريين بإرادتهم الحرّة.

الوجود الكردي حقيقة تاريخية وجغرافية علمية، وحقوق الكرد ليست بدعة أيديولوجية أو اختراع سياسي. وهذه الحقيقة أقدم بكثير من حقيقة سوريا السياسية وأكثر شرعية من الناحية التاريخية. وكما أنكم لاتستطيعون إنكار الحقيقة العلمية لـ(تفاحة نيوتن) فلا يمكنكم إنكار هذه الحقيقة العلمية التي يمكن التحقق من علميتها بالرجوع إلى التاريخ. يمكنكم أن تتنكروا للحق أو الحقوق أو تساموا عليها أما الحقيقة العلمية فمن المحال تجاهلها.

الشعب السوري واحد...هذا الشعار لم يعد سوى خرافة حسنة النيّة. فقط لاحظوا حجم الحقد والكراهية والعنف الرمزي المقنّع في خطاب المعارضة الإسلامية، راقبوا مشاعر الشارع عبر ترجمة الشعارات السائدة لديه (النصيريون المجوس، الكرد المرتدون، المسيحيون الكفرة، الدروز. الاسماعيلية....الخ) وهذا الأمر لم يعتد يقتصر على الشحنات الانفعالية في الشعارات المعلنة، وإنما أخذ يتجسد في عمليات الانتقام المتبادل التي حصلت وتحصل على نحو متزايد ومكثف في معظم المدن السورية. بداهة النظام أراد ذلك وسعى إليه بكل طاقته، ومن يسّر له هذا الأمر ومنحه الشرعية هي المعارضة المتأسلمة وحلفائها كي يبرروا بهذا خطابهم ويسوّقوه على أنه خطاب الإنقاذ الوحيد والبديل. لقد هللوا في الخفاء لهذا الأمر ونجحوا بموازاة فعل النظام في تحقيق هذه الكارثة، وتقاسموا معه المنافع غير البريئة لهذا الهدف

السوريون ساروا ويسيرون قدماً بخطى راسخة على دروب الكراهية نحو عداوة أبدية. من يدفعهم إلى ذلك يدركون ذلك جيداً، ويملكون من الخبث والعقل الشياطني مايجعل التعايش بينهم محالاً بعد اليوم. والثورة السورية التي بدأت كثورة عظيمة انتهت كسيرك عملاق للقتل والخراب، انتهت كجحيم مفتوح يلهو فيه جميع شياطين الأرض وأقزامه. الآن صار بوسع كل لص وقاطع طريق وبهلوان ومخادع أن ينتحل صفة القديس ويقحم نفسه فيها.

الكلّ مارس ويمارس فعل التقسيم، ممارسات الجميع أفضت وتفضي إلى تقسيم البلد اجتماعياً وجغرافياً وسياسياً، الكل بالفعل انفصاليين ويفصلون بين السوريين بأسوار الجماجم والدم، الإخوان، السنة العرب، التركمان، وحدهم الكرد المتهمون هنا بالانفصال دون غيرهم، الكرد هنا مشجب فعل التقسيم ونواياه لدى الجميع، مع العلم أن الكرد دون غيرهم ينفردون بطرح حلول لمشاكلهم في سياق وطن ديمقراطي وتعددي موحد، وقد بحّ صوتهم بهذا الشعار دون أن يصدقهم أحد..

دعونا نبدأ من هنا، من الذي يضمن بقاء سوريا موحّدة بكل هذا التفكك والتناحر والخراب؟واهم جداً من يتخيل أن سوريا يمكنها أن تحيا بعد الآن في حكم مستبد، وواهم أكثر من يعتقد أنها يمكن أن تكون سلفية ويدعو لذلك، وأشدّ وهماً من هذين من يعتقد أنها ستحتمل بعد الآن طغيان أية أيديولوجية عروبية عنصرية تلغي الآخر. سوريا يمكنها البقاء بذاتها دون الاستعانة بأية تخريفات أيديولوجية من خارجها. ومن هنا يبدأ التأسيس الكبير للحل الوطني الشامل، وهذا هو الأفق الذي يمكن ضمنه حلّ القضية الكردية.

المسألة الرئيسة تكمن في كيفية المصالحة مع المستقبل، في هذه الجغرافية السياسية، وهذا ما يمكن أن نتوقعه من هذا التحول التاريخي. وفي هذا السياق تشكل الدولة الوطنية- الحديثة الإطار السياسي والحقوقي الأرقى لتنظيم الحياة المشتركة في هذه الجغرافية. كل ذلك عبر المساهمة الحرّة للجميع في تقرير مصيرهم السياسي، والسعي إلى أن يكون مستقبلهم هو ذاتهم، ولا شيء غير ذاتهم، المستقبل الذي ينبغي أن يسهموا في صناعته ويحققوا ذاتهم فيه تحقيقاً حرّاً.

ما يجدر ذكره، في هذا السياق، أنه ليس ثمة بينة أو قرينة تنبئ عن استعداد المعارضة العربية السورية على الاعتراف بالحقوق القومية للكرد السوريين، أو إعلان القطيعة مع

ميراث البعث العنصري وسياساته الإنكارية تجاه الكرد وقضيتهم حتى هذه اللحظة. وهذه القوى حين تجد نفسها مرغمة على الحديث عن الشأن الكردي السوري إنما تتحدث بطريقة عمومية وضبابية أقرب ما تكون إلى تصريحات وزراء أعلام حكومة البعث وناطقيه. وهي في ذات الوقت تطالبنا بتأييد مطالبها السياسية بحزم دون الاكتراث لحقوقنا العادلة بالمقابل. ويتعذر اليوم الحديث عن تحالف مشترك للمعارضة السورية، شامل للكرد والعرب، بغياب هذا الخطاب الديمقراطي، الجذري والشامل، الذي يحتوي مطالب الكل ويستغرقها، ويؤكد على عدالة القضية القومية للكرد السوريين.

إن الاعتقاد بسوريّة القضية الكردية والاعتراف بها، من جانب هؤلاء، لا ينبغي أن يقوما على أساس وعي عروبي مجرد، وإنما من خلال وعي سوري مشخّص. وعي بالمواطنة القائمة على الاختلاف والإقرار بالتعددية السياسية والتاريخية والثقافية. وهذا الاعتقاد لا يكون ممكناً إلا عبر الإقرار الدستوري والسياسي أن هويّة سورية السياسية ليست عربية فقط، ولا ينبغي أن تكون عروبية كذلك، إنما هي تعددية. وينبغي لأيّ نظام سياسي محتمل أن يستمدّ شرعيته من المجتمع السوري بتنوعه القومي والثقافي والاجتماعي والتاريخي القائم، وأن يجد أسسه الواقعية في هذا التنوع ويعكسه في مبادئه العامة. وعادة ما يكون الدستور هو الناظم لهذه المبادئ العامة ولعلاقاته. ولهذا من العدل تماماً أن ينصّ الدستور السوري مستقبلاً ويحدد بوضوح أن الدولة السورية هي دولة متعددة القوميات، وأن العرب والكرد يمثلان القوميتين الرئيستين. إلى جانب الاعتراف بحقوق الجماعات القومية الأخرى كـ الكلدوآشوريين وغيرهم. وأن على أيّ دستور ديمقراطي محتمل لسوريا أن يقرّ بالتساوي التامّ بين العرب والكرد في المكانة والدور، وفي الحقوق والوجبات، كمدخل عادل ورئيس لحلّ القضية القومية للكرد في سوريا. وعليه أن ينصّ كذلك بأن البرلمان، أو أيّة سلطة أخرى، لا يملك حق المساس، بهذا المبدأ، أو يحدّ من شموليته ومن تحققه في كلّ مناحي الحياة السياسية أو الاجتماعية، وأن أيّ قانون يمسّ هذا المبدأ أو وجاهته يطعن في دستوريته، ويعدّ مخالفاً لعقد التأسيس والشراكة، وباطلاً في نهاية المطاف.

الانتماء لسوريا هو أعدل الأشياء بيننا، هذا ما ينبغي إعلانه والتأكيد عليه. وبكل المعايير ليس هناك ممن هو سوري أكثر من سواه أو أقلّ سوريّة. سوريا هي للجميع دون تفاوت أو تفاضل. ولا معنى لحرية أيّة جماعة من دون هذه المساواة بين الكل. وعلى أيّ نظام سياسي محتمل يتصدى للتغيير أن يبرهن على أرض الواقع، وبصورة عملية، أن سوريا هي كرديّة بمقدار ما هي عربية، وعربية بمقدار ما ستكون كردية. وهي في الآن نفسه ليست كردية، أو لن تكون كذلك، بمقدار ما لن تكون عربية وحسب. وعدم القبول بهذه البداهة السياسية والثقافية سيقود المجتمع والدولة مجدداً إلى الخضوع لطغيان فئة أو جماعة عرقية، ويستبعد البقية.

المسألة الكردية في سوريا ، جدل الإنفصال والوحدة

الحقيقة الوحيدة الصارخة والبادية للعيان منذ أربعة من الخراب والدمار والتضحيات, إن سوريا البلد والوطن قد سقط ولم يسقط حتى هذه البرهة نظام الأسد. سوريا سقطت اجتماعياً نتجة الإحتراب الأهلي, وسقطت

ثقافياً وحتى سياسياً, ومن المؤكد أن سوريا القادمة التي ستتشكل على هذه الأنقاض لن تكون كالتي عهدناها بعد الاستقلال.

الجميع تكالب على سوريا, النظام والمعارضة معاً, وكذلك العالم الخارجي. ومن البين أن أكثر من من مارس القسوة بحق الوطن أو البلد, كان أولئك الأكثر تشدقاً باسمها حتى الآن. سوريا أمست مجرد ضحية للجميع, كلّ أراد أن يغتصبها وفق مزاجه المرضيالخاص. ربما لأن سوريا لم تكن وطناً حقيقياً للجميع وإنما كانت قيداً قسريّاً فرض عليهم.

وهذا الأمر يصحّ على العراق أيضاً بعد قرابة عقد ونصف من إسقاط نظام صدام حسين. فقد استنفدت دولة العراق بدورها كل إمكانات وجودها كدولة. رغم محاولات الإنعاش السياسي دولياً. هي تنازع من ذلك التاريخ كي تبقى دولة حية. ولا نعتقد أن جميع المحاولات الخارجية لإنعاشها ستنفع طالما وأنها تفسخت من الداخل وتفككت تماماً، ولم يعد هنالك مايربط أجزاءها بعضها ببعض. خطوة أخرى من الحروب الداخلية ويعلن موتها النهائي.

السوريون بدورهم ساروا قدماً وبخطى راسخة على دروب الكراهية نحو عداوة أبدية. من دفعهم إلى ذلك يدرك ذلك جيداً, ويملك من الخبث والعقل الشيطاني مايجعل التعايش بينهم محالاً بعد اليوم. على النحو السابق إن شعار(الشعب السوري واحد) لم يعد سوى خرافة حسنة النيّة. فقط لاحظوا حجم الحقد والكراهية والعنف الرمزي المقنّع في خطاب المعارضة الإسلامية, راقبوا مشاعر الشارع عبر ترجمة الشعارات السائدة لديه(النصيريون المجوس, الكرد المرتدون, المسيحيون الكفرة, الدروز...الاسماعيلية....الخ) لتدركوا حجم الإنقسام وعمقه. وهذا الأمر لم يعتد يقتصر على الشحنات الانفعالية في الشعارات المعلنة, وإنما أخذ يتجسد في عمليات الانتقام المتبادل التي حصلت وتحصل على نحو متزايد ومكثف في معظم المدن السورية. بداهة النظام أراد ذلك وسعى إليه بكل طاقته, ومن يسّر له هذا الأمر ومنحه الشرعية هي المعارضة السورية وحلفائها الإسلاميين, كي تبرر بهذا خطابها وتسوّقه على أنه خطاب الإنقاذ الوحيد والبديل. لقد هللت في الخفاء لهذا الأمر ونجحت بموازاة فعل النظام في تحقيق هذه الكارثة, وتقاسمت معه المنافع الدنيئة لهذا الهدف.

الكل مارس ويمارس التقسيم بصورة فعلية, ممارسات الجميع أفضت إلى تقسيم البلد اجتماعياً وجغرافياً وسياسياً, الكل بالفعل انفصاليين ويفصلون بين السوريين بأسوار الجماجم والدم, المعارضة، الإخوان, السنة العرب, العلويون، التركمان، النظام. وحدهم الكرد هم المتهمين هنا بالانفصال دون غيرهم, الكرد هنا مشجب فعل التقسيم ونواياه لدى الجميع, مع العلم أن الكرد دون غيرهم ينفردون بطرح حلول لمشاكلهم في سياق وطن ديمقراطي وتعددي موحد, وقد بحّ صوتهم بهذا الشعار دون أن يصدقهم أحد....

لكن السؤال الهام يظلّ وهو، هل العرب يريدون حقاً أن يتعايش الكرد معهم دون أيّ انتقاص لحقوق الكرد ومكانتهم، سياسياً وإنسانياً؟ هل لدى العرب الاستعداد الحقيقي للقبول بهم متساوين ودون تفاوت في الحقوق والواجبات؟ هل لدى العرب الاستعداد للإعتراف بأخطاء ثقافتهم القومية والسياسية في القرن العشرين بحق الكرد؟ هل ثمة براهين ودلائل عملية تؤكد ذلك، ولا أعني

مواقف بعض الأفراد والمثقفين الجذريين؟ الإجابة على هذه الأسئلة هي التي ستحسم مصيرنا المشترك والمحتمل؟

في محاولتي هنا للإجابة عن الأسئلة السابقة أنا لا أبحث عن الخيارات السياسية الصحيحة والمنطقية، إنما أنحاز للأصلح منها، الأكثر جدوى، هكذا يعلمنا التاريخ. الخيارات النظرية والمجردة قد تبدو منطقية وصحيحة، لكنها ليست بالضرورة صالحة تاريخيا ونافعة. هذا هو الدرس الرئيس الذي يمكن استخلاصه من قراءة تاريخ السياسات.

المبدأ المركزي والبدهي هو حق الكرد في تقرير مصيره في هذين البلدين. الكرد شعب له تاريخه الغارق في القدم على هذه الأرض.ولايتفيأ بظلال شرعية أحد التاريخية أو السياسية. وكل لغو عن اللامركزية أو المواطنة الحقيقية ... الخ هو مجرد حواشي على هذا المبدأ المركزي. هم من يجب أن يقرروا أن يكونوا سوريين حقيقيين بإرادتهم الحرة, لا مرغمين أو مكرهين بوصاية غيرهم وبإرادتهم. لا أحد يستطيع أن يجعلك سعيداً مكرهاً, أو يرغمك على دخول الفردوس. الذين لايؤمنون بحق البشر والجماعات في العدل والمساواة والحرية يستطيعون ببساطة شديدة أن يتنكروا لهذا المبدأ ويرفضوه. وبعيدا عن سفسطة السياسيين أو نفاق الانتهازيين. تلكم هي بداهة حقوق الإنسان.

وبالمثل، أنا أنحاز إلى الإستقلال والإنفصال، إزاء النزعة الوطنية، القسرية والزائفة. أنا من دعاة تفكيك هذه الكيانات اللقيطة والمنحرفة تاريخياً، من دعاة تقويضها. فشعار الوطن والوطنية لم يكن سوى تضليل لوضع كولونيالي مشوّه استمر لقرن تقريباً فرضته إرادات عسفية. بئس العراق، بئس سوريا، بئس لبنان والأردن.. إن هذه الشعوب حتى تسترد هويتها الحضارية، وتعاد أسس التعايش المشترك والسليم بينها، دون احتراب أو كراهية، وتنتهي حقبة الإغتراب بينها والعداء المتبادل، ينبغي لها أن تستقل عن بعضها البعض، وتنتهي حقبة الهيمنة القسرية فيما بينها، لتعود حرّة في تقرير مصيرها معاً. الوحدة الوطنية القسرية عاهة تاريخية مشوهة. وهذا هو المدخل الإنساني الصحيح لنزعة قومية إنسانية، وإلا فإن القومية مؤهلة أكثر من غيرها أن تغدو آيدولوجية فاشية. هذا الحل هو الضروري تاريخياً وإنسانياً، لتأسيس هوية إنسانية أكثر شمولاً و ديناميكة وتسامحاً..

هالة القداسة السياسية والتاريخية لهذه البلدان أخذت تتلاشى بالفعل. إن اتفاقية سايكس بيكو بدأت تتهاوى فعلياً اليوم، بعد قرن من الزمان. هذه الإتفاقية التي أوجدت هذه الكيانات المصطنعة وفرضت الحدود بين شعوبها بصورة عسفية وقسرية. أخذت تفتقدت مبررات وجودها التاريخية وشرعية بقائها. القوى الإمبريالية التي كانت مصالحها تنسجم مع إقامة هذه الكيانات ورسمت حدودها لم تعد تكترث لبقائها، ناهيكم عن مصالح شعوب وأمم المنطقة بالذات. التي كابدت الكثير من الحروب والمحن بسببها، قطعت أوصالها وجعلتها ضحية لمصالح كولونيالية(الكرد، العرب...الخ) وفرضت عليها أشكال من الوجود والهويات القسرية خارج إرادتها.

أنا لست وطنياً إلا بمقدار ما يستجيب انتمائي الوطني مع وجودي القومي والإنساني الحرّ. أنا لا أخجل من إعلان ذلك, ولا أجد نفسي مرغماً على المداهنة أو التملق المجاني لأجل وطنية متخيلة ومخادعة. كم أحببت سوريا

وتمنيت أن تكون سورية على مقاس كرديتي كما هي على مقاس العروبة, لكن خيبتي وغربتي ازدادت وتعمقت أكثر كلما أردت أن أكون سوريّاً منسجماً مع هويتي الأصلية. ووحدة سوريا لن تكون مقدسة, على الأقل لديّ, ولن أتغنى بها قط, إذا كان محكومُ على شعبي أن يعيش في ظلّ عبودية ثانية. إن ما يجعلنا سوريين هو فقط الأمل في الحرية وليس أيّ شيء آخر. لا مداهنات أخوية, ولا تملق مجاني من أي صنف أو نوع. بقدر ما ستكون سوريا حرة, وبقدر ما سنكون أحراراً فيها, سننحاز إليها.لا وصاية على سوريتنا, نحن من نشاء أن نكون سوريين أم لأ. كيف نكون سوريين وعلى أيّ نحو؟ كيف نريد لسورية أن تكون؟ وليس على مقاس الأهواء الأيدلوجية لأحد.

الدوغما الفكرية – الإرهاب الفكري

د. محمود خليل

الدوغما- كتعريف مبدئي :

"هو الاعتقاد أو مجموعة من المعتقدات السلطوية التي تعطي لنفسها حق الإثبات،ولا تحتاج لدليل ولا تقبل التشكيك في صحتها ومن المستحيل تصور احتمالية خطأها والتي يأخذ بها من قبل الدين ،الايدولوجيا أو "تنظيم"

وفق هذا التعريف لا مجال لصح أو خطأ المعتقد والمطلوب تطبيقه والعمل على تثبيته بكل الوسائل بما فيها وسائل القوة والتهديد المادي كمحاكم التفتيش في أوربا ، وحروب الردة ،وغزوات العرب المسلمين في الشرق،والتهديد المعنوي-التخويف بعذاب ما بعد الموت - لمجرد نقاش المعتقد، ولتسهيل فهمنا للدوغما الفكرية "الإرهاب الفكري" علينا إيضاح بعض الأمور المتعلقة بهذا الاصطلاح:

لم يكن بالإمكان استمرار الدوغما الفكرية لولا امتلاك مدعي أفكارها القوة"السلطة" اللازمة لحمايتها والدفاع عنها وفرضها عنوة على المجتمع في كثير من الحالات.

علينا أن لا نخلط بين المسلمات وبين الدوغما الفكرية.

دوغما دينية Foundationalism وتشمل جميع المعتقدات الدينية بما فيها الخرافات والماورائيات والأساطير القديمة.

ا- دوغما غير دينية وتشمل الفلسفة والأحزاب الشمولية والإيديولوجيات السياسية.

ب- الإرهاب الذي نلاحظه اليوم "قتل المدنيين الأبرياء" ما هو إلا نتاج الدوغما.

ج- بقاء الفرد"الرمز" في االذهنية الذكورية ويعتبر عبادة الفرد أيضا امتداد للدوغما الفكرية.

ما تعانيه مجتمعاتنا من تخلف في شتى المجالات، الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية لهو بالتأكيد ناجم عن غياب هذا الفكر، بحثنا له صلة وثيقة بذلك و يعتبر غيابه" الفكر التحرري" الجذر الأساسي لمشكلاتنا المعاصرة.

الجذور التاريخية للدوغما الفكرية "الإرهاب الفكري "

في البداية كان الإنسان ذلك الحيوان المفكر المختلف عن أقرانه و أثناء تطوره الإدراكي و صراعه مع الطبيعة لاستمراره في البقاء، اخذ يبحث عن أجوبة لأسئلته العديدة- عن السماء- الموت، سرا لحياة ، والأحلام، وهذه كانت بداية الفلسفة.

الخوف، كظاهرة طبيعية مرافقة لطبيعة الإنسان البشرية ، وقد واكبت تلك التفسيرات و التطمينات الروحية هاجس الخوف لدى الإنسان البدائي، يقول وول ديورانت في قصة الحضارة ج 1 ص 54 ،" تعاونت عدة عوامل على خلق العقيدة الدينية، فمنها الخوف من الموت، ومنه كذلك الدهشة لما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة أو الأحداث التي ليس في مقدور الإنسان فهمها، ومنها الأمل في معونة الآلهة والشكر على ما يصيب الإنسان من حظ سعيد، وكان أهم ما تعلقت بها دهشتهم وما استوقف أنظارهم بسره العجيب هما الجنس والأحلام، ثم الأثر الغريب الذي

تحدثه أجرام السماء في الأرض والإنسان؛لقد بهت الإنسان البدائي لهذه الأعاجيب التي يراها في نومه، وفزع فزعا شديداً حين شهد في رؤاه أشخاص، أولئك الذين يعلم عنهم علم اليقين أنهم فارقوا الحياة".

إن الميثولوجيا "الإرواحية" ،وفكرة الآلهة بدأت بالظهور مع ذلك الإنسان القديم، وهنا أورد مقطعاً من كتاب "الطوطم والتابو" لفرو يد على لسان طبيبه ماكس شورا : "يرى فرويد أن الأرواحية بحد ذاتها ليست ديناً، لكنها تتضمن الشروط الأولية التي عليها قامت الأديان فيما بعد، كذلك الأساطير قامت على مقدمات أروا حية، ولم يتوصل الإنسان الأول إلى نظرته الأرواحية، وهي أولى النظريات التي وضعها لفهم العالم،ليس بسبب حب المعرفة، بل بدافع الحاجة والرغبة في السيطرة على محيطه. وقد أضفى الإنسان البدائي على رغبته قوة سحرية يمكن التحكم بمفعولها عن طريق عدد كبير من الممارسات الرمزية، السحر والشعوذة ساعداه على إنكار عجزه في وسط مليء بالأخطار. هذا هو نمط التفكير ألأرواحي الذي يسميه فرويد "طغيان الأفكار" بناء عليه صاغ فرويد أحد مكتشفاته الأساسية، وهو الفرق بين الواقع النفسي والواقع الفعلي، مما سمح له بأن يقيم جسراً بين العمليات النفسية للعصبيين (العمليات الإكراهية) والتفكير السحري لدى البدائيين "11

كما أن حضارة السومريين منذ الألف الرابع قبل الميلاد تطلعنا على بدايات تشكيل الآلهة بدءاً من الثيران و مروراً بآلهة الأرض (gi)1 و السماء (an)2- آلهة السومريين(انليل) وتعددت الآلهة فيما بعد مثل- آلهة الحب و المطر – وفي الألف الثاني قبل الميلاد بدأت تزدهر الحضارة البابلية - وريثة الحضارة السومرية- فكانت أسطورة التكوين السومرية أساسا لمثيلتها البابلية التي أعيدت بناءها، وأضافت عليها طابعها لتكتمل على صورة باتت تعرف فيما بعد بملحمة التكوين البابلية - الإنوما إليش- التي دونت قبل 1800 عام قبل الميلاد،وقد وجدت موزّعة على 7 ألواح فخارية ، وقد شكل ذلك أساساً وقاعدة لظهور الديانات التوحيدية الثلاث ،وانتشارها إلى بقية أنحاء العالم،نلاحظ هنا هذا التصاعد في المثولوجيا من التعدد إلى التوحد قد واكبها مثل الظل المرافق للنظم المجتمعية، بدءا من البطون البشرية المتناثرة إلى أقوى الإمبراطوريات."1"

إن ظهور الآلهة كانت الأجوبة المرحلية لتلك الأسئلة ، ومع تطور المجتمعات تبدلت الأسئلة و الأجوبة معاً ،و تخللت- في فترات تاريخية- إشكالية قبول التجمعات البشرية لتلك الأجوبة و خاصةً عندما كانت لا تلبي استفسارات الإنسان، وهنا بدأت فرض الأجوبة بالقوة وخاصة حين قيام الحاكم بربط تلك الأجوبة مع الله "المقدس" ،عندها أخذت صفة "الدوغما" مسارها عبر أجوبة اعتبر مصدرها الله المقدس والذي بدوره لا يقبل الجدل والدحض، والبسوا تلك الأجوبة بهالة كبيرة من المفاهيم الغيبية- جهنم- ، الجنة ،القيامة،والشيطان..والأحجية الملائمة للعقل البشري ذو السمة العاطفية "الذهنية العاطفية".

و بما أن الأجوبة على مر العصور كانت تأتي من مصادر القوة أو القريبة منها على الأقل "السلطة " ممثلي و مدعي الإلهة، فأن "السلطة" قد استعملت الكثير من العنف لفرض ايدولوجيتها على الناس.

فالعلاقة بين المقدس والسلطة تداخليه ومركبة على مدى العصور، والمعاش في حياتنا اليومية من الإرهاب الفكري المركب لهوحقا امتداد تاريخي تراكمت عبر آلاف السنين، من الموروثات الثقافية والعقائدية ،والتي تحولت مع الزمن إلى عادات ائتلفت عليها الناس ،وأصبحت جزءاً من ثقافتها ،وأحيانا، أخذت "الناس" تتباهى بها،وتقف أحيانا أخرى ضد من يحاول تغيرها والتحرر منها ،وفك قيودها.

لقد أصبحت هذه العقائد كالجينات في خلايانا ، وعبر مئات السنين،أحيطت بنا حل، لازالتاذية تمنعنا من التحرر الفكري ، أصبحنا أسرى معتقداتنا التي ورثناها من الماضي والتي هي في معظمها بعيدة عن الحقيقة والعلم،يقول وول ديورانت في قصة الحضارة ج1ص63 " إن تاريخ المَدنية ليعلمنا في كل خطوة من خطوات سيره، كم تبلغ قشرُة الحضارة من الرقة والوهن، وكيف تقوم المدنية على شفا جرف هارٍ فوق قمة بركان لا يخمد سعيره، من وحشية بدائية وخرافة وجهل مكبوت، إن المدنية العصرية ليست سوى غطاء وضع وضعاً ".

إن البشرية لا تزال تحبو، ولم تصل بعد إلى مرحلة النضج والاستقامة في السير،لازالت هناك الكثير من الخطوط الحمراء لا يمكن إن يتجاوزها الإفراد وبعض المجتمعات من رهبة "الثقافة الجَمعية" المدعومة من المؤسسة الدينية المحصنة من السلطة.

إن شرقنا المكبل بالإرهاب الفكري لم يتأثر بالثقافة الديمقراطية مطلقا،لقد أخذ منه كل احتياجاته المادية "الملذاتية" وبنفس الوقت حارب تلك الثقافة التي صنعت تلك الماديات ،وقد كانت تلك الفرصة التاريخية الوحيدة لشعوب الشرق من الاستفادة من النقلة النوعية التي حصلت في الغرب إبان الثورة الفرنسية.

إن السبب الرئيسي الكامن وراء عدم لحاق منطقتنا بركب الحضارة الديمقراطية المعاصرة"عصر الديمقراطيات"هو التجذر الموروث المثولوجي و الديني ونتاجاتها، فقد واكب العنف العقائدي جميع مراحل اليهودية والمسيحية والإسلام، وهذا الأخير استعمل العنف منذ البداية لفرض معتقداته وفي جميع مراحله التاريخية، الأموي ،العباسي،الأيوبي، العثماني، الآن السلطة الدينية قائمة في كثير من المناطق وتعيش في كنف ورعاية السلطات الدكتاتورية في مناطق أخرى، والجانب الأخر تكمن في تكبيل الفرد بمجموعة هائلة من الطقوس والالتزامات الضرورية "تحت طائلة المسؤولية الإيمانية"مثل الفرائض اليومية كالصلاة والأسبوعية "صلاة الجمعة" والسنوية"صوم رمضان" والعمرية"الحج " والكثير الكثير من واجبات المسلم، الأذكار عند النوم، وتفسير الأحلام والتقيد بالسنة النبوية في الشاردة والواردة ، نستطيع القول إن الفرد المسلم والمتحول الهجين في هذه البلاد أصبح تائها وضائعا في صحارى مجهولة الجهات، يعيش ليحيا لا يحيا كي يعيش.

شعوب تقودها الأموات.

هذه الإحياء الميتة أصبحت الأرض الخصبة والمناخ الجيد لصعود الدكتاتوريات- لأنها أي"الشعوب" أصبحت جاهزة ومروضة على السمع والطاعة- مدَجنة خاوية من الاستقلالية الفكرية بحيث- لا تستطيع يوماً واحداً العيش دون "طوطم"3،بفضل المدارس الدينية التفريخية، فأُلزمت الجماهيرالمسلمةعلى إطاعة الوالي ولو كان جائراً وفاسقاً "عند أهل السنة"4 ويموت ميتة جاهلية دون إمام"حاكم" له"عند أهل الشيعة"5 وقد أصبح الدين ضروريا للحكومات التسلطية لا من اجل الفضيلة والأخلاق، بل لغرض السيطرة على الناس،لذلك نرى الجماهير تتعلق بالرمز أكثر ما تهمها من الأفكار،اعتادت على الولاء والطاعة ،وفقدت ملكاته العقلية والقدرة على التحليل والاستقراء، لاحظ الشعار الوطني للمملكة السعودية والأردن هو ،الله الملك،الوطن وقد تقدم اسم "الله" في الأول على استحياء للضرورة العصرية وإلا فإن هذه المفردات لا تحمل سوى معنى واحد أي الملك والوطن وبالتالي الملك" هو"في الحقيقة والواقع المالك الوحيد للوطن، وما لفظ الله في البداية سوى ربط الملك بالمقدس .

إسقاطات الدوغما الفكرية"الإرهاب الفكري" في الشرق الأوسط

إن تفكيك الدولة العثمانية" ذو الصيغة الدينية" أتت بفعل عامل خارجي"الحرب العالمية

الأولى" في بداية القرن الماضي وليس نتيجة صراع بين الفكر التحرري وسلطة الدين اللاهوتي كما حصل في أوربا والذي توج "الصراع الفكري" بالثورة الفرنسة ونتجت عنها- فصل الدين عن الدولة - كخطوة صحيحة أولية، فتحت الطريق أمام التقدم الحضاري الهائل والذي تنهل معظم البشرية من انجازاته العلمية والمعرفية الكثير من السعادة والرفاهية حتى اليوم.

إن الفكر القومي (التركي،العربي والفارسي) لدى استلامها السلطة السياسية في بداية القرن الماضي في المنطقة ،عملوا على إقصاء الفكر التحرري العلماني بشكل منهجي، بالإضافة إلى محاربة خصومهم الإسلاميين " اللذين خرجوا من حاضنتهم للتو" في البداية، وحتى يتسنى لهم الإمساك بالسلطة فيما بعد،. إن الموروث الثقافي التراكمي للمجتمع الإسلامي قد شكل الحاضن الرئيسي للفكر القومي" التركي، العربي والفارسي والكردي " بالخاصية الازدواجية والانتهازية، وشكل بداية سيئة لمسار التحرر الفكري في المنطقة.

إن الفكر القومي الكردي قد اتخذ منحى آخر مختلف نسبيا، حيث توجه نحو العلمانية الشكلية كردة فعل ،ولم ينأى بنفسه هو أيضا من حمله بذور الدكتاتورية الفردية واتخاذه " السياسة والقومية" وسيلة للوصول إلى السلطة والمنفعة الشخصية،ولم يبخل جهدا أيضا من الوقوف بالضد أمام انبعاث الفكر التحرري،وقد اتخذت جميع أحزابها قوالب نظامها الداخلي من الأحزاب الشمولية" وذلك في فترة المد الشيوعي على قاعدة :"المركزية الديمقراطية" لذلك طغى عليها"التيار القومي الكردي" سيطرة الفرد تحت اسم - الأمين العام- السكرتير الأول.

إن الفكر القومي عموما جاء هجيناً مشوباً بالشوفينية، حملت في طياتها بذور صعود الدكتاتورية و الشمولية الدوغمائية ،وجاء متماشياً مع مصالح الدول الغربية أكثر من أن تكون تعبيراً طبيعياً لتحررشعوب المنطقة ، ولم يستطيع ان يفترق أو يتجاوز الموروث الثقافي القديم المتخلف أبداً، فقط اختلف عنه من حيث الشكل، يأمكاننا القول: حدث تغيراً للرؤوس ولم يحدث تغير للعقول، فبقيت المدارس الدينية تنتشرعلى طول البلدان وعرضها، وكذلك التجمعات الصوفية ، والحسينيات والتكايا والزوايا، وشيوخ ومريدين، وحفلات الموالد وشد الشعر وضرب الظهور بالسلاسل الحديدية والعمائم السود والبيض ، وكلا له مريديه وإتباعه البلهاء ،وعلى مستوى الرسمي بقيت السلطات القومية مرتبطة بالمنهج الديني ،حيث بقي اسم وزارات الأوقاف في بلدانها كما هي، و ظلت اسم - رعايا جمع رعية- الجمهورية الفولانية ، والمحاكم الشرعية ، ودار الفتوى، وضرب المدفع على الطريقة العثمانية في شهر رمضان، وانتعشت المؤسسات الدينية برعاية ومباركة السلطات،عدا مكبرات أصوات المساجد التي تمتزج أصواتها مع أصوات مكبرات أصوات المدارس - حيث الأناشيد- التي تغني بطولات الدكتاتور،وتدعوا التلاميذ الولاء له،هذه السيمفونية الغريبة تصلح أن تكون الموسيقى الاحتفالية للزواج الفكرالقومي الديني.

إن تأسيس جامعة الأزهر بالقاهرة جاء قبل تأسيس جامعة سوريون بباريس بحوالي مائتي سنة ،أي في عام 972 ميلادي، وكان أساتذة الجامعتين يستخدمون الوسائل البدائية نفسها للوصول إلى جامعتهم "الركوب على الدواب" الآن انظر إلى وضع الجامعتين من كافة النواحي ، وانجازاتهما خلال العشرات السنين من تأسيسهما ، والذي يدعو للدهشة...! حيث تخرج من جامعة الأزهر آلاف من الحكواتيين، ورواة قصص خرافية، وناس مستهلكين يعيشون على التسول وأكل أموال الناس

إن الحكام القوميين أخذوا فكرة - وراثة الحكم- الممالك ، الإمارات، السلطنة و الملكية،أخذوها من الموروث، من

الأمويين،العباسيين والعثمانيين ،وطبقوها دون استحياء.

وكون الحاضنة الإسلامية مازالت موجودة بفضلهم ومساعيهم، نرى تماديهم في البذخ واستحواذهم على كامل مقدرات الشعوب ومصادرة حرياتهم ، فهم يقلدون الماضي بكل سماته وإسراره، وكأن ملوك بني أمية وبني العباس وبني عثمان قد خرجوا من قبورهم من تو،...الم يكن صدام حسين أشبه بابي العباس السفاح وبأبي جعفر المنصور ،والذي سمى نفسه"جعفر" سلطانا بأمر الله،(عن إسماعيل الفخري قال:سمعت المنصور في يوم عرفة على منبر عرفة يقول في خطبته : أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه ورشده وخازنه على فيئه أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه وقد جعلني الله عليه قفلا إذا شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم وإذا شاء أن يقفلني عليه أيقفلني).

ألم يعمل صدام حسين ذلك وزاد عليهم بعدد الجواري والخدم والغلمان ، حتى وصل الأمر بابنيه"عدي وقصي" اخذ بنات ونساء القوم عنوة وتعاملا معهن بشكل سادتي، ألم يعمل"صداما" قايضا في محاولة منه توثيق نسبه بالنبي محمد، نعم التاريخ يكرر نفسه، وهل فارق هزازي الرؤوس "رجال الدين" يوما ما عنهم .

إنهم صور ممسوخة عن الماضي ، وقد تمادت رموز الفكر القومي كثيراً، حتى وأثناء طغيانهم وجبروتهم واستعلائهم على الشعوب،بجعل هذا الحاضن -الإسلامي- يتستر عليه بل في كثير من الأحيان ،وقف ممثلي هذا الحاضن ضد المحتجين والمتذمرين بحيث يخرجون بفتاوى دينية بضرورة طاعة الوالي،حتى لو كان هذا الحاكم فاسقا ويسدلونها بالاحاديث المروية عن النبي محمد.

الدكتاتوريون القوميون اخترعوا قضايا وهمية ليشرعنوا من خلالها استعبادهم لتلك الشعوب، وسبَّب بقائهم في السلطة بهذا الشكل ، لذلك نرى القوميين السلطويين دائماً يجلبون أصحابي العمائم والملتحين إلى جوارهم ،هذا التوليف والتكييف بين الفكرالقومي والفكر الديني لم ينفصلا منذ بداية تشكيل الدولة القومية في المنطقة، وهذه المعادلة شكلت فجوة عميقة في المجتمع ، استحالت ابراز التنويريين وأصحاب الإبداعات الفكرية الحرة إلى السطح حتى الان .

إن خواء الساحة من التنويريين والمثقفين أمثال عمانويل كانت وفيثاغورث وديكارت وليوناردو دافنشي- الذين حملوا الفكر التحرري في اوربا - ناجم بكل تأكيد من هذا الزواج غير المقدس والغير المبارك بين الفكر الديني والقومي في المنطقة.

" الشعوب الشرق أوسطية، من عرب وكرد وفُرس وتُرك، وغيرهم، تعيش مأساة فكرية وفلسفية بالدرجة الأولى، وما التخلف الاقتصادي والاجتماعي الذي نعيشه سوى نتيجة منطقية لتلك المأساة، ومستقبل هذه الشعوب تشوبها الغموض والريبة ، ولا تدعوا للتفاؤل على المدى القريب"

إن الإنتفاضات الجارية الحالية والتي تدعو للكثير بالفرحة والسرور، إلا أنها ليست نهايةً لمآسي للشعوب المقهورة ، فاندحارالقوميين" الفكر القومي"،وقد كان سقوط نظام صدام حسين في العراق بداية انهيار المشروع القوموي العربي على سبيل المثال، لذلك لا نرى "الثورات العربية" نهاية المطاف ،فهناك المزيد من الردات الفعل الشعبية المتصاعدة الى ان تستقر الاموروتصبح الشرق الاوسط ذو الخاصية الحضارية وصاحب ارث حضاري قديم وغنىً ثقافي متميز الى دوره في الريادة، مجتمع مدني عاقل يؤمن بالتنوع والعيش الحضاري المشترك.

إن بقاء المورث الثقافي المثقل والمركب والذي ارهق كاهل الشعوب واتعبه،قد بدأ ممثليه القديمين الجدد يُطلون برؤوسهم من

الكهوف المظلمة ، ويتطلعون بافتراس كالذئاب ، كي ينقضوا على فريستهم ويستغلوا الحراك الجماهيري والمنتفض بعفوية ،كما حصل ويحصل الآن في مصروتونس ويجري حاليا في سوريا .

نعم لقد تراجع الفكر القومي نوعاً ما -امام تصاعد الوعي الشعبي- وذلك بتحطيم رموزها وإسقاطها ، ولكن تبقى المعركة المصيرية الكبرى للشعوب هو الخلاص من الفكر ألظلامي ألكهفي الخرافي الذي، يعتبربحق، رأس البلاء والمصائب في المنطقة .

الدوغما غير الدينية

قلنا سابقاً هناك دوغما غير دينية : وهي تشمل الفلسفة والأحزاب والنظم الشمولية والايديولوجيات السياسية .

سنأخذ الأحزاب الشمولية كمثال للبحث.

النظام الشمولي أو الشمولية: كتعريف هو"نظام سياسي يسيطر فيه حزب واحد فقط على الحياة السياسية في الدولة ولا يسمح بوجود معارضة أو تداول سلمى للسلطة.

يقول الباحث الايطالي 'Emilio Gentile ' الشمولية يُفهم:بأنها:" تجربة هيمنة سياسية تقودها حركة ثورية مكونة في حزب عسكري التنظيم، يستجيب لمفهوم سياسي أصولي، يهدف لاحتكار السلطة، ويعمل بعد استلامها، بطرق غير شرعية، لهدم النظام السابق عليه أو إعادة صياغته، ويقيم دولة جديدة، مؤسسة على الحزب الواحد. وتقوم هذه الدولة الجديدة بالسطو على المجتمع، لإخضاعه أو إدماجه أو مجانسته".

والشمولية صيغة استبداد ظهرت في القرن العشرين، وهي منحدرة من الفاشية، ففي الدولة الشمولية لا يوجد الفرد ولا يُعرف إلا من خلال علاقته بالمجموع " الشعب" أو"الأمة"، وتصبح الدولة مطلقة وموضوع عبادة حقيقية، ويتم عسكرتها لتأمين الإرهاب والتمكن من الهيمنة على الأفراد. وهى ترتبط ارتباط وثيق بوجود نظام بوليسي قوى يعتمد على القمع والإرهاب حتى يصل إلى حد التدخل في الشئون الخاصة للأفراد، ويمنع حرية التعبير عن الرأي، بحيث يتم السيطرة تماما على وسائل الإعلام وكافة النشاطات الاجتماعية و السياسية.

إن العلاقة بين الشمولية والدوغما هو فرض نظام سياسي معين على مجتمع ما بالإكراه بحيث لا يسمح أبداً بنقد أو انتقاد أي جانب من جوانب هذا النظام وقد لوحظ في ممارسة الأحزاب الشيوعية في أوربا الشرقية السابقة والنازية الألمانية والفاشية الايطالية والكمالية في تركيا وحزب البعث العربي بفرعيه العراقي والسوري وكذلك بدرجات متفاوتة في أحزاب الاشتراكية الدولية والماوية الصينية وغيرها.

لقد مارست الأنظمة الشمولية "الشيوعية"الإرهاب الفكري وتلتها الإرهاب العضوي في عدة بلدان في العقود الماضية مثل بولندا وبنما وتشيلي وبورما والصين والاتحاد السوفيتي السابق وغيرها وسببت الدمار والتخلف، الحقيقة المرة،! .. نستطيع القول... إن الأنظمة الشمولية والدكتاتوريات لم تخلف وراءها سوى الدمار والتخلف.

إن هذه الأنظمة لا تسمح بالانتخابات حرة، خشية حدوث تغيرات سياسية هامة، بل تقوم بأجراء استفتاءات لتظهر وكأنها ديمقراطية ،مثال: الأحزاب الشيوعية التي حكمت السوفيت، وبلدان شرق أوربا ،وبعض دول أمريكا اللاتينية، وحزب البعث في كل من العراق وسوريا، كانت الاستفتاءات شكلية للحصول على موافقة الناس على مرشحين اختارتهم تلك الأنظمة بعناية فائقة،وكانت بعض هذه الأحزاب تلجئ أحيانا إلى احتضان بعض الأحزاب المختلفة تحت عباءتها لتلاءم مع عصر الديمقراطيات الغربية "مثال الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا" وتعطي صورة مشوشة للخارج والداخل.

إن بقاء واستمرار الأنظمة الشمولية في الوجود يعتمد أساساً على التوزيع الداخلي للسلطة في البلاد التي تحكمها ،فالسكان والمجتمع لا يشكلون خطراً محدقاً بسبب ضعفهم ،لأن ثروات البلاد ومراكز قوتها تبقى في أيدي حفنة من الناس على رأس السلطة.

الإرهاب العضوي المعاصر:

ليست ظاهرة حديثة كما بتوهمها البعض، فهي قديمة، وعلاقتها بالإرهاب الفكري وثيقة ونتيجة لها ، ظلت أثارها محدودة قديما لعدم توفر الوسائل المساعدة لتوسيع الضرر بالآخرين، أصبح الإرهاب الآن عالمياً بسبب وقف باب "الاجتهاد"عند المسلمين بشكل خاص، و بحكم التراكم الهائل من الموروث الديني الخاطئ، وتناقضه مع التقدم الذي يحصل في العالم كل يوم، ان موضوع الإرهاب يحتاج إلى أبحاث خاصة تتضمن عوامل نشوؤه وأخطاره وسبل التخلص منه كظاهرة خطرة على قيم البشر الحضارية.

التخلص من الإرهاب الفكري.

يقول الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانت قبل مائتي عام عن الإرهاب حيث يقول:"أردموا مستنقع الإرهاب أولا ثم يأتي مرحلة القضاء على ما تبقى من بعوضه".

إن التحرر الفكري هو من أصعب المهام الذي يقع على عاتقنا نحن أولاد هذا الشرق .

يأتي التحرر من "المقدس" واللاهوت عبر دراسة نقدية دون جلل أوخوف اوهاجس،حيث يعمل الدماغ بشكل لا إرادي فأطلق عنانه للبحث والجري وراء الحقيقة دون أسبقية اثناء البحث عن الحقائق في شتى المواضيع.

إن الموروثات والأفكار الخاطئة والدوغما الدينية هي مسممة لصفاء الفكر كما الطعام الرديء الذي يسمم المعدة.

إن التحرر من الدوغما الدينية يعتبر جانبا من التحرر الفكري، فهناك العادات والتقاليد التي تحد من التحرر الفكري، فلا بد من التحرر منها رغم صعوبتها.

إن التحرر من" التعصب الجنسي" يأخذ حيزاً من التحرر الفكري أي أن يتخلص "الإنسان الذكر" وعيوياً من كونه ينتمي إلى الذكورين فقط، ونظرته للأنثى لطبيعتها الأنثوية فقط ،وان ينظر الاثنين الذكر والأنثى لعقول بعضهما البعض كذوات مختلفة فيزيولوجيا وموحدة إنسانيا،وليس كأفراد من فريقين متصارعين متضادين.

المتحرر فكريا: هو ذاك الطفل الذي لا يعرف الحقد والكذب والدين والجنس واللون والعرق وهي من أهم تجليات التحرر الفكري.

كما أن التحررمن الفكرالقومي الشيوفيني هو جانب مهم من التحرر الفكري أيضاً.

جميع الناس متساوون في حق العيش بالكرامة والحرية وكذلك الشعوب والأقوام المختلفة،لا يوجد شعب أفضل من آخر،لكل شعب صفاته الذي يميزه عن غيره،قد تكَوَن وفق بيئة حضارية وجغرافية معينة .

إن حرمان أي شخص و أي شعب التمتع بحريته وحقه في العيش بكرامة كباقي الشعوب يعتبر "إرهابا فكريا"محضاً،لذلك جاء مقولة أحد الفلاسفة المفكرين بهذا الصدد "إن قوماً يضطهد قوما آخر ليس متحرراً" وبناء عليه إن تحرر الشعوب العربية والتركية والفارسية منوط اليوم بتحرر الشعب الكردي والامازيغي وبقية الشعوب والأقليات الأخرى.

وفي الختام، الدوغما الفكرية هي عكس العقلانية والتفكير العلمي ولم يعد هنالك مجال للإطلاق في المعرفة ضمن عالم مليء بالنسبية، الاعتقادات الدوغمائية مرفوضة وخطيرة، تؤجج النزاعات و توقد التطرف و تنتهي بالعنف، إن خطر الفكر الدوغمائي ليس بالاعتقادات والأفكار التي تحتويه وإنما الخطر يكمن في فرض هذه الأفكار والمعتقدات بالإكراه والعنف ولم يعد هذا مقبولا أبدا أمام الاكتشافات المذهلة في العالم والتي دحضت

الكثير من أفكار ومعتقدات الدوغما،لقد كانت البشرية تؤمن يوما ما بسطحية الكرة الأرضية، الآن لم يعد هناك من يعتقد بذلك،هناك أمثلة عديدة في هذا الصدد،وليس هناك ما يدعو الحد من النقد والبحث التجريبي في جميع العلوم سواء أكان متعلق بالدين أو بالفلسفة والعلوم التطبيقية للمادة .

إن الاكتشافات التي حصلت في المجال الطبي في القرن الماضي على سبيل المثال -.اكتشاف البنسلين والصادات الأخرى واللقاحات المضادة للكثير من الإمراض والوبائيات – التي- كانت تفتك بالبشر في العقود الماضية ،وكانت تُعالج عن طريق الشعوذة وتعذيب المرضى بحجة طرد الأرواح الشريرة ،الآن أصبحت جزءا من الماضي وثبتت بطلانها.

هوامش

1-سفر التكوين السومريين موقع الإله والأساطير

2- ويقول الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق 80) 83 -هـ / 699 - 703 م - 148 هـ / 765 م) : إن الله - عز وجل - أعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل ، إن زاد المؤمنون شيئا " ردهم ، وإن نقصوا شيئاً " أتمهم، وهو حجة الله على عباده -الإمامة عند الشيعة الإمامة-عن الشبكة العالمية للشيعة.

3- قل ابن حجر رحمه الله الإجماع على عدم جواز الخروج على السلطان الظالم : فقال قال ابن بطال :د((وفى الحديث حجة على ترك الخروج على السلطان ولو جار وقد اجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء)) فتح الباري 7/13 ونقل الإمام النووي -رحمه الله - الإجماع على ذلك فقال في ((وإما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقه ظالمين وقد تظاهرت الأحاديث على ما ذكرته واجمع أهل السنة انه لاينعزل السلطان بالفسق.....)) شرح النووي 229/12

4- تعريف الطوطم :في العادة هو حيوان مسالم يؤكل لحمه..و قد حرم أكله مع الأزمنة..فيصبح لدى الإنسان خوف من مس هذه الحيوانات- تعريف فرويد.

5- قصة الحضارة .وول ديورانت.

تجربة روج آفا في الاقتصاد الاجتماعي : الأسس والمبادئ

الدكتور : أحمد يوسف

مقدمة عامة

يعد علم الاقتصاد واحداً من أهم وأكثر العلوم التي تعرضت للمناقشات واختلافات وجهات النظر في حيثياته. ويعود ذلك لطبيعته بالانتماء أولاً إلى قائمة العلوم ذات الصلة بالمجتمعات والعلاقات الاجتماعية بصورةٍ مباشرة، وثانياً باعتباره العلم المسؤول مباشرةً عن تفسير تكوين الثروات وتطوير العلاقات المالية والنقدية سواءً على الصعيد الداخلي في الدول أو على الصعيد الخارجي ما بين دول العالم.

ببذل بعض الجهد والغوص في دراسة تاريخ العلاقات الاجتماعية والاقتصادية منذ بدايات تكون المجتمعات البشرية في بلاد ما بين النهرين في الشرق الأوسط أو في أي بقعة أخرى على وجه المعمورة، سيُلاحظ أن طبيعة العلاقات الاجتماعية ودرجة سطوة فئة من المجتمع على الفئات الأخرى هي التي تحدد مسار العلاقات الاقتصادية في المجتمعات. وبناءً عليه تعددت تعاريف الاقتصاد واختلفت تلك التعاريف باختلاف المدارس الاقتصادية، وظهرت الكثير من التعابير ذات العلاقة بتعدد التعاريف مثل الاقتصاد السياسي والاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي والاقتصاد الدولي.

إن هذه التعابير، وإن كانت تدل على حالات اقتصادية واجتماعية وسياسية معينة وتتحدد من خلالها طبيعة العلاقات بين فئات المجتمع الواحد أو بين المجتمعات المتنوعة فإنها لا تعبر في حقيقتها عن جوهر علم الاقتصاد كثيراً. فالحقائق التاريخية تؤكد لنا أن الاقتصاد هو علم تلبية الحاجات، وليس علم تعظيم الثروة لفئات محددة، ولا هو علم ترتيب النهب الممارس على الصعيد الدولي كما كان عليه الحال أيام الميركانتيليين والكلاسيكيين.

انطلاقاً من هذا التعريف البسيط في شكله والمعقد في حقيقته نرى أن الاقتصاد لن يكون اقتصاداً إن لم يكن اجتماعياً، وبعبارة أخرى فكل اقتصاد لايستهدف تحقيق الرفاه الاجتماعي لكافة أبناء المجتمع لا يمكن تعريفه بالاقتصاد، وإنما هو عبارة عن آلية متطورة للنهب المالي والفكري والحضاري. ولم يكن إعلان نهاية التاريخ في بداية التسعينيات وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي ومن بعدها الكتلة الاشتراكية إلا تعبيراً للإعلان عن انتصار المفهوم الفكري الرأسمالي بصفته الفكر الأبدي الذي سيبقى يسود البشرية، هذا من جهة، ولم يكن حدوث الأزمة المالية العالمية في عام 2007 إلا دليلاً على غياب الحدود الأخلاقية في التعاملات المالية في ظل الليبرالية الاقتصادية الساعية إلى تعظيم الأرباح بصورةٍ مستمرة ودون التوقف عند أي رادع أخلاقي.

يشكل هذا التعريف لعلم الاقتصاد منطلق تحقيق التنمية الاقتصادية –الاجتماعية في روج آفا والأساس النظري لوضع السياسات الاقتصادية والاجتماعية فيها. إن إعادة تعريف الاقتصاد وفق هذا الأساس المعتمد في روج آفا لا يعني إعادة إختراع الدولاب عبر إعادة إنتاج المنظومة الاشتراكية الشمولية والتي سادت على مدى سبعة عقود في دول

المجموعة الاشتراكية في شرق أوروبا، وإنما هي حالةٌ جديدة في الفكر الاقتصادي تدعو إلى تطبيع العلاقات الاقتصادية والاستفادة من منجزات الثورة العلمية -التكنولوجية.

روج آفا: الجغرافيا والسكان والثروات

تمتد جغرافية روج آفا في شمال سوريا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وهي تشكل امتداداً طبيعياً للأقاليم الكردية في العراق وتركيا، وسميت بروج آفا لأنها تقع في الجزء الغربي من خريطة كردستان التاريخية والمقسمة ما بين أربع دول شرق أوسطية وهي: تركيا، العراق، الإيران وسوريا.

تبلغ مساحة روج آفا 18300 كم2 موزعة بين المقاطعات الثلاث: الجزيرة، كوباني، عفرين، وتعد مقاطعة الجزيرة أكبر المقاطعات الكردية في روج آفا، وهي غنية بالثروات الباطنية وخاصة النفط والغاز الطبيعي، أما مقاطعة كوباني فهي غنية بانتاج الحبوب والقطن، بينما تتميز مقاطعة عفرين بانتاج زيت الزيتون على مستوى سوريا، إضافة إلى إنتاج معظم أنواع الخضار والفاكهة وبعض المنتجات الصناعية مثل الألبسة والصابون وغيرها.

يتراوح نسبة الناتج القومي الإجمالي في مناطق روج آفا ما بين (50 -55)% من إجمالي الناتج القومي الإجمالي في سوريا، بينما يتراوح نسبة السكان في مناطق روج آفا ما بين 20 -22% من إجمالي عدد السكان في سوريا البالغ عدده بحدود 21 مليون نسمة.

مفهوم وخصائص الاقتصاد الاجتماعي

يتشابه الاقتصاد الاجتماعي في الكثير من حيثياته الخارجية مع اقتصاد السوق الاجتماعي لدرجة أنهما يبدوان مفهوماً واحداً ومتطابقاً، حيث أن كلاهما يستهدفان تحقيق الأهداف الاجتماعية من النشاطات الاقتصادية، التي تمارس عن طريق السوق. وسوف نقع في خطأ فادح إذا سلمنا بأن هذا التشابه يعني تطابق في مفهومهما، لأننا في هذه الحالة سنكون قد اختزلنا الاقتصاد الاجتماعي إلى ردة فعل طبيعية ظهرت نتيجة سيادة ظروف اقتصادية معينة في النظام الرأسمالي –حاله كحال اقتصاد السوق الاجتماعي الذي ظهر في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين- كطريق ثالث يتميز عن الليبرالية الاقتصادية المتوحشة وعن نظام التخطيط المركزي الذي ساد في الدول الاشتراكية السابقة، والذي دعى إلى سيادة السوق وسيطرة الطبقة المالكة في المجتمع إلى جانب منح مزايا اجتماعية للطبقة العاملة. وذلك من أجل تحويل العلاقة العدائية الناشئة ما بين الطبقتين عبر التاريخ بتأثير الاستغلال الممارس من قبل الملاك إلى علاقة توافقية أساسها احترام أساليب الإنتاج السائدة وترسيخها مع إجراء بعض التعديلات في نتائج العملية الإنتاجية وتوجيه جزء من الناتج لتصب في مصلحة الطبقة العاملة.

أما الاقتصاد الاجتماعي فهو مختلف تماماً، حيث أنه ومن أجل فهمه يعود بنا السيد عبدالله أوجالان إلى بداية ظهور الاقتصاد كعلم تنحصر وظيفته في تلبية الحاجات الإنسانية من الموارد المتاحة والنادرة نسبياً. وبالتالي تتعاظم في العلاقات الاقتصادية القيمة الاستعمالية للمنتجات بينما القيمة التبادلية فهي تكاد تكون معدومة، لكن نتيجة للسياسات التي مارستها الطبقات السائدة بدأت القيمة التبادلية تتعاظم على حساب القيمة الاستعمالية. وقد أدت هذه الظاهرة إلى حدوث اختلال جوهري في مفهوم الاقتصاد واصبح الاستغلال السمة المميزة في المجتمعات.

إن الاقتصاد الاجتماعي لا يعالج القضايا الاقتصادية من خلال مواءمة الطبقات في المجتمع والبحث عن الحلول الوسطى للقضايا، حيث أن الصراع الطبقي وفقاً لمفهوم الاقتصاد الاجتماعي هو مفهوم خاطئ، والصحيح هو الصراع ما بين المجتمع الاقتصادي من جهة وطبقة الاحتكاريين من جهة أخرى، ويستمد الاقتصاد الاجتماعي مبرراته من بداية تكون

المجتمعات البشرية، وسعي هذه المجتمعات إلى حماية نفسها عبر تقوية الروابط الاجتماعية لتكون بمثابة الحامي للقيم الاقتصادية التي تركز على تلبية حاجات الجماعة، ومن خلال هذا الأسلوب تمكنت البشرية من مواجهة الصعوبات الطبيعية التي تعترض سبل تقدمها. هذا التمييز هام على صعيد استيعاب طبيعة النضال في سبيل المساواة والحرية والديمقراطية الاجتماعية كما يراه السيد أوجالان، لأنه في حال عدم القيام بذلك فلن يكون بمقدورنا الاكتشاف أن العامل الذي يبيع قوة عمله ويحصل على جزء من كدحه يساهم مع رب العمل في سرقة خيرات المجتمع مقابل حصوله على جزء من قيمة قوة عمله، وبالتالي فهو يساهم في إضعاف القيم الأخلاقية التي يعتبر الاقتصاد بمثابة الخطوة الأولى لتطبيقها ونشرها في المجتمع.

بناءً على ما سبق يمكننا تعريف الاقتصاد الاجتماعي بأنه العلم الذي يسعى إلى تأمين احتياجات المجتمع في ظروف ديمقراطية بعيدة عن احتكار وسائل الإنتاج سواءً أكان هذا الاحتكار ممارساً من قبل الحكومات أو من قبل القطاع الخاص، ويكون سمته المميزة سيادة الملكية التشاركية إلى جانب احترام الملكية الخاصة ضمن ظروف وشروط محددة.

خصائص الاقتصاد الاجتماعي

1-الاقتصاد الاجتماعي مضاد لليبرالية، وهو ليس اقتصاد تخطيط مركزي. لأن الاقتصاد في الحالتين يسيران نحو الاحتكار، سواءً أكان احتكار الدولة أم احتكار القطاع الخاص، وبالتالي يخرج الاقتصاد من مفهومه وينتقل إلى المفهوم المضاط له وهو الاحتكار، حيث أن الصراع الحقيقي في الاقتصاد الاجتماعي هو بين الاقتصاد والاحتكار.

2-يتحقق فيه التكامل الصناعي والأيكولوجي لقيم الاستعمال والتبادل. حيث أن في حال غياب هذا التكامل تتحول الصناعة إلى الصناعوية، وتدخل في إطار محاربة القيم الأساسية التي يجب أن تسير وفقها البشرية، مثل حماية البيئة، وتقليل الربح، وعدم السيطرة على الأسواق.

3-اقتصاد منفتح على جميع النشاطات الزراعية والصناعية والتجارية الآخذة للحاجات الاجتماعية والأيكولوجيا بالاعتبار.

4-التكوين الأساسي للملكية قائمة على المجموعات. ولا يعني هذا الأمر إلغاء الملكية الخاصة، بل تعني أن يتم تنظيمها والاستفادة منها عبر تكوين الجمعيات، من أجل تعظيم حجم القيمة الاستعمالية على حساب القيمة التبادلية، حيث أن توجه النظام الرأسمالي إلى تعظيم القيمة التبادلية كان لها إنعكاسات خطيرة وخاصةً على صعيد الآثار البيئية الناجمة عنها.

5-اقتصاد قائم على القيم الأخلاقية، حيث يعتبر الأخلاق من أهم مبادئ الأمة الديمقراطية، وبالتالي من أهم مبادئ الاقتصاد الاجتماعي.

أسس الاقتصاد الاجتماعي في روج آفا

الحماية الجوهرية

وتعني حماية القيم الاقتصادية التي تتبناها الأمة الديمقراطية، وكذلك المؤسسات الاقتصادية –الاجتماعية مثل المؤسسات البيئية التي تعتبر أساساً لا يمكن الاستغناء عنها لإنجاح مبادئ الاقتصاد الاجتماعي.

ذهنية الاقتصاد الاجتماعي

تعتمد ذهنية الاقتصاد الاجتماعي على تحديد النقاط الأساسية التي تمثل مبرراً علمياً وتاريخياً لاعتماد هذه المنهجية المختلفة جذرياً عن المناهج الاقتصادية المعروفة وتوضيح تلك النقاط. إن أهم تلك النقاط تتمثل فيما يلي:

الكومونات: وهي تعني الحياة المشتركة والمنظمة في جميع المجالات الاجتماعية

والاقتصادية، وتنظيم العلاقات على أساس التعاون الأخلاق.

أهمية اختيار الاقتصاد الاجتماعي: هو الممارسات الاقتصادية في إطار الكومونات التي يتم الإعلان عنها في المجتمع، والتي تعني إخراج الاقتصاد من مفهومه الضيق والمختصر إلى الربح فقط. جدير بالذكر أن الاقتصاد الاجتماعي لا يكتسب شرعيته من القوانين، وإنما يكتسب شرعيته من طبيعة المجتمع وخصوصياته الأخلاقية.

إن أهم ما نعاني منه اليوم من قضايا اقتصادية هو نتيجة طبيعية لاحتلال مصادر الثروات من قبل السلطات الرأسمالية، لذلك تعد المطالبة بالاقتصاد الاجتماعي عملية صحيحة لإعادة الاقتصاد إلى وضعه الطبيعي البعيد عن الاستغلال.

خيارات الاقتصاد الاجتماعي

خيار التحول الديمقراطي: يفقد الاقتصاد الاجتماعي معناه إذا لم يتم النظر إليه على أنه الديمقراطية بذاتها، حيث أن أي نشاط اقتصادي غير اجتماعي سيؤدي حتماً إلى تشجيع ظهور الفردية لدى الإنسان، وبالتالي سينجم عن ذلك الحد من الممارسات الديمقراطية.

خيار التحول الإيكولوجي: إن هذا التحول ملازم للتحول الديمقراطي لأن الممارسات الاقتصادية الديمقراطية هي تطبيقها ممارسات إيكولوجية، فالمجتمع الاقتصادي هو المجتمع الذي يدرك أهمية الحفاظ على الطبيعة وتطويرها عبر الحد من الممارسات العدائية اتجاه الطبيعة تحت مسمى النشاطات الاقتصادية.

الاقتصاد الاجتماعي هو العمل الجماعي

التوزيع: لا يقبل فكر الاقتصاد الاجتماعي غياب العدالة، لأنه اقتصاد قائم على إشراك الجميع في النشاطات الاقتصادية، وبالتالي توزيع مخرجات تلك النشاطات على الجميع. ويتم هذا الأمر عبر الكومونات الموزعة في الريف والمدينة.

الدعم والمساندة: يوجد تحت هذا البند الكثير من الممارسات في النظام الرأسمالي، مثل الجمعيات الخيرية، والقروض الصغيرة وغيرها مما شابه. إلا أنه في الاقتصاد الاجتماعي نرى بأن النشاطات الاقتصادية كلها تدور في دائرة الدعم والمساندة والتي قد تحدث بين الكومونات في القرى أو في المدينة، لأن هذا الاقتصاد بطبيعته هو اقتصاد قائم على أسس تعاونية

العدالة: ولا تعني التوزيع المتساوي للمنتجات، وإنما يعني القضاء على الاستغلال عبر تطوير نماذج الملكية بحيث ينجم عنه في النهاية خلق حوافز للعمل في ظل القواعد الإيكولوجية.

كيفية نظر الاقتصاد الاجتماعي إلى النشاطات الاقتصادية الأساسية

الإنتاج: يهدف إلى تلبية حاجات المجتمع لا خلق الحاجات.

العمل: نستهدف من الاقتصاد الاجتماعي في روج آفا إلى أن يتحول كل عامل يبذل جهده عند الآخرين إلى عامل لدى نفسه عبر الجمعيات والكومونات

الملكية: الملكية الصغيرة والمتوسطة هي من أساسيات نجاح الاقتصاد الاجتماعية

السوق: لا يمكن تقبل أسواق المضاربة في الاقتصاد الاجتماعي، وبالتالي لا مكان للأسواق المالية(البورصات)، كما أنه لا يجوز وجود سلع محتكرة من قبل أفراد أو مجموعات

النقود: تقود النقود بوظائفها التقليدية، إلا أنها لا يمكن لها أن تولد نقوداً، أي أنه لا مجال للإقراض بفائدة.

التكنولوجيا: التكنولوجيا الصديقة للبيئة هي التكنولوجيا التي يجب الاعتماد عليها، مثل تكنولوجيا الطاقة النظيفة

الصناعة: الصناعة حصراً هي الصناعة الإيكولوجية، وكل ماعدا ذلك لا يكم قبوله في الاقتصاد الاجتماعي

التنمية الاقتصادية: نعتمد في روج آفا منهجية التنمية المتوازنة.

التجارة: التجارة لا تهدف إلى المضاربة والاحتكار.

المالية والتمويل: يكون اللتمويل الذاتي هو الأساس في تطوير المشروعات الاقتصادية، وبالتالي في تطوير الاقتصاد، ويكون ذلك عبر تطوير الكومونات والكوبرتيفات

مقومات نجاح الاقتصاد الاجتماعي في روج آفا

تطبيق مبدأ الأمة الديمقراطية الذي يدعو إلى المساواة بين جميع مكونات روج آفا من الكرد والعرب وغيرهم.

غنى روج آفا بالثروات الطبيعية وتنوع تلك الثروات.

غنى روج آفا بالثروات البشرية.

ضعف سيطرة النظام الاستغلالي في النشاطات الاقتصادية، ويعود ذلك إلى ضعف النشاطات الاقتصادية أصلاً نتيجة محاربة النظام السابق لأي عملية تنمية اقتصادية.

توفر البعد الأخلاقي لتبني الاقتصاد الاجتماعي.

معوقات نجاح الاقتصاد الاجتماعي في روج آفا

الصعوبة الناجمة عن كونها أول تجربة في الشرق الأوسط.

هجرة الكفاءات العلمية نتيجة الظروف السيئة التي سادت سورية في السنوات الثلاث السابقة

ضعف الإمكانات المادية لتحقيق الإنطلاقة الأولى بشكل أكثر قوة.

مبادئ نظام الاقتصاد الاجتماعي في روج آفا

المبادئ الأساسية	المبادئ التنظيمية
حق الملكية الفردية مقدس	سياسات التشغيل
الإيكولوجيا	سياسات توزيع الدخل
القيمة الاستعمالية أكبر من القيمة التبادلية	الضمان والأمان الاجتماعي
الأمة الديمقراطية	السوق اللاحتكارية

الهيكل المؤسساتي للاقتصاد الاجتماعي في روج آفا

الأكاديميات الاقتصادية: هي مؤسسات علمية وفكرية تهدف إلى تصقيل الكوادر العاملة في حقل الاقتصاد بالخبرات النظرية والعملية لاقتصاد الأمة الديمقراطية.

الكومونات: يمكن معرفة الهدف من الكومونات وواقعها من خلال دراسة النقاط التالية:

إدارة الكومونات

السكن والإسكان

التربية

تقسيم العمل

الصحة

الثقافة

تأمين الحاجات الأساسية

الجمعيات

غايتها تطوير النشاطات الاقتصادية في القطاعات الاقتصادية (الزراعة والصناعة والخدمات) عبر مشاركة كافة أبناء المجتمع لتحقيق الاكتفاء الذاتي وتعظيم القيمة الاستعمالية للمنتجات مقابل تقليص القيمة التبادلية، وذلك كله لتأمين الحاجات الأساسية لأبناء المجتمع عبر العمل الجماعي وبالتكلفة المناسبة.

المشروعات الخاصة الصغيرة والمتوسطة

لا نرى في روج آفا أن التاجر الصغير والمتوسط وكذلك الصناعي الذي لا يهدد البيئة ولا يسير نحو الاحتكار على أنهم رأسماليون مضادون للاقتصاد بل إنهم جزء أساسي من عملية التنمية الشاملة في روج آفا

الخاتمة

تعتبر تجربة روج آفا في الاقتصاد الاجتماعي أول تجربة على مستوى الشرق الأوسط إن لم نقل على مستوى العالم، حيث أن هذه التجربة هي خلاصة الفكر الاقتصادي لقائد الشعب الكردي السيد عبدالله أوج آلان.

يشكل تطبيق مبادئ الاقتصاد الاجتماعي في روج آفا آلية مميزة للتوجه نحو تطوير اقتصادي واجتماعي شامل لجميع مجالات الحياة، ولا شك أن تطوير الكومونات والجمعيات لهما دوراً كبيراً في أنجاح هذه التجربة الرائدة في المنطقة، لذا نحن نسعى لبذل جميع جهودنا لنرى الأفاق المستقبلية للاقتصاد الاجتماعي واضحة للجميع ومتجهة نحو التكامل بين المقاطعات الثلاث دون عوائق أساسية.

الأسس التاريخية والأبعاد القانونية للقضية الكردية في سوريا

شهناز شيخة

إن بحث القضية الكردية ببعدها الإنساني قبل كل شيء ثم بأبعادها الوطنية والقومية والدولية ينبغي أن ينطلق من مبدأ أساسي هو اعتبارها جزء من القضية العامة في سوريا وأن حلها يأتي في إطار حل مجمل قضايا البلاد وفي إطار نظام ديمقراطي ... يقول جاد كريم الجباعي: للأسف ذهب الكثير من المثقفين العرب في سورية إلى عدم وجود قضية كردية في سوريا بل وعدم الاعتراف بوجود قومية لها لغتها وثقافتها وتاريخها وتنتمي للأرض التي تقيم فوقها وبالتالي عدم الاعتراف بواقع التنوع والاختلاف في إطار الوحدة الوطنية فما بالك بنظام بنى عروشه على الاستبداد والقمع ". ورغم كل ذلك فقد بقي الشعور القومي الكردي يقظاً و تحول إلى ظاهرة سياسية عبرت عنها الحركة السياسية والثقافية الكردية وحيث أن القضية الكردية بمفهومها العام بوصفها قضية أمة داخل عدة دول قضية بالغة التعقيد لذلك فإن حلها يعتمد على حل المسألة الوطنية والأخذ بمفهوم الشعب بوصفه ظاهرة سياسية مرتبطة بكيان سياسي هو" الدولة " أي مفهوم الشعب الكردي في سوريا فبعد كل هذه الدماء حين يقف المثقف العربي مرة أخرى وبعد كل هذه الدماء متنكرا لحقوق الكردي ستكون عندها الجريمة الأخلاقية المعرفية والسياسية التي ستجر النزاعات الأهلية .

لقد كان الكرد من اعرق الشعوب التي سكنت المنطقة في الجزء الغربي من آسيا . ويعدّ هذا الشعب نتاج تاريخي لمجموعة من القبائل تعود إلى ما قبل اختراع الكتابة أي قبل الميلاد ب3500 عام بأقل تقدير وهم الهوريون الذين يعدون اللبنة الأولى في التكوين الاثنوغرافي للكرد وامتدت مناطق سكناهم من زاغروس شرقا وحتى البحر المتوسط غربا ومن بحيرة وان ومنابع دجلة والفرات شمالا حتى اواسط بلاد ما بين النهرين وديالى جنوباً ومن ثم الميتانيون ثم ظهور الميدين كامبراطورية عظمى للكرد عام 612 ق.م

دلت التنقيبات الأثرية في منطقة الجزيرة على ذلك التاريخ كما كشف الباحث لوسيو ميلانو النقاب عن حقائق تاريخ المنطقة من خلال حفريات تل موزان كما و تعود اللغة الكردية في جذورها التاريخية إلى اللغة الميتانية واللغة الميديّة حيث ظهرت تسمية الكرد في العصر الاكادي ومن خلال الكتابات المسمارية وهو ما اكده الباحثون الذين تناولوا المنطقة الجغرافية للكرد ومنهم ميتورسكي وباسيل نيكتين . وليس خافيا ما تعرضت له كردستان من تقسيم بعد معركة جالديران بموجب معاهدة قصر شيرين ثم اتفاقية سايكس بيكو بين دول مارست بعدها أبشع أنواع القمع والدمج القسري للشعب الكردي حيث الحقت اجزاء من كردستان بالكيان السوري الجديد والجدير بالذكر ان التاريخ لم يشهد وجود دولة اسمها سوريا الا في اواخر العهد العثماني وبداية التدخل الفرنسي وقد مارست الحكومات المستبدة ابشع انواع التمييز ضد الكرد وقامت باتباع سياسات شوفينية منذ بداية الخمسينات وحتى الان ومن تلك المشاريع العنصرية الحزام العربي 1974 الذي قضى بانتزاع الأراضي الزراعية من مالكيها الكرد وتوزيعها على المستوطنين العرب الذين جيئت بهم من حلب والرقة بغية إنشاء الحزام بطول 175 كم وعرض يتراوح ما بين 15 – 20 كم وإقامة 41 مستوطنة على طول

الخط الحدودي السوري التركي وتسمية الحزام بمزارع الدولة بغية التغيير الديموغرافي للمنطقة وتعريبها وهو ما تنافى مع ابسط قواعد القانون الدولي وخلافا للإعلان العالمي لحقوق الإنسان " لا يجوز تجريد احد من ملكه تعسفا " كذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية م 25"يحظر تفسير أي حكم من احكام هذا العهد بما يؤدي إلى الإخلال بحق الشعوب الأصيلة في التمتع بثرواتها ومواردها الطبيعية وفي الاستخدام التام والحر لها كذلك العهد الخاص بالحقوق المدنية والسياسية – كذلك إعلان الأمم المتحدة حديثا بشأن حقوق الشعوب الأصيلة م1 التي نصت على منع أي عمل يهدف الى انتزاع ملكية أراضيها أو أقاليمها أو مواردها -

وأردفت ذلك المشروع العنصري بالمرسوم 49 لعام 2008 الذي شل حركة العقارات في المنطقة والذي تم ألغاها لاحقاً في محاولة للتغرير بالكرد وإبعادهم عن ثورتهم السورية

مشروع الإحصاء المرسوم 93 لعام 1962وجرد بموجبه 150 الف كردي من الجنسية وهو أمر منافي للإعلان العالمي لحقوق الإنسان م15ف1 لكل فرد حق التمتع بجنسية "

ف2 "لا يحق حرمان شخص من جنسيته تعسفاً او انكار حقه في تغييرها " – كذلك يتناقض مع بنود الاتفاقية الدولية للقضاء على التمييز العنصري الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها 2106 لعام 1965 الدورة العشرون – كذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية م 54 – كذلك اتفاقية حقوق الطفل

وترتب على ذلك امور خطيرة منها حرمان هؤلاء الكرد من حق التعليم والعمل والتوظيف والتنقل والتملك ومن تثبيت زواجهم في المحاكم الشرعية وكل ذلك يتناقض مع مبادئ القانون الدولي المتمثل في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وفرارات الجمعية العمومية ورغم محاولة حاول إغراء الكرد بإعادة الجنسية للبعض إلا إن الكثير منهم مازال مقيدا في بند المكتومين –

بالإضافة للقرارات القاضية بمنع التكلم باللغة الكردية وتعريب أسماء المدن والقرى ومحاصرة أسماء المولودين حديثا بحجة التأكد من صحة نسب المولود لأبويه للضغط امنيا والتحكم بتعريب اسم المولود الكردي منذ ولادته

وكذلك الاعتقالات التي عانى منها الكثير من الكرد وفصل الطلبة والموظفين بحجة خطر على امن الدولة ثم إلزامهم بخدمة العلم والإعدامات والاغتيالات والتعذيب الوحشي رغم سلمية الحركة السياسية الكردية في سوريا بمختلف أطيافها ومراحلها والاتهامات الباطلة الهادفة لتشويه تلك الحركة حيث جاء في اتهامات النيابة العامة لمحكمة امن الدولة العليا لمجموعة من الشباب الكرد بجناية الانتساب لحزب سري ومحظور ومعادي يهدف إلى تغيير كيان الدولة بالعنف والقوة العسكرية وهي الجناية المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المادة 306 عقوبات عام ويرمي إلى القيام بأعمال إرهابية من شأنها بث الذعر في المجتمع " في حين ان الحركة الكردية في سوريا كانت دائما وكما ذكرنا تنتهج الخط السلمي ومخاطبة العقل والضمير في نضالها ودفاعها عن وجودها وبقائها

. فعند البحث في أصل الكرد في سوريا فان الكتابات والأبحاث التاريخية تؤكد إنهم شعب أصيل في المنطقة وإنهم سكنوا منذ آلاف السنين في هذه الأرض ، وان المناطق التي يسكنها الكرد في سوريا هي امتداد طبيعي لمناطق كردستان الأخرى،

في ضوء هذا السرد نجد أن من الضرورة والإنصاف ووفقاً للقوانين الدولية المستندة

للتاريخ والجغرافيا والديموغرافيا اعتبار الشعب الكردي شعباً اصيلا في المنطقة فله إذن أن يمارس حقّه في تقرير مصيره .. هذا الحق الذي تكفله جميع المواثيق الدولية ووفق القرارات العامة للامم المتحدة

حيث ورد في إعلان الامم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الاصيلة :

إن الجمعية العمومية اذ تؤكد مساواة الشعوب الاصيلة مع باقي الشعوب الاخرى

واذ يساورها القلق لما عانته الشعوب الاصيلة من اشكال ظلم تاريخية نجمت عن امور عدة منها استعمارها وسلب حيازتها لاراضيها واقاليمها ومواردها ...

..

واذ تدرك الحاجة الملحة الى احترام وتعزيز الحقوق الطبيعية للشعوب الاصيلة ..

واذ ترحب بتنظيم الشعوب الاصيلة انفسها من اجل تحسين اوضاعها ..

. واذ تؤكد ان جميع المذاهب والممارسات والسياسات التي تدعو الى تفوق شعوب او افراد على اساس الاصل القومي او الاختلاف العنصري او الديني او العرقي او الثقافي سياسات عنصرية مدانة اخلاقيا

واذ تعترف بان ميثاق الامم المتحدة والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية تؤكد الاهمية الاساسية لحق جميع الشعوب في تقرير المصير الذي بمقتضاه تقرر الشعوب بحرية وضعها السياسي وتسعى بحرية لتحقيق تنميتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

تعلن رسميا اعلان الامم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الاصيلة

حيث ورد في

م 3 : للشعوب الاصيلة الحق في تقرير المصير ، الحق في الاستقلال الذاتي او الحكم الذاتي في المسائل المتصلة بشؤونها الداخلية والمحلية ...

م8 1-للشعوب الاصيلة الحق في عدم الدمج القسري الرامي الى تدمير ثقافتها

على الدول ان تضع اليات فعّالة لمنع ما يلي والانتصاف منه

أ – أي عمل يهدف الى حرمان الشعوب الاصيلة من سلامتها بوصفها شعوب متميزة ..

ب – أي عمل يهدف الى نزع ملكية اراضيها او اقاليمها او مواردها

ج _ أي شكل من اشكال نقل السكان القسري ..

على الدولة المسيطرة على شعوب وتجد نفسها في الاحوال سالفة الذكر واجب اقرار هذا الحق وتنفيذه وعليها بوجه خاص الامتناع عن استخدام القوة لحرمان شعوبها من حق تقرير مصيرها

وكذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية في مادته الاولى يؤكدا على :

الجزء الأول

المادة 1

لجميع الشعوب حق تقرير مصيرها بنفسها. وهى بمقتضى هذا الحق حرة في تقرير مركزها السياسي وحرة في السعي لتحقيق نمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.
2. لجميع الشعوب، سعيا وراء أهدافها الخاصة، التصرف الحر بثرواتها ومواردها الطبيعية دونما إخلال بأية التزامات منبثقة عن مقتضيات التعاون الاقتصادي الدولي القائم على مبدأ المنفعة المتبادلة وعن القانون الدولي. ولا يجوز في أية حال حرمان أي شعب من أسباب عيشه الخاصة.
3. على الدول الأطراف في هذا العهد، بما

فيها الدول التي تقع على عاتقها مسئولية إدارة الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي والأقاليم المشمولة بالوصاية، أن تعمل على تحقيق حق تقرير المصير وأن تحترم هذا الحق، وفقا لأحكام ميثاق الأمم المتحدة.

وهو ما يؤكّد عليه أيضاً العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية في مادته الاولى ايضاً

وهكذا نجد :

إن حقّ تقرير المصير وفق القانون الدولي يعرّف بأنه حق الاستقلال وليس وجوب الاستقلال.

وبناء على ما سبق فللشعب الكردي في سوريا الحق في تقرير المصير الداخلي والخارجي فحتى لو لم يتعرض للتمييز فله حق تقرير المصير الداخلي أي الاستقلال الذاتي اما اذا تعرض للتمييز فله حق تقرير المصير الخارجي ووفقا للقوانين الدولية فالدول الموقعة على تلك المواثيق ملزمة بتأييد ذلك الحق ماديا ومعنويا.

وقد أكّد الشعب الكردي حرصه على وحدة التراب السوري وهنا نجد أن وعي الضرورة يستوجب حل القضية الكردية حلاً عادلاً منطلقاً من رؤية لا تخل بالبنية الوطنية في سوريا .... وفي سوريا الغد سوريا الديمقراطية من حق الشعب الكردي تقرير مصيره الداخلي والذي تكون الفيدرالية الشكل المناسب لترجمة ذلك الحق في ظل وطن يتمتع فيها الانسان السوري بكامل حقوق المواطنة دون تمييز بين عرق او مذهب او طائفة ليعمل الجميع من اجل سوريا من اجل حضارة الانسان من اجل عالم خالي من الظلم و الدماء .

المراجع :

الثقافة الكردية مشكلات ومعضلات _ جلال زنكابادي _

تاريخ كردستان _ جكر خوين

تاريخ اللغة الكردية _ زبير بلال

القانون الدولي العام

المواثيق الدولية لحقوق الانسان

ماهي الفيلية ومن هم الفيليون ، وما هي درجة كرديتهم

دارا المندلاوي
باحث في الشؤون الفيلية

1. مقدمة

السبب الرئيسي لاختيار هذه المقالة هو التساؤل الدائم التكرار حول تعريف الفئات المقصودة بالفيلية . هذا التساؤل في كل مرة يخلق اجواء من الفوضى والبلبلة وسوء التفاهم نظرا الى افتقار هذا الموضوع الي مسلمات متفق عليها من قبل الاغلبية نظرا الي تعدد وتباين الافكار حول تعريف الفيلية والفئات المنزوية تحت هذا الاسم. صحيح ان غالبية الكرد المقيمين او المنحدرين من وسط وجنوب العراق يشيرون الى انفسهم بالفيليين، الا ان هنالك البعض ممن لا يحبذ استعمال هذا الاسم على انفسهم مثل قسم من الكرد الساكنين في مناطق خانقين وجنوب تلك المنطقة اضافة الي بعض العشائر الكردية .

لهذا سوف نحاول من خلال هذه الدراسة في رفع الخمار عن الغموض المحيط بالفيلية والفيليين ، وخير بداية للدخول في هذا الموضوع هو اولا وقبل كل شئ ان نسبر ونفتش في اصل اصطلاح فيلي نظرا لكون هذا الاصطلاح هو اساس المعضلة الفيلية حاليا.

2. ماذا تعني الفيلية ؟

قائمة المعاني المناطة الي كلمة فيلي متعددة بقدر تعدد الجهات التي حاولت تفسير هذه الكلمة الي حد اصبح تعريف هذا الاصطلاح بمثابة نكتة .

عدد التفسيرات التي تمكننا من جمعها هي احد عشرة وهي في ازدياد مستمر مع الوقت ومع ولوع كتاب جدد في البحث في اصل هذه الكلمة. كل واحدة من التفسيرات المدرجة ادناه حول كلمة فيلي تخلف عن التفسيرات الاخرى اي ان هذه التفسيرات لا يربط بعضها بالاخر باي رابط .

قائمة التفسيرات لكلمة فيلي:

1. مشتقة من الفيل نظرا الي القوة الجسدية للفيليين.

2. تعني المارد والثائر والمحارب استنادا الي مقيم انكليزي في العراق (بالعربية يطلق عليه اصطلاح موستشريق) باسم كرزون في كتاب له سنة 1892.

• من اين جاء السيد كرزون بهذا التفسير والربط الغريب بين الثائر والمارد والمحارب مع كلمة الفيلي ؟ قد يكون السيد كرزون التقى ببعض الفيليين الذين عبروا له بشكل عاطفي عن معنى هذه الكلمة بدلا من قول الحقيقة اي (لا اعرف) الذي هي عبارة يتجنبها الشرقيون عموما ويخجلون من قولها. وفي كل الاحوال فأن السيد كرزون ليس بخبير اجناس او لغات وانما كان مسافرا في الشرق الاوسط في القرن التاسع عشر والعشرين.

• ما هو الربط بين كلمة المارد والثائر والمحارب وكلمة فيلي ياترى ؟

3. مشتقة من اسم پاهلي وهو تسمية اخرى للپارثيون الذين سكنوا شرق زاكروس في

الفترة السومرية .صاحب هذه الفكرة هو السيد ايراد ايزادي (معلم في الولايات المتحدة) حيث يقول بان الاصطلاح تعرض للتحوير في النصوص العربية لكي يصبح فيما بعد (فهلي) وبعدئذ تطور الي كلمة فيلي.

• لماذا الاعتماد على التلفظ العربي وطريقة تحوير العرب لكلمة هي بالاساس تخص الكرد؟

• لماذا لم يحتفظ الكرد باللفظة الاصلية ؟

• لو فرضنا ان الربط بين بهلي وفيلي هو ربط سليم :

• لماذا لم يتم ذكر هذه الكلمة منذ عصر ظهورها (عصر السومريين استنادا الى ايزاد) ولحد القرن العشرين ؟

• لماذا يجهل اهالي ايران هذا الاسم؟

• لماذا منطقة بشتكوا لا يعرفون فيلي اذن ؟

• لماذا لم ينطق اجدادنا بهذا الاصطلاح للاشارة الينا ، بل كانوا يقولون (كرديله كمان) وليس فيلييله كمان !

4. مشتقة من كلمة فعلي :

• هذه ليست الا محاولة يائسة للربط بين كلمتين ذي الفاظ متشابه.

5. مشتق من اسم عشيرة عربية تقطن في عربستان (الاحواز) حيث ادعى الكرد بأن موطنهم الاصلي هو شمال منطقة هذه العشيرة العربية الملقبة بالفيلية نسبة الي قريتهم:

• اين هي هذه العشيرة ؟ ولماذا لم نسمع بها من قبل ومن احد ؟ حتى العرب لم يعملوا اي اشارة الي وجود عشيرة عربية بهذا الاسم!

6. ياقوت الحموي ذكر الفيليين في كتابه (معجم البلدان) في القرن الثالث عشر ميلادي :

• ياقوت الحموي لم يذكر كلمة فيلي وانما لوري لان كلمة فيلي ظهرت الي الوجود في اواسط القرن التاسع عشر الميلادي!!!

7. معنى كلمة فيلي باللهجة الفيلية هو الارض المنبطحة او السهل حسب رأي (السيد جمال حسن المندلاوي):

• لماذا لايسمي الفيليون الموجودون في ايران بهذا الاسم ؟

• لماذا لايسمي فيليوا الجنوب انفسهم بهذا الاسم في الماضي بل لا زالوا يشيرون الي انفسهم ب (كرد ه لي) او باسم عشائرهم.

8. مشتقة من كلمة ثيلي العربية وتعني المرج ، وان تغيير الثاء الي فاء هو امر اعتيادي في العرابية مثل فلوجة (تلفظ ثلوجة). مرة اخرى حسب السيد جمال حسن المندلاوي .

• نفس الاجابة المعطاة الي النقطة الخامسة اعلاه نكررها هنا.

9. مشتقة من اسم لاحد اسماء الملوك العيلاميين (بيلي):

• مرة اخرى نتسائل عن السبب لعدم ذكر الاسم طوال كل تلك القرون الماضية ؟ وماهو سبب ظهورها المفاجئ في القرن التاسع عشر الميلادي ؟ هل كان اسما محرما ؟

•

10. ملحمة (الشاهنامة) للفردوسي تشير اليهم كطائفة معروفة في تاريخ ايران :

• اذن لماذا يجهل الايرانيون اصطلاح فيلي ولم تذكر هذه الكلمة في كتبهم التأريخية ؟

• لماذا يجهل الكرد (اللوريون الناطقين بلهجتنا) في ايران اصطلاح فيلي ؟

11. تم ذكر (بهلة) كمنطقة جغرافية تشير الي مناطق ايلام وكرمانشاه ونهاوند ...الخ. كذلك في كتاب الفهرست (لابن النديم)

• امن المعقول ان يعرف العرب اسم منطقتنا ونحن جاهلين بها ؟

• لماذا لم تتم اية اشارة الي هذه المنطقة في كتب التاريخ منذ كتابة هذين الكتابين ؟

• لماذا لا نسمي منطقتنا بهلة ولماذا لم يشر اباؤنا واجدادنا الي انفسنا بالفيليين بل كانوا حين الاشارة الي شعبنا يقولون بالفيلية (كرديله كه) يعني الاكراد

خلاصة القول حول كلمة فيلي:

• تعدد التفسيرات دليل قاطع على عدم وجود اية اجابة منطقية لمعنى واصل هذه الكلمة، وانما محاولات عاطفية لهواة المغازلة مع الثقافة.

• لاتوجد اية مصادر اكيدة لتحديد تاريخ ظهور كلمة فيلي الي الوجود . اقدم ذكر هو كتاب كرزون الانكليزي اي نهاية القرن التاسع عشر.

• كلمة فيلي لم تكن معروفة في العراق خارج منطقة بغداد، اي ان الاحتمال الاقوى هو في كون ولادة هذه الكلمة في هذه المدينة.

• مهما كان معنى واصل كلمة فيلي ليس مهما في الوقت الحاضر لان هذا العمل سيكون من شأن المؤرخين في البحث فيه.

• اهمية كلمة فيلي حاليا تكمن في تجسيدها بشكل عملي لكل الكرد الساكنين في المناطق الموجودة جنوب خانقين في الجانب العراقي وجنوب كرمانشاه في الجانب الايراني. فيلي اصبح مرادفا الي الاشارة الي اكثر من خمسة ملايين انسان مقسمين بين العراق وايران اي انها كلمة تشير الي قضية شعب وتراث ولغة وتاريخ وهذا هو المهم وهذا هو الواقع العملي لمعزى كلمة فيلي.

• واخيرا فأن وجود احد عشرة تفسرات لاسم واحد هو دليل لعدم كردية اصول هذه الكلمة ، اي انها كلمة دخيلة او لقيطة ولدت بشكل غير طبيعي حول المجتمع الفيلية وترعرت في احشائها تدريجيا فيما بعد.

3. ماذا تعني الفيلية ؟

احيانا يشار الي الفيليين بكلمة الفيلية وهو اصطلاح عامي غير صحيح من الناحية القواعدية . عنوان هذه الفقرة لا يشير الي الاصطلاح العامي لكلمة فيلي وانما الي القضية الفيلية بشكل عام والتي تتميز بما يلي :

• انها قضية الكرد الموجودين في وسط وجنوب العراق بشكل عملي . ولو ان امتدادات الفيليين العشائرية تتجاوز الحدود الايرانية الا ان المدن الفيلية هناك لا يطلقون على انفسهم اسم فيلي بقدر ما هو كردي او حسب اسم العشيرة مثل اللوري واللكي والزوري والعلي شيرواني والمالك شاهي والقيتولي .. .

• هذا الشعب يتميز بلهجة كردية خاصة به تسمى اللورية او الكرمانشاهية او الفيلية او باسماء اخرى اقل انتشارا مثل الملك شاهية و اللكية والمندلاوية والكردلية .

• يعتنق الفيليون بشكل عام المذهب الشيعي ، غير ان هنالك ايضا العلي الهية (اهل الحق).

• ملابس الفيليين التقليدية مختلف حسب المنطقة الجغراقية حيث نجد الشروال التقليدي الكردي (باللون الاسود) في المناطق الجبلية الي الصاية الزبون المشابه للملابس العربية في المناطق السهلة المحاذية للمناطق العربية.

4. من هم اولئك المقصودون بالفيليين ؟

ادناه اهم الفئات الاجتماعية المقصودة بالفيليين :

• كل الكرد العراقيين بالاصل و القاطنين في المدن الممتدة على الحدود العراقية الايرانية ابتداء من خانقين وحتى منطقة الطيب (شرق العمارة) وهذه تشمل المدن التالية : خانقين وشهربان (بعقوبة حاليا) وبايرى و بدره وجسان ومندلي وعلي الغربي وعلي الشرقي والكميت والكوت..

• كل الكرد العراقيين بالاصل والساكنين في المدن العراقية الرئيسية في وسط وجنوب العراق وبالاخص بغداد والبصرة والنجف والكوفة وكربلاء والحلة والعمارة .

• كل الكرد العراقيين ذوي الاصول الايرانية (الهجرات الفيلية ابتدأت في القرن التاسع عشر وحتى اواسط الستينات من القرن العشرين) والساكنين بشكل رئيسي في بغداد ومحافضات الوسط والجنوب.

• كل الكرد العراقيين المهجرين الي ايران او الذين هاجروا الي الدول العربية او اوربا وامريكا.

• كل الكرد المتواجدين في المنطقة المحصورة بين كرمانشاه وعربستان وهي تشمل عشائر رئيسية مثل الملك شاهية والعلي شيروانية واللكية والكلهورية واللورية ...

5. الكرد الفيليون في الميزان الكردي

بشكل عام كل الفيليين ماعدا اللوريين لاينكرون انتمائهم القومي الي الكرد ولو بدرجات متفاوتة من الحماس حسب العشيرة والمنطقة والظروف السياسية ووضع الحركة الكردية. من جانب اخر فأن الروح القومية الكردية عند الغالبية العظمى من الفيليين ضعيفة ان لم تكن مفقودة رغم وجود عناصر فيلية فعالة وفي كل الازمنة داخل الحركة الكردية في العراق ابتداء من جعفر محمد كريم الذي ساهم في تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني في الاربعينيات من القرن الماضي .

التيار القومي الكردي عند الفيليين وصل اوجه في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي ، وبعدئذ اخذ هذا التيار في التلاشي في الاوساط العامة من الشعب وانحصر العمل القومي على افراد غير عديدين بالمقارنة لعدد الكرد الفيليين في العراق.

هنالك رغبة عن وعي او عن لا وعي لتبني اللغة والثقافة العربية عند الفيليين . هذه الظاهرة المؤسفة (مع احترامنا واعتزازنا بالثقافة العربية العريقة) شاهدناها حتى داخل اوساط اللاجئين الفيليين في ايران والخارج. مهما تكن الاسباب والحوافز الموجودة وراء هذا التوجه ، فأن النتيجة هي واحدة ومفادها ان الفيليين سائرين نحو الانصهار داخل القومية العربية الرئيسية في العراق (والفارسية في ايران طبعا).

ظاهرة تبني الثقافة واللغة العربية مدموجا بضعف المشاعر القومية الكردية يمكن ترجمتها سياسيا بمثابة وجود رغبة ذاتية نحو الانصهار داخل القومية العربية في العراق كما تبين الاحداث الحقيقية التالية :

• هنالك ظاهرة مستمرة بين الفيليين لتبديل القابهم الي القاب عربية شبيهة بالالقاب الاصلية .

• هنالك بعض العشائر الفيلية التي يميل افرادها الي التكلم بالعربية داخل بيوتهم وخارجها.

• هنالك بعض العشائر الفيلية التي تدعي ان اصولها عربية.

• هنالك حادثة طريفة حصلت سنة 1973 في احدى القرى القريبة من مندلي حين وصلت لجنة لعمل احصاء سكاني سألوا اهل القرية ان كانوا كردا ام عربا؟ اجبوا بلهجة كردية واضحة وعربية غير مضبوطة بانهم عربا وحين سألهم الموظف عن سبب عدم اتقانهم

العربية؟ اجابوا بأن الاكراد المحيطين بهم اجبروهم على نسيان لغتهم العربية

• تباهي الفيليين بثقافتهم العربية اصبحت شائعة الي درجة انها اعطت ايعاز الي احد المثقفين العراقيين البارزين قبل فترة وجيزة بالتصريح بما يلي :

ان الفيليين حقيقة هم عرباً

6. الاستنتاج

1. بعض من اولئك الذين تمت الاشارة اليهم باسم فيلي لا يعتبرون انفسهم كذلك وانما يعتبرون انفسهم كردا

2. البعض الاخر من الفيليين ايضا يرفضون لقب فيلي ويفضلون بدلا عن ذلك باسماء عشائرهم او مناطقهم مثل المندلاويين والخانقليين وبعض من الملك شاهيين واللكيين.

3. بما ان اصطلاح فيلي هو اصطلاح غامض غير معروف الاصل لهذا لا يمكن ايلام هؤلاء من الناحية العلمية لانهم محقين في تجنب توريط انفسهم في متاهة اصطلاح لا اساس له ولا رابط.

4. غير ان اشتراك تقريبا كل الفئات الفيلية التي تمت الاشارة اليها في القسم الرابع بالخصائص العامة التي تحدد الهوية الفيلية ، يجعلنا نعتبر استعمال اصطلاح فيلي في الظروف الحالية مفيد اكثر من كونه مضرا وذلك لان هذا الاصطلاح سوف يلعب دور السمنت الرابط والشعار الموحد للفئات الفيلية المختلفة والمتعددة والمتبعثرة.

5. كل شخص او فئة اجتماعية هو حر في اختيار الانتماء القومي الذي يرغبه . ويقال الحق والمنطق فأن اية فئة تتجه باتجاه خلق طوائف اخرى داخل المجتمع الفيلي ، فأن ذلك سيكون منافيا لمصلحة ووجود الكرد في هذه المنطقة.

هەولێر بۆ کتێب

التشاركية ، بتن مطرقة العولمة وسندان النموذج

د . عبدالعزيز صالح داوود

باحث في مفهوم التطور الرأسمالي

المقدمة :

ان البحث في تعريف علم الاقتصاد ومدلولاته بشكل محدد لم يتفق بشأنه الباحثون، بل اختلفوا عليه تبعا لطبيعة العصور الاقتصادية التي مرت، والنظرة الايمانية التي احاطت بهذا العلم ردحاً من الزمن، والموقف من الاستغلال، ولكنه كأي علم اجتماعي آخر فريد وأصيل تطور -منذ إن وعي الإنسان ذاته وحاجاته ككائن اجتماعي- كما جرى تطور مذهل في هذا السياق تحت ضغط الحاجة والضرورة الملازمتين للسلوك الاجتماعي والتي تتمثلان بأسلوب إنتاج الخيرات المادية وتوزيعها بشكل امثل. فكان ذلك مجال اهتمام جدي للباحثين به بشكل متزايد / تعريفاً وتطبيقاً. فمنهم من رأى بأن الاقتصاد هو قوة الدولة المرهونة بما تملكه من المعادن النفيسة ومنهم من رأى بأن الاقتصاد هو أن الانسان ينقاد وراء مصالحه الشخصية /آدم سميث وريكاردو/ ومنهم من رأى بأن القيمة الزائدة هي حجر الزاوية في النظام الاقتصادي الرأسمالي /كارل ماركس/ لذا يمكن القول بأن الاقتصاد ليس من المعادن والذهب وحدهما ولا الارض وحدها ولا المصالح الشخصية وحدها بل يشمل بالإضافة لذلك كله البحث عن أسباب منشأ اللامساواة في توزيع الإنتاج ودراسة أسباب التضخم والكساد والبطالة والتنمية والسياسات النقدية والمالية. وبالرغم من تعدد المدارس الاقتصادية ونشاطاتها التطبيقية العملية. لوحظ بالممارسة بوجود نهجين متناقضين في الرؤى. الأول يتمثل بالنهج الاستعلالي الرأسمالي الملكية الفردية لوسائل الانتاج /حرية الفرد ومصالحه/ والثاني يتمثل بالنهج الاشتراكي /الملكية العامة لوسائل الانتاج/ حرية المجتمع ومصالحه/، ومهما كانت حقيقة مواقفنا من هاتين المدرستين الا انهما تركتا اثار مادية ايجابية فاعلة ساهمتا بشكل كبير في تطور المجتمع روحياً وثقافياً ومادياً في سياقه التاريخي كما انضجتا من خلال التطبيق والممارسة مقدمات فكرية واقتصادية يمكن الوقوف عل عتبتهما، لرسم ونسج اتجاهات اقتصادية جديدة ونامية ومتدرجة تأخذ مصالح الشغيلة ببعديه /الدولي والداخلي/ وتداخلاتهما التي لا انفكاك عنها آنياً من جهة ومراعاة الخصوصية الوطنية الداخلية والارتقاء بها /فكراً وسياسة واقتصاداً من جهة اخرى بغية الابتعاد عن سلبية الليبريالي، وكذلك عن الشعارات والوصفات الجاهزة التي لم تراع طبيعة المرحلة ودلالاتها بعين الاعتبار، كما تعتبر سياسة حرق المراحل -التطور اللأرأسمالي- نموذجاً تطبيقا له. والذي ساد كمنظومة فكرية وكركائز لبناء اقتصاديات موجهة /السوفيت سابقاً/ ولدى غالبية بلدان العالم الثالث والذي ادى بالنتيجة الى فلسفة اقتصادية تجاوزية تداخلية، استثنائية اتسمت بنهج اتكالي ببعديه /الموضوعي والذاتي/ وقسري في ممارساته ومفرخة للبروقراطية والطفيلية ويعتبر هذا النتاج من طبيعة النموذج المرحلي ذاته. /لأنه لم يستند في سياقه التطوري على حامله الاجتماعي بقدر استناده على الرغبة والاتكالية كما دفع بالعوامل الموضوعية للنهوض بالمجتمع الى الكبيت والمراوحة، لأن بالعمل الملموس وحده يتحرر الانسان ويحرر غيره في سياق عملية

الانتاج ومهما كانت اسس دوافعنا الطبقية والسياسية واتجاهاتنا الفكرية فأن التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ونتائج تقسيم العمل بالتعاون مع المنظمات الاجتماعية والبيئية، ستبقى المحفز والمحرك الاساس لمجتمع المستقبل وآفاق تطوره، بغرض إيجاد حالة من التكيف الظرفي-الموضوعي والنامي والمتدرج مع الواقع المعاش بغية تحقيق استقرار اجتماعي ومساواة مستدامة وصولاً الى حالة الانسجام والعدالة والانسانية.

الفصل الأول: الفكر الاقتصادي عند الاغريق والرومان /موجز/

وجد البذرات الاولى الاقتصادي في احضان فلسفة الاغريق والفكر الاهوتي معا .فعند اليونان كان الاقتصاد مرتبطا الى حد كبير بالدين والفلسفة وكان من اهم فلاسفتهم ارسطو الذي يعود الفضل له في وضع اللبنات الاولى للفكر الاقتصادي عندما دافع عن الملكية الخاصة والحق الطبيعي واقتناء ويرجح ارسطو بأن ولادة الدولة ،مستندة الى العامل الاقتصادي وهي لتحقيق غايات اكبر من الحاجات المادية .اما افلاطون /427-347/ ق م يعود له الفضل الاساس في معرفة ماهية علم الاقتصاد لانه اول من بحث في تقسيم العمل مستندا الى الموهبة والتخصص وكان ينبغي من وراء ذلك الزيادة في الانتاج ،وقسم المجتمع الى ثلاث طبقات 1- طبقة المنتجين 2-طبقة الجنود 3- طبقة الحكام ،وكان يرى بان يكون الحاكم من الفلاسفة وليس له ملكية .وتطور مفهومه عن الواقع بعد مقتل معلمه ارسطو فتعمق لرسم اسباب الطغيان وقال /من يقتل الناس ظلما ويشردهم فمن المحتم ان ينتهي به الامر الى ان يصبح طاغية ويتحول الى ذئب /لم يكن افلاطون صاحب اول نظرية فلسفية حول الارضية الاقتصادية لمنشأ الطغاة فحسب بل كان يلتقي الطغاة وجها لوجه،ومن خلال تعاطيه مع الواقع الاقتصادي انذاك وصنف نظام الحكم بما يلي 1- الحكم الارستقراطي وهو حكم القلة الشريفة ،ويعد بنظر افلاطون افضل انواع الحكم 2- الحكم الاوليجاني .حكومة القلة الغنية والتي ترى في الثروة القوة 3- الحكم الاستبدادي ،وهو حكومة الفرد الظالم 4- الحكم الديمقراطي ،وهو حكم الشعب من قبل الشعب وتبقى للفلسفة الاغريقية مكانتها بأنها الجوهر الاساس التي انتشرت البذرات الاولى للحرية الاقتصادية الفردية والفكرية والتي تجذرت لاحقا في التربة الاوربية .ومهما قلنا عن افكار افلاطون بأنها خيالية الا انها قدمت للبشرية مقدمات في الفكر الاقتصادي حول اسباب منشأ الدولة وغاياتها ،وتقسيم العمل والمجتمع الى طبقات .كم ان أرائه ومواصفاته للحاكم العادل عدت وتعد ثروة موضوعية للبشرية .ان هذه المواصفات اليوم اهتمام النقاد اما الرومان لم يكن لديهم بصمات واضحة في الفكر الاقتصادي ولكنهم اهتموا به وخاصة /بالقانون الطبيعي / المستمر باشكال مختلفة الى يومنا هذا والذي يسند الى /حق كل شخص يعقد ما يشاء من العقود لايمانهم المطلق بالملكية الفردية /. كما ان مفهوم التضخم لدى الكلاسيكيين كان يستند الى ان حركة الاسعار تتحد تلقائيا وبشكل حر بين الطلب وعرض /السلع والخدمات ./ اما فيشر / كان يرى ان المستوى العام للأسعار تساوي كمية النقد المتداول ونرى ان هذا التوجه ساد ردحا من الزمن وما زال في الفهم الراسمالي

الفصل الثاني :الفكر الاقتصادي في العصور الوسطى /موجز/

نهض هذا الفكر في اعقاب انهيار الامبراطوريات القديمة ونشوء الدولة الاسلامية، وكان من ابرز رواد هذه الفترة /سان توماس/ وكان يهدف الى التوفيق بين الدين والفلسفة أي التناغم بين الايمان والعقل استند في استقرانه للواقع على منهج ارسطو الاستنباطي في تحليل ومنشأ الظواهر الاقتصادية واستمر هذا المنهج في الفكر

العربي والاسلامي الذي كان جل افكاره مستوحاة من الدين الاسلامي /تجارة عن تراض /وتحريم الربا ومناهضة الاحتكار /من غشنا ليس منا /كما يتسمم الفكر الاقتصادي الاسلامي تنظيم الاسواق التجارية على اساس المنافسة الرضائية وبالرغم من جمالية هذه الافكار ،لم يستطع المسلمون من وضع حد موضوعي للظلم الاجتماعي ليتناسب وروح الاسلام ،لانهم استندوا الى حرية الفرد وملكيته بدل الحرية الجماعة وملكيتها ونتيجة لذلك ازدادت الفوارق الاجتماعية والتي ادت بدورها الى تناقضات واخذ شكل حركات شعبية مناوئة لمركزه لاحقا تحت الغطاء الديني .ولكن الفكر الاسلامي قدم عبر صيرورته مقدمات اقتصادية وفكرية هامة لتطور الفكر الاقتصادي العالمي لاحقا /مثل فرضية الزكاة وتحريم الربا والاحتكار ومفهوم التجارة /

الفصل الثالث :المذهب الاقتصاد الراسمالي /موجز/

تبلور هذا الفكر بشكل واضح منذ القرن الخامس عشر بعد ان جرى تطور واضح في بنية المجتمع الاوربي اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ونشأ من جراء هذا التطور نضوج وارتقاء في منظومة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية على ارضية التنافس الاقتصادي البعيدة عن التواكل والشعارات والخضوع للغيب والتحرر من اللاهوت ونتيجة لذلك ولدت افكار جديدة جنينية وخاصة فيما يتعلق بدور الدولة واليتها /من حقوق الانسان وحرية الفرد –وتعددية سياسية – فصل السلطات – استقلالية القضاء/ كما ان علم الاقتصاد شهد هو الاخر تطورا بنيويا متناغما نتيجة لهذا التطور ليشهد تناسقا داخليا وبلورة في منهجيته وظهرت عدة مدارس في ذلك

1- التجاريين :كان الفكر الاقتصادي عند التجاريين يتمحور حول وجود دولة قوية تحمي مصالحهم من الاعتداءات الخارجية وكانوا يرون من خلال الدولة انهم يستطيعون تمركز ثروتهم وسبل زيادتها وذلك عن طريق زيادة اثمانها. وكان فلسفتهم التجارية تهدف الى التوحيد السياسي في اطار الدولة القوية بغية التدخل في شوون الدولة الاخرى وكانوا يعتقدون اذا خسرت دولة ما فستكسب الاخرى المعادن النفيسة لانهم كانوا يعتقدون /بأن الثروة ثابتته الحجم /ونتيجة لذلك كان توجههم وطني من جهة واعتدائي من جهة اخرى وبقيت هذه الافكار منهجا للتوسع والاحتلال في اوربا . ويلاحظ بأن ليس للتجاريين أي تحليل اقتصادي يذكر سوى جمع المعادن النفيسة وتخليص الافكار الاقتصادية من طابعها الديني والاخلاقي ومجدوا الادخار وحاربوا الاستهلاك وكانوا يرون ان الفائض في الميزان التجاري يؤدي الى انتعاش الاقتصاد وربطوا الاقتصاد بالسياسة واشادوا البنوك وكان زيادة الفائض عندهم يعني زيادة كمية النقد وارتفاع الاثمان يعني قلة الصادرات وبما انهم كانوا يعملون لتقوية الدولة القومية فكان على الدولة ان تنظم الصناعة والتجارة .اما نظرية كينز المتناقضة لفكر التجاريين من حيث الادخار ومحاربة الاستهلاك والدعوة الى تخفيض اجرة العمالة توافقت مع التجاريين حول /ان الفائض في الميزان التجاري يؤدي الى انتعاش الاقتصاد ودعكينز بموجب ذلك الى الاكثار من النقود ليلعب دوراً على مستوى النشاط القومي وقال كينز ان حرية التجارة لا تستقيم ومقتضيات التنمية.

2- مدرسة الطبيعيين مؤسس هذه المدرسة /فرنسوا كيناي/ 1694-1774/ ومن ابرز مؤسسي علم الاقتصاد وجوهر نظريته تتعلق 1-بالنظام الطبيعي 2-بالناتج الصافي ومن رواد المدرسة الطبيعية /وليم بيتي آدم سميث ودافيد ريكاردو وجان ساي وجوان سيتوارت/. اعتقد غالبية رواد المدرسة الطبيعية بأن الظواهر الاقتصادية لا دخل للإنسان فيها وفي تنظيمها واستندوا على

مبدأين 1-مبدأ المنفعة الشخصية 2- ومبدأ المنافسة وكانت لديهم قناعة بأن الانسان الفرد عندما يسعى لتحقيق منافعة الشخصية منافسة مع الافراد الاخرين يكون ذلك لصالح الجميع ولذلك قدسوا المذهب الفردي /المذهب الحر/وهم اول من اعطوا فكرة عن /دورة الناتج الكلي وتداوله داخل المجتمع وكيفية توزيعه /وقسموا المجتمع الى ثلاث طبقات 1- الراسماليين مالكي وسائل الانتاج 2- طبقة الاستقراطيين ملاكي الارض 3- الطبقة العاملة التي تعطي قوة عملها وهي مرتبطة خلال عمليات الانتاج .واستندوا في تحليلاتهم على الطريقة الاستنتاجية وبفضلها توصلوا الى نظريات تمثل الركائز النظرية لعلم الاجتماع ومنها 1- نظرية القيمة ونظرية الانتاج 1- فنظرية القيمة هي جوهر النظرية الطبيعية /أي ان المنفعة شرط القيمة /بمعنى ان السلعة تكون لها قيمة لانها تشبع حاجة ما وهي معروفة بنظرية القيمة في العمل 2- نظرية الانتاج يستند الى عمل .وعناصر العمل عندهم الرأسمال والعمل والطبيعة .والانتاج يعني بمفهومهم خلق المنافع وزيادتها ،كما اهتموا بالنواحي الفنية للانتاج وتوصلوا الى قانون الغلة الناقصة وتقسيم العمل ،ان ادم سميث الذي قسم الانتاح سلعة ما الى عدة عمليات جزئية كان بغرض التخصص وزيادة الانتاج ونوعيته ،اما قانون الغلة الناقصة فهي نظرية ريكاردو في الربع ونظرية مالتس في السكان وجوهر هاتين النظريتين تقولان /اذا زاد عناصر الانتاج بشكل متساو وعنصر منه بشكل غير متساو يبدأ الانتاج الكلي بالتناقص مع استمرار زيادة العنصر المتغير وتعمل هذه المدرسة بموجب نظرية التوزيع أي توزريع الناتج الكلي بين عناصر الانتاج .اما حول مفهوم التضخم طور كمبردج /النظرية الكلاسيكية حيث قال ان حركة الاسعار اومعدل التضخم يتناسب طردا مع كمية النقد ويتناسب عكسا مع حجم الانتاج ومعدل الطلب على النقود أي ان التضخم ناجم عن اللاتناسب بين كمية النقد وحجم الانتاج أي كلما حدث الوفرة في كمية النقد كان السبب في ذلك قلة حجم الانتاج وبالعكس .اما /كينز/رأى بأن التضخم يعني زيادة الطلب الفعلي على العرض الفعلي للسلع والخدمات وان ذلك يؤدي الى ارتفاع الاسعار ووفق مرجعية كينز ان التضخم مرتبط ارتباطا مباشرا بالتغيرات في كمية النقد وفي اسعار الفائدة وبزيادة العمل في الجهاز الانتاجي

وان جوهر هذه النظريات تقوم على المبادئ التالية:

تقديس حرية الفرد والملكية الفردية حقوق الانسان /الفرد الحر /

البحث عن الربح السريع واستعمال السوق كمجال للمنافسة /البقاء للأصلح /

ان المذهب الاقتصادي الفردي يقابله مذهب التعددية السياسية والراي الاخر /تحذيرا لمقتضيات السوق

ان الاقرار باولوية حرية الفرد الاقتصادي يهدف الى تنشيط المجتمعات المهنية على حساب النضال النقابي السياسي العام والمنظمات الشعبية

المطالبة بتقوية الدولة القومية الاعتدائية بغرض الحصول على المزيد من الارباح وبموجب ذلك اصبحت الدولة اداة قمع بيد طبقة ضد اخرى وضد قوميات اخرى في البلدان النامية ونتيجة للكم الفكري والعملي الهائل الذي خلقه تطور البرجوازية الصناعية الاوربية

بتراكماتها الكمية والكيفية والتجريبية ،تمخضت عنها مقدمات اقتصادية وفكرية كأرضية واقعية لاستنتاجات واستكمال ماركس لبناء منهجه العلمي

الفصل الرابع :المذهب الاقتصادي الماركسي /كارل ماركس 1818-1883/

في احشاء الفلسفة الالمانية والاقتصاد الانجليزي والاشتراكية الطوباوية ولد وترعرع المنهج الماركسي بعد دراسة استنتاجية وتحليليلة نقدية قام بها ماركس لهذه المصادر .ولكنه كان شديد الميل الى الفلسفة الهيغلية منذ نعومة اظفاره .ان الهيغلية كانت تعتقد بأن تطور الطبيعة والانسان وعلاقات الناس الاجتماعية ناجمة عن العقل .الا ان ماركس وبعد تحليله لظواهر الطبيعة والمجتمع وحركتهما اكد بان منشأ العقل البشري يعود الى الطبيعة الى المادة .كما اكد ان تطور المجتمع البشري يمر عبر صراع تناقضي بالاستناد الى تطور القوى المنتجة حيث قال ان تاريخ كل مجتمع الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات .. كما اصدر البيان الشيوعي مع رفيقه انجلس ويعد هذا النهج الاكثر ثورية للشغلية لتدك عروش مضطهديها كما يعد مؤلفه راس المال اضخم ثروة فكرية مادية للبشرية والذي يتنبأ من خلاله الوصول الى المجتمع اللاطبقي ثم صاغ عبر الفهم المادي للتاريخ القوانيين الطبيعية لتطور المجتمع البشري وصنفها حسب تسلسلها التاريخي الى التشكيلات الاجتماعية التالية

مرحلة المشاعة البدائية حيث الافراد متعايشين بشكل متساو ضمن جماعات معزولة لان كل ما كانوا ينتجونه يستهلكونه .اي لم يبق فائض من الانتاج لديهم ليختلفوا عليه وبعد طور من الزمن وظهور التقسيم الاولي للحرفة جرى فيض من الانتاج لدى بعض المجموعات وكان هذا الفيض من الانتاج سببا لقيام حروب بين تلك المجموعات المعزولة واعتبر هذا الفائض مقدمة لقيام مرحلة القنانة /العبيد/

مرحلة القنانة /العبيد /تعد هذه المرحلة بداية ظهور طبقتين متناحرتين /العبيد ومالكي العبيد /وكانت هذه المرحلة نتيجة موضوعية وطبيعية لانطلاقة القوى المنتجة الجديدة النامية التي وصلت عبر صيرورتها الانتاجية الى التصادم مع علاقات الانتاج التي سادت والتي اصبحت كابحة لتطوره كما انها كانت نتيجة منطقية للتنافس والبحث عن اسواق جديدة بفضل التراكمات الاقتصادية والاجتماعية الكيفية والكمية كل ذلك كان مقدمات موضوعية اجتماعية واقتصادية وثقافية وجسرا للانتقال الى مرحلة الاقطاع

مرحلة الاقطاع سد الصراع فيها بين طبقتين جديدتين /الفلاحين والاقطاع /الى جانب مجموعات اخرى كانت متأرجحة بين هاتين طبقتين ولكن المرحلة تميزت بحرية نسبيا للفلاح قياسا الى العبيد في نظام القنانة كما كانت لهذه المرحلة سمات محددة منها 1- الدور الشمولي للدين وقداسته وسيطرته 2- الخضوع للاقطاعي بنوع من التالية واضفاء صفة القداسة عليه 3- نمو مطرد لمفهوم العائلة والعشيرة والقبيلة وتقوية صلة الدم 4- تمجيد الفرد والبطولات الفردية /الفرسان /وبنفس التربة وفي الغرب تحديدا وتحت ضغط الحاجة والضرورة ولد الفكر الثوري البرجوازي الرافض لاسلوب النظام الاقطاعي وممارسته الكابحة لنمو البرجوازية التي كانت تبحث عن اسواق جديدة بفضل اكتشاف امريكا والطريق البحري حول شواطئ افريقيا واكتشاف اسواق الهند والصين واستعمار امريكا والتبادل مع المستعمرات ،وتعدد وسائل التبادل وتدفق البضائع كل هذه الامور كما يقول ماركس- دفعت التجارة والملاحة والصناعة الى الامام بقوة حيث اصبح اسلوب الاقطاعات غير ملبية للحاجات التي كانت تزداد مع افتتاح الاسواق الجديدة وكابحة لتطور القوى المنتجة الصاعدة /البرجوازية/فيضيف ماركس/ لقد لعبت البرجوازية في التاريخ دورا ثوريا للغاية فحينما استولت البرجوازية على السلطة سحقت تحت اقدامها جميع العلاقات الاقطاعية والبطريركية والعاطفية وحطمت دون رافة الصلات المزخرفة التي كانت في عهد الاقطاعية تربط الانسان بسادته الطبيعين ولم تبق على صلة بين الانسان والانسان الا صلى المصلحة الجافة والدفع الجاف عدا ونقدا

واغرقت الحمية الدينية وحماسة الفرسان ورقة البرجوازية الصغيرة في مياه الحساب الجليدية المشبعة بالانانية وجعلت من الكرامة الشخصية مجرد قيمة تبادل لا اقل ولا اكثر وقد قضت على الحريات الجمة المكتسبة والممنوحة واحلت محلها حرية التجارة وحدها هذه الحرية القاسية التي لا تنشق ولا ترحم فهي باختصار استعاضت عن الاستثمار المقنع بالاوهام الدينية والسياسية باستثمار مكشوف شائن وفظيع

وانتصرت الثورة البرجوازية وقضت على النظام الاقطاعي بشكل ثوري بعد سلسلة من الحروب الدامية التي رافقتها الام ودماء عبر مخاض اجتماعي عسير وبانتصارها هذا كما يقول ماركس قضت ايضا على جملة من الافكار المرافقة للنظام الاقطاعي كالاوهام الدينية وحمية الفرسان وقداسة الاقطاعي وحل محله الشعور القومي حتى سمي القرن التاسع بعصر القوميات – وكان هذا الانتصار نتيجة طبيعية للتطور الموضوعي الذي وصلت اليه القوى المنتجة الاوربية .اما في الشرق بشكل عام وفي عالمنا العربي بشكل خاص وبالرغم من التطورات العلمية الهائلة لم تستطع البرجوازية في هذه البلدان من انتاج ذاتها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي /بشكل موضوعي بشكل موضوعي بسبب السيطرة الكاملة لنمط الاقتصاد الاسيوي عليها ولذا بقيت البرجوازية في حال سبات لعوامل عديدة .كما ان سيادة منظومات فكرية واستباقية عارضة اقتحمت المرحلة لاحقا عمقت سباتها /سياسية حرق المراحل والتي ثورت المجتمع والارض معا .وغيبت جملة من المسائل الاقتصادية والسياسية المفصلية المرافقة للنظام البرجوازي ادى فيما ادى الى انتاج وسيطرة عقلية الاقطاع السياسي في كل مفاصل الحياة التي كانت تعبيرا دقيقا عن طبيعة المرحلة بسبب استطالتها للفكر العرضي والتي لا تستطيع العيش والمثابرة الا في سياق ثنائية /التابع والمتبوع /كمنتوج اجتماعي .على الرغم من وجود احزاب /ماركسية وقومية ودينية /يناهز عمرهم النصف قرن او اكثر تقريبا والتي اتسمت بالثورية شكلا وبالتبعية والممارسة مضمونا من جراء حاملها الاجتماعي العارض والمشوه

مرحلة البرجوازية الرأسمال ولدت هذه المرحلة في احضان النظام الاقطاعي وتطورت بشكل متدرج وكبير بعد الاكتشافات الجغرافية اكتشاف امريكا وطريق راس الرجاء الصالح و أسواق أفريقيا الجنوبية والهند والصين فبات اسلوب الانتاج الاقطاعي غير قادر على تلبية الحاجات المتزيادة لهذه الاسواق وباتساع الاسواق وتعاظمها أصبحت ايضا الصناعات الصغيرة غير مجدية فحل محلها الصناعات الكبرى باكتشاف الآلة البخارية التي دفعت بالصناعة و التجارة المواصلات الى التقدم و النمو بشكل مذهل مما حفز بتبدلات في اساليب الانتاج واسلوب التبادل التبادل يقول ماركس \ان البرجوازية لا تعيش الا اذا دخلت تغييرات ثورية مستمرة على ادوات الانتاج وبالتالي على علاقات الانتاج أي على العلاقات الاجتماعية بأسرها فان كل العلاقات الاجتماعية التقليدية الجامدة وما تحيط بها من افكار ومعتقدات...تنحل و تندثر اما التي تحل محلها فتشيخ وتسقط بالتقادم ايضا وكل ما كان ثابتا يطير كالدخان ...وفي النهاية يضطر الناس الى النظر لظروف معيشتهم وعلاقتهم المتبادلة بعيون لا تغشاها الاوهام وما يقال عن الانتاج المادي ينطبق على النتاج الفكري ان المجتمع البرجوازي بتطور انتاجيته وملكيته واسلوب التبادل يجر معه القوى المنتجة وعلاقات الانتاج وتحدث الازمات التجارية من جراء فيض الانتاج ويصبح ذلك وباء على النظام البرجوازي ويهدده ولم يعد بمقدوره البرجوازية دفع القوى المنتجة الى مزيد من الانتاج بل تصبح هذه القوى كابحة لنموها وتقدمها فتشتد الازمة وتلجأ البرجوازية ثانية وثالثة للخلاص من ازمتها في كل مرة 1- القيام بتدمير القسري لمقدار من القوى المنتجة 2- الاستيلاء على اسواق جديدة 3- زيادة

استثمار الاسواق القديمة وهي بهذه الحالة تولد ازمات اعمق واشمل ويقول ماركس /ولكن البرجوازية لم تصنع فقط القوى التي سوف تقتلها بل اخرجت ايضا الرجال الذين سيستعملون هذه الاسلحة وهم العمال العصريون ان البرجوازية تنتج قبل كل شيء حفاري قبرها فهلاكها وانتصار البروليتاريا كلاهما امر محتوم لا مناص منها /أي ان النظام البرجوازي الرأسمالي ولد عبر صيرورته التطورية المقدمات المادية والاقتصادية والسياسية استنادا الى جدلية التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج والى المزيد من فائض الانتاج يساوي المزيد من الازمات بسبب التنافس على الاسواق لتصريف انتاجها ومن هنا توقع ماركس ولادة الاشتراكية في اوربا الغربية وفي عدة دول بأن واحد وكان مبرره موضوعيا لوجود طبقة بروليتارية قوية لذاتها والتي تمركزت في عملية الانتاج الى جانب الحزب الشيوعي طليعي ووجود منافسة قوية بين البرجوازيين على الاسواق الى جانب تشابه الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في فرنسا والمانيا وبريطانيا ولكن الرياح جرت عكس افتراضات ماركس

استنتاجات اولية /1/

1- ان ماركس حلل بشكل نقدي وتحليلي النظام البرجوازي /الراسماليالبضائعي وتناقضات السوق وانعكاساته والازمة التجارية بسبب المنافسة وثورية البروليتاريا /والامانة العلمية تقتضي النظر الى افتراضاته من خلال مستوى الانتاج وزمانيته- وتوصل الى استنتاج مفاده ان تمركز الانتاج الراسمالي ادى الى تمركز البروليتاريا .وافترض ان الراسمالية لا تستطيع الخلاص من ازمتها البنيويةوما اسلوبها في تدمير القوى المنتجة النامية باطراد من جهة وفيض الانتاج من جهة ثانية والمنافسة على الاسواق من جهة ثالثة كذلك اعتبرها ماركس مقدمات ضرورية وجوهرية للقضاء على النظام الراسمالي نفسه وانتصار البروليتاريا هذه الضرورة لم تؤد الى النتيجة المراد منها وشابها بعض المآخذمنها-

1-كانت دراسة ماركس تتناول مستوى معين من تطورالاوروبي وخاصة الانتاج الصناعي ذات الصفة البضائعية التجارية لذلك جرى تغليب زمن البحث العلمي لاحقا-2-انبهر ماركس كثيرا بانتظارات البرجوازية الاوربية وافتراض انهيارها استنادا الى تلك الاسس التي ادت الى نشوئها أي انه اختزل كل التطور العالمي وتناقضه واشكالات تطوره واغلقها وحصرها بين البرجوازية الاوروبية والبروليتاريا الاوروبية لبناء المجتمع الشيوعي وتأسيسا على هذه الفرضية طرح مفهوم اضمحلال الدولة وزوال السوق والحدود القومية ربما كانت هذه الافكار لحظية اوربية لأن الدولة ومفهوم السوق والحدود القومية جرى تحليلها والتنبأ بانهيارها استنادا الى التناقض بين حركة الرأسمال وبين حركة العمل ووظيفة كلاً منهما. وجرى افتراض كل ذلك في سياق تاريخي محدد من تطور القوى المنتجة كما اسلفنا. أما مفهومه عن الدولة تخلله اشكال ايضاً؟ الدولة ليست بالضرورة أداة قمع بيد طبقة ضد اخرى كما افترض ماركس وتنبأ باضمحلالها؟ لأن فكرته كانت لحظية. ولن تضمحل طالما هناك صراع على المصالح في اصغر بقعة في المعمورة؟ وطالما هناك تطور اقتصادي متفاوت بين دول المركز والاطراف وبين المركز ذاته والاطراف ذاتها وطالما هناك تناقض بين العمل الجسدي والذهني وبين فرد وآخر؟ واذا كان الفناء ينتظر مفهوم الدولة لماذا تم لاحقا المطالبة بدولة القانون واعتقد ان مفهوم الاضمحلال كان لحظياً وغير موضوعي، وستأخذ الدولة اشكالاً تشاركية وديمقراطية متعددة وليست بالضرورة ان تستند الى فهم طبقي محدد. قال لينين ان ما يميز روسيا هي ديكتاتورية البروليتاريا وما يميز سويسرا هي ديمقراطيتها ان ذلك موافقة صريحة من لينين لأشكال الدولة وانماطها وسيرورتها وان كانت

برجوازية. لأن في تحليلاته لم يلحظ الا بشكل قليل دور كتلة المواد الخام /المواد الاولية/ والطاقة البشرية ودرجة تطورها الاجتماعي – الدين والقومية العادات والتقاليد /في الاطراف وانعكاساتها وتأثيرها ومساهمتها المباشرة لاحقاً على النمو البنيوي للبرجوازية الاوربية واستمراريتها وارتقائها/ وبذلك جرت التطورات عكس افتراضه.

اما حول مفهوم السوق فيرى ماركس بأنه صنيع البرجوازية وهو زائل بإزالتها هذا الافتراض الماركسي يعد لحظياً ايضاً لارتهانه بمستوى معين من تطور الرأسمالية وخاصة التجارية منها والقائمة على مبدأ المنافسة. لذلك استمرت سياسة السوق ولم تؤد الى نتائج سلبية كارثية كما كان متوقعاً منها ولم تسقط الرأسمالية في أوربا بسببها، وثبت بأن نفيه فيما بعد لدى احزاب التوجه الماركسي اللينيني كان رغبوياً لتجاهلهم قوانين الديلكتيك وموضوعيته، ويعد نفيه ايضاً استحضاراً للأموات وتأليه للايدولوجيا حتى حدود الإطلاق، لأن نفيه نفي لمرحلة اجتماعية اصيلة، لذا نراه يتناسب في كل مرحلة مع حامله الاجتماعي، بل على العكس من التنبؤات الفكرية والايدولوجية، ازداد السوق تجذيراً وتطوراً وانفتاحاً في المركز عبر صيرورته الديمقراطية –والمغيبة اجتماعياً- لأن الديمقراطية السياسية بكل مؤسساتها وفاعليتها سمة من سمات اقتصاد السوق والمرافقة له والمغيبة قسرياً في غالبية البلدان ذات التوجه الاشتراكي. والتي تستغلها الليبريالية اليوم كرأس حربة في هجومها بغية التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات النمط الاقتصادي التجاوزي. كما تدفع الليبريالية اليوم هذه الدول بشكل ارتدادي الى القيام بإجراءات احترازية داخلية /وما قيامهم بكبح الحريات العامة والسياسية والديمقراطية الا تعبيرا عن ذلك، كما دفعتهم بشكل غير مباشر وفي حالات كثيرة، لأن يصبحوا في حالة تضاد مع منظومتهم الاجتماعية/ صوناً للاستقرار الاجتماعي والسلم الاهلي فيها.

وليس أمام هذه الدول الا ان تدخل في استراتيجية التكيف الظرفي مع المفاهيم الجديدة ببعديها الداخلي والخارجي والإفلات من أفكار اقتصادية وسياسية قد شاخت ونفت بالتقادم بغية التطلع الى المستقبل المنشود والتناغم مع تحدياته الماثلة امامه. فالليبريالية وضمن هذا السياق تستغل هذه الوضعية القسرية وتلجأ الى انتاج ودعم معارضات صوتية كعامل ضغط على هذه الدول، تحت يافطات متعددة مثل /التعددية –حقوق الانسان –الانتخابات –الخ/ ودعمها بشكل مباشر او غير مباشر عبر انعاشها ودعمها للنهوض الطائفي والمذهبي والاثني التي فاقت من سباتها في الاطراف على انغام الليبرالية /وعلى هذه الدول ان تقوم بمراجعة وطنية ونقدية لتصوراتها الاقتصادية والسياسية وتدخل في اطار استراتيجية التكيف الظرفي بغية ايجاد حالة وطنية نامية وصاعدة في الوفاق والوئام الاقتصادي الاجتماعي والديمقراطي/. لأن لسياسة السوق آثار سلبية وضارة اذا لم تتدخل الدولة في تلطيف آليته كجهة وصائية، سيؤدي الى جملة من التجاوزات. اما الدول الاشتراكية وذات التوجه الاشتراكي التي قضت على مفهوم السوق وتجاوزته شكلاً، لجهة مفهوم الخطة عملاً. زنتيجة للاشكالية الفكرية التي رافقت هذا التوجه انتجت هذه الدول عبر سيرورتها ايضا علاقات شمولية استبدادية وفرخت البيروقراطية والطفيلية فلجأت الى محاولة ترويض الشغيلة عبر ادلجة القوانين الموضوعية للتطور الاقتصادي والاجتماعي، لإستنادها الى جملة من المفاهيم والشعارات التثويرية بسبب دونية القوى المنتجة، وما التأرجح الفكري والاقتصادي في هذه البلدان والهروب الى اليمين احيانا والى اليسار احيانا اخرى، إلا لجهة قناعتهم بعدم وجود ايقاع اجتماعي ضابط لحركتهم، والذي ادى الى حدوث فراغ سياسي انتجتها طبيعة المرحلة بشكل عملي من جراء سياسة القفزات. ومن هنا يمكننا القول بان الخطة تستطيع أن تضبط

السوق وتحفزه كما يقول البرفسور الفرنسي جاك بيديه، أليس وضع خطط لضبط آلية السوق تعد ضرورة مرحلية وموضوعية لتحرير القوى المنتجة وإعادة تأهيلها بدل الاستطالة التي حلت بها في الشرق وفي الاطراف بشكل عام. وأن يكون التأهيل وفق معطيات المرحلة واستحقاقاتها لا وفق طوباويتنا الايدلوجية، اما القول بزوال الحدود القومية كنتيجة للتطور المنطقي للبرجوازية حسب افتراضات ماركس، فقد جرى التطور في هذا الميدان عكس تنبئه ايضاً فيقول الاستاذ رينيه كاليسو استاذ في الجامعة الفرنسية/ فعكس ماركس تعولمت الدولة القومية بدل زوالها فتعمق الفعل القومي، واصبحت النقابات والاحزاب اليسارية تتحدث كدولها لحماية الامن القومي. والوعي القومي وعي سياسي حل نحل الوعي الطبقي كما تحولت الطبقة العاملة العالمية الى طبقة لذاتها بقعل عاملها القومي لا بفعل عاملها الطبقي، فالعامل القومي بدل زواله، ازداد رسوخاً ايضاً مع الرأسمالية وخاصة في الاطراف نعم الرأسمالية المعولمة تجازت الحالة القومية كأمبراطوية مالية وتحولت الى اممية رأسمالية ولكنها لم تتجوزه كحدود قومية وللتجاوز معطيات مقدمات مادية منها على سبيل الذكر لا الحصر الارتقاء وترسيخ مفهوم اممية الشعوب في مواجهة اممية الرأسمال وهذه متدرجة تبد بالارتقاء واشباع المفهوم الديني والقومي مدنيا لصالح ضرورات العامل الانساني وسيادته إن تطوير واداء التشاركيات الاممية الاقتضادية والبيئية والاجتماعية ونمائها ستكون بمثابة روافع فاعلة ومحورية مستقبلاً لحالة التجاوز هذه. إن الرأسمالية استطاعت أن تتكيف ظرفياً مع الواقع الجديد لإدارة أزمتها وسوقتها بأشكال مختلفة بعكس افتراضات ماركس، مستندة الى الاكتشافات العلمية والتطور العلمي والتقني الهائل الذي فتح آفاقاً رحبة امام نموها في كافة الميادين من جهة وسيطرتها على كتلة المواد الخام والايدي العاملة الرخيصة في الاطراف من جهة اخرى، فتحولت البرجوازية من رأسمالية متنافسة الى رأسمالية متشاركة لاحقاً في اكثر من دولة غربيى وامريكا بواسطة كارتيلات توتستات سنديكا شركات متعددة الجنسية اي انها انتقلت من منهجية المنافسة الحرة الى الاحتكارات وتحولت الى امبريالية وراهنا وراهناً الى العولمة، ومع كل ذلك يبقى المنهج الماركسي منهجاً علمياً يستند الى التحليل والاستنتاج لدراسة الظواهر والمعطيات الاقتصادية والاجتماعية ويبقى افكاره علمية غير منغلق نابذاً الجمود واطلاق صفة التعميم على تحليلاته. ولأنه منهج علمي ونقدي، ففي 1848 صدر البيان الشيوعي، وبعد مضي 24 اي في عام 1872 وخلال مراجعته للبان قال أن بعض الجوانب في نظريتنا قد شاخت استناداً الى معطيات جديدة، ولجدلية العلاقة بين الظاهر المادية وتبدلاتها واستنتاجاته العلمية، يؤكد انجليس ايضاً في عام 1895 بأنه ورفيق دربه ماركس كانا واهمين عندما تصورا عام 1848-1871 أن الثورة الدائمة التي انطلقت مع الثورة الفرنسية ستقيم ليس الديمقراطية فحسب وانما الشيوعية كذلك. ويقول الباحث جاك تكسييه ان ماركس وانجليس قد عاشا في مرحلة لم تكن الديمقراطية السياسية قد تأسست لذا طرحوا هذا التصور، اليس اطلاق صفة التعميم والقدسية والتأليه على هذا المنهج بعد مضي /160/ عاماً عليه هو قتل للمنهج الماركسي الخلاق واغلاق لديمومته. الم يقل ماركس في رسالته الى الشيوعيين الفرنسيين ؟على الماركسي ان يتجاوز ذاته ولكن لا يفقد هويته/ والذات يعني الرضوخ /للأنا/ والتقوقع والتحجر حول النصوص والأفكار واعطائها صفة التعميم والاطلاق، ورفض ما استجد من المعطيات، ألا يعد غرامشي ماركسياً من الطراز الرفيع عندما طرح مفهوم /الهيمنة المدنية محل مفهوم الثورة الدائمة في بداية الثلاثينات من القرن الماضي/ لم يكن منهج ماركس لاهوتياً منغلقاً جامداً ثابتاً نحن المتمركسين اردناه ان يكون كذلك، ورسمناه

على هوانا ومعتقداتنا كحبنا العذري في الشرق، يقول لوسيان سيف المفكر الشيوعي الفرنسي ان ماركس رسم افقاً للشيوعية في العهد الصناعي ألم يكن هذا الافق يستند الى جملة من الافكار والمعطيات، ويقول: ونحن بحاجة الى رسم أفق للشيوعية في العهد المعلوماتي، أليس هذا الأفق أيضاً بحاجة الى المعاينة والشروط. ويضيف لوسيان سيف قائلاً أن ماركس يمتلك فكراً عقلانياً وأفكاره راهنية اليوم وخاصة حركة تحليل الرأسمال لأنها تخلق شروط تجاوز الرأسمالية ولكن ماركس لم يفسر شروط هذا التجاوز بشكل دقيق سوى بتطور القوى المنتجة وجدها، والتي تصطدم بالحدود الاقتصادية والسيسيولوجية والايكولوجية اليوم، أن الديالكتيك الماركسي ينبذ كل ما فات أوانه لا يتحمل النسخ في التطبيق والجمود في التفكير النظري فيقول ماركس /لا يوجد في الفلسفة الديالكتيكية، شيء قائم الى الأبد دون شروط فعلى كل شيء وفي كل شيء ترى الفلسفة الديالكتيكية طابع الانحلال ولا يمكن بالنسبة لها بقاء شيء سوى عملية الظهور والزوال الدائمة والصعود الذي لا نهاية له من الأسفل الى الأعلى.

الفصل الخامس: موجز عن ثورة اكتوبر بقيادة لينين 1917

قاد لينين ثورة اكتوبر في روسيا القيصرية على عكس رؤية ماركس الذي كان يرى ويعتقد بأن تطور النظام البرجوازي في أوربا الغربية سيخلق المقدمات المادية للأشتراكية إلا أن تجاهله لهذه المعطيات وقيامه بالثورة في بلد زراعي متخلف يسوده العلاقات القيصرية الاقطاعية لا راسمالية متطورة؟ ولا ديمقراطية عريقة فيه؟ بلد يتسم بالتعدد القومي والديني والاثني؟ بلد يحتضر من ارهاصات الحرب العالمية الاولى؟ وينخر فيه التخلف الاقتصادي والاجتماعي؟اي تنظيم كان واي قوة للبلاشقة حتى استطاعوا تطويع هذه القوى الجهنمية وانجاح ثورة اكتوبر ؟ان لينين قاد ثورة اكتوبر مستندا الى 1-التطور الاقتصادي المتفاوت بين الدول الاستعمارية وتناقضاتها، وفي بداية انتقال السوق الراسمالي من المنافسة الحرة الى مرحلة الاحتكارات ونهاية الحرب العالمية الاولى وروسيا القيصرية كانت اضعف حلقاتها الاستعمارية وفي اعمق ازمة بنيوية2- وجود حزب ثوري من طراز جديد البلاشقة بقيادة لينين .وبناء على ذلك تم اشادة اول دولة للعمال والفلاحين .والذي قدم فيه البلاشقة صورا رائعة من الاممية وفرضوا نموذجا فريدا للتاخي بين الشعوب وبذلوا محاولات محمومة وصلبة وتفان غير مسبوق واللامحدود للنهوض بالاقتصاد الروسي المتخلف المستند بالاساس الى اقتصاد قيصري واقطاعات متبعثرة وحامل اجتماعي ينخز فيه الدين والقومية وكل المعتقدات والطقوس التي عفا عنها الزمن وقوى منتجة جنية لا انفكاك لها من التخلف والتبعية ومرتبطة بها بالاف الخيوط والتي تنبعث منها كل الروائح الكريهة حتى وان دفنت في اعماق الارض انها تتجدد باستمرار ؟ومن هذه الارضية فتحت ابواب الجحيم على البلاشقة ،فكانت الثورة المضادة؟ وكان كولتشاك ودينيكين من الشمال والجنوب وكان المناشفة ايضا ؟ اي باب الجحيم لا يغلق فتحتموه ايها البلاشقة؟ وبعبقرية لينين وبصرامة البروليتاريا وانضباطها استمرت ثورة اكتوبر، انهم تحتوا في الصخور لشق الدروب الى المجهول. ولكن سرعان ما استدرك لينين وتنبه الى خطورة انحراف الثورة عن مبادئها الاشتراكية بسبب عدم القدرة على اخضاع القوانين الاقتصادية بشكل قسري للمشيئة والرغبة البلشفية، لأنهم غيبوا المقدمات المادية للثورة ورفضوا مفهوم السوق قبل ان يتجاوزوه بالممارسة العملية، فطالب لينين بإشراك البرجوازية للنهوض بالاقتصاد لأن إشراك البرجوازية لم يكن من أجل خبرتها فحسب بل لأنها تنمي القوى المنتجة بشكل عملي نتيجة تنافسية السوق وتقضي وتلفظ

خلال صيرورة الإنتاج كل ما هو متخلف وبائد وتدفع بالعامل إلى العمل وحده وتحرره بشكل ديمقراطي من الأوهام واللاهوت. فرفع لينين شعار /سياسة النيب في الاقتصاد أي السياسة الجديدة/ لأن لينين كان يعتقد وبشكل عملي بأنه لا يستطيع اكمال مسيرته دون مقدمات اقتصادية واجتماعية وأن وجدت النظرية العلمية والإرادة والصلابة الثورية والتفاني والتنظيم الحديدي وأن كل ذلك غير كاف وان كان يعتقد في بداية الثورة بذلك. الا أن توجه لينين هذا لم يرى النور ووئد في مهده لأسباب ذاتية وموضوعية. وجرى ترويض وتطويع وإنتاج للمجتمع بالقوة شكلاً وبأساليب زجرية وقمعية لا مدنية وبمواصفات معينة فتحولت الدولة من دولة الاشتراكية والعدالة إلى دولة، أنتجت بدورها علاقات طبقية دولتية تقمع الآخر وتتهمه بشتى النعوت والصفات. إما مضموناً فكانت مصابة بداء التطور الناقص الكبت /الديني والقومي والاثني والحنين إلى الماضي مع غياب منهجي للديمقراطية السياسية وتجلياتها/ وتجذر بموجب ذلك الفكر الواحد والرأي الواحد والحزب الواحد وجرى التداخل بين مفهوم الحزب كوسيلة وهدف وتحول الحزب الى هدف بحد ذاته، مهيأة الأرضية للبيروقراطية والطفيلية والقمع والاستبداد والتخوين وبذلك فقد الحزب وظيفته البنائية، ليس في داخل الاتحاد السوفيتي وحده بل تم تصدير كل ذلك في نهاية الثلاثينات من القرن الماضي وعبر الكومنترن إلى جميع الأحزاب الشيوعية /الأشقاء الصغار/ وخاصة في المشرق العربي ومغربه وفي الهند الصينية وكوريا والبلقان. عبر برمجة ايدولوجية للشعارات محكمة الإغلاق تمحور حول الدفاع عن الوطن الاشتراكي أولا عبر معاداة الإمبريالية ثانياً والتدرج لرفع شعار غير موضوعي ارادوي في الاستنتاج ورغبوي في الممارسة وتم ترديده كالتلاميذ في المدارس وهو /ان سمة العصر هي الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية/ مستندة الى روافدها الثلاث 1-المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي 2-الطبقة العاملة العالمية 3-حركات التحرر الوطني. وتحت شعار سمة العصر كان يجري تسويق الأزمة البنوية الفكرية والاقتصادية في المنظومة الاشتراكية سابقاً.

وتحت هذه التسمية جرى إغلاق محكم في الرؤى لمنطق التطور الطبيعي الديالكتيكي ومعطياته. ليس هذا فحسب بل جرى دعم وبشكل مباشر لكل ما هو متخلف وبائد في المركز والاطراف من شمولية واستبداد دون النظر الى سلبية هذا التوجه بممارساته وتفاعلاته في الاطراف والتي ادت بدورها الى التشوه والتآكل والكبت والمراوحة للديمقراطية السياسية واستحقاقاتها الناضجة مرحلياً. كما ان الطبقة العاملة العالمية جنحت بشكل موضوعي وكبير الى التفاهم والتقارب والاندماج مع حاملها القومي بسبب احقية نضوجه الذاتي الموضوعي. وبذلك أصبحت الطبقة العاملة طبقة لذاتها بفعل عاملها القومي وللعلم كان ترديد مقلة سمة العصر ورفع شعار معاداة الإمبريالية كافيا للدول والأحزاب والمنظمات ليجري التعامل معهم على انهم مناضلون وتقدميون، تحت هذه التوصيفة جرى تراجعات خطيرة وعميقة وجرى التغاضي عن ممارسات فظيعة داخل السوفيت وبشكل اخطر في بلدان حركة التحرر وفي البلدان النامية .كما جرى التنظير لرسم نماذج اقتصادية واجتماعية وسياسية لها وفق مقاسات حزبية ورغبوية غير موضوعية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية والتي انتجت اقتصاد طرفي تابع وهش كما فرخت الاصوليات الدينية والمذهبية والطائفية والقومية والشيوعية وكلها من نتائج طبيعية المرحلة ذاتها ومن سماتها ونمط تفكيرها مما جعل الحامل الاجتماعي في هذه البلدان دونيا وغير قادر انيا على انتاج ذاته؟.دون ايجاد مقدمات فكرية واقتصادية موضوعية تدفع به الى التطور والتقدم بشكل ديمقراطي وعقلاني ،ليتناسب عمليا والخصوصيات الوطنية من

جهة وياخذ التواصل والتشابك العالمي من جهة اخرى .اما هذه التوجه القسري في الفكر والممارسة وللأسف الشديد تحول الى نهج اكثر عمقا وانغلاقا واستبدادا لدى الاحزاب الشيوعية في الاطراف بعد ان فقدت وظيفتها البنائية مع غالبية قيادة حركات التحرر وفي البلدان النامية من جراء النمو المشوه للاقتصاد وانعكاساته التشويهية في البناء الاجتماعي ،والذي كان احد الاسباب الرئيسية وما زالت لانشقاقات ذات /المتوالية الهندسية / في الاحزاب الشيوعية /وفي حركة التحرر في هذه البلدان ايضا ،مع العلم ان هذه الانشقاقات كانت وما زالت ذات صفة ميكانيكية سطحية ./مثل الخلاف على طبيعة المرحلة ؟ هل العصر هو انتقال من الراسمالية الى الاشتراكية ام لا ،والقرب والبعد من الاتحاد السوفيتي ،وحول مفهوم التقدم الاجتماعي هل هو موجود ام لا ،والتطور اللارسمالي /رسمالية الدولة /هل هو صح ام خطأ،والاختلاف حول مفهوم الوحدة الوطنية والوحدة القومية واحقية اية منها وراهنيتها ، وحول طبيعة المرحلة ومهامها ،والالتزام بالماركسية صحيحة ام الاهتداء أصح ،الخ ؟اي ان التناقض بين هذه القوى المتمرسكة كان على المستوى السطحي للظواهر وليس على المستوى السطحي للظواهروليس على عمقها وحركتها الداخلية المتغيرة والمتبدلة ابدا.

استنتاجات أولية /2/

بعد ان رأينا حول كيفية قيام ثورة اكتوبر وفي اي مرحلة اقتصادية جرت ؟ واي نمط من العلاقات الاجتماعية كانت سائدة وهل وجود حزي ثوري كالبلاشقة وحده كان كافيا للقيام بالثورة في بلد متخلف مثل روسيا ؟وهل استطاع البلاشقة بالانابة عن الراسمالية نقل روسيا القيصرية الى الاشتراكية عبر تجاوز الراسمالية وهل مستوى تطور القوى المنتجة كان يتناسب وعملية القيام بالثورة ؟وهل كان لقيامها ضرورة ومشروعية ؟وهل هي الثورة اشتراكية حقيقة واذا كانت كذلك فلماذا فشلت ؟اليست هذه التجربة فصل من فصول راسمالية الدولة ؟الم يسقف لينين نظريته عندما قال ،ان الامبرالية على مراحل الراسمالية وهل كان طرح هذا الشعار لحظيا؟الم نستطيع القول بأن لينين رسن افقا للشيوعية في عهد الامبرالية ؟واليوم مرحلة ما بعد الامبرالية /العولمة/ ألم يقل ماركس بأنه لا يمكن بناء الاشتراكية الا على انقاض الراسمالية لانها تبني المقدمات الموضوعية للثورة الاشتراكية

يقول المفكر الايطالي دومينيكو لوسردو ان ثورة اكتوبر كان لها مشروعيتها وان الهوة بين المقدمات والنتائج هي سمة تميز كل ثورة .ويقول مايير للقيام بثورة اكتوبر 1- ايجاد ازمة في الديمقراطية 2- الطاقة التحررية للثورة وماتلاها من موجة ثورية عالمية 3- ثورة اكتوبر ليست /راسمالية الدولة الاحتكارية /وانما فصل من فصول تاريخ الراسمالية 4- ان القضاء على الملكية الفردية ادى الى عدم استطاعة البرجوازية على تجديد نفسها كطبقة وكفاعلية 5- الفظائع التي ارتكبت وجه للثورة والتقدم الاجتماعي الهائل هي الوجه الاخر لها وتقول الباحثة الفرنسية كاترين ساماري /ان ثورة اكتوبر ليست نزعة ارادوية بلشفية هدفت الى احداث قطيعة مع الراسمالية بل كانت تعبيرا عن تفجر تناقضات اجتماعية عميقة ..... وتضيف قائلة ان التجربة لا يمكن تسميتها بالاشتراكية لانها لم تحل الطبقات ولا زوال الدولة ولا القضاء على استلاب العمال ولم تخلق الفاعلية .....اننا هنا لسنا بصدد ماهيتها هل كانت اشتراكية ام فصل من فصول الراسمالية ولكنها اجبرت الامبرالية على تقديم تنازلات جمة للطبقة العاملة مثل الضمان الصحي والاجتماعي كما انها اشعلت الموجة التحررية الثورية في العالم وهبت شعوب الشرق على انغامها ،ودكت عروش الاستعمار ونالت استقلالها الوطني .اما في الجانب الفلسفي فقد

ضاعت رؤية فكرية مفادها /بأنه يمكن بناء الاشتراكية في اشد البلدان تخلفا / طريق التطور اللارسمالي / وحتى في بلدان اتسمت بمرحلة ما قبل الاقطاعية كتشكيلة اجتماعية واقتصادية. وقد اثبت بالتجربة العملية ان لا يمكن بناء الاشتراكية دون مقدمات موضوعية وذاتية ودونتطور نوعي وارتقاء في تطور القوى المنتجة بالتعاون مع المجموعات السسيولوجية والايكيولوجية وهي متدرجة وستأخذ اشكالا متعددة.

الكرد في سوريا من خلال وثائق عثمانية

(الجزء الأول)

شتيفان فينتر

ترجمة : حسان دهام ديركي

المدخل

كانت لسورية (بلاد الشام) أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ الشعب الكردي. على الرغم من أن قبائل كردية صغيرة استقرت منذ القديم في المناطق الجبلية الساحلية واندمجوا مع سكان المنطقة، إلا إن التاريخ الحقيقي للكرد يبدء بحسب المصادر العربية منذ هجرة (ربما المتحدثين باللهجة الكرمانجية) أشباه البدو من المناطق الشرقية لجبال طوروس في العصور الوسطى.

مع صعود الاقطاع العسكري في الشرق الأوسط وإعطاء الأراضي لبعض القبائل وقادة العسكر، استقرت ومنذ القرن 11-12 قبائل كردية في مناطق فيها حصون ذو أهمية استرتيجية مثل حصن الأكراد (قلعة الأكراد فيما بعد قلعة الحصن) والقصير في أعالي أنطاكية.

أقوى قائد عسكري في هذا العصر هو صلاح الدين الأيوبي (توفي 1193) الذي وحد كامل سورية واستطاع الانتصار على الصليبيين، وهو يتمتع بأهمية تاريخية عظيمة لدى الكرد والقوميين العرب. لم يتم حتى الآن البحث بشكل واسع في تاريخ القبائل الكردية. في تقارير البلاط العثماني والرحالة أمثال شرفخان البدليسي وأوليا جلبي لدينا معلومات غزيرة عن الإمارات الكردية في القرن 16-19 الميلادي والتي كانت تتمتع بنوع من الحكم الذاتي في أيالة دياربكر والمناطق المحيطة بها. بعكس ذلك يتم الحديث عن المجتمع الكردي في شمال سورية ابتداء من القرن 19 في كتابات المستشرقين الروس وموظفي الانتداب الفرنسي في القرن 20. بإمكان المرء الحصول على الكثير من الوثائق من الأرشيف العثماني بخصوص حلب والرقة وطرابلس والتي تلقي الضوء على الهيكل الإداري والمشاكل المتعلقة بالإدارة لدى القبائل الكردية في نهاية القرن 17 و18.

بعد فشل الحملة العثمانية ضد فيينا 1683م وما تبعها من فقدان لبعض المناطق في منطقة البلقان، تركزت سياسة الباب العالي بالدرجة الأولى على الأمن الداخلي والبناء الاقتصادي في المناطق الآسيوية للامبراطورية العثمانية، وترتكز هذه السياسة بشكل أساسي في مسألة الإسكان الداخلي للقبائل الكردية والتركية والمرتزقة من الجند، ولتحقيق ذلك اتبعت وسائل العنف والترحيل، إضافة إلى إيجار الأراضي بأسعار مناسبة وحوافز أخرى تدفع المرء للأستقرار. غزارة الوثائق الكتابية في الأرشيف العثماني ليس لها مثيل، وهي تزودنا بمعلومات عن مراقبة ومعاقبة القبائل من قبل الجهاز الإداري للسلطنة العثمانية، الأمر الذي يوفر لنا فرصة فريدة لمعرفة أمور كثيرة لم نكن نعلمها عن تاريخ الشعوب والاستعمار ضمن آسيا الغربية في بواكير العصر الحديث.

توجد ثلاثة مناطق في سورية الحديثة مجاورة للحدود التركية مفصولة عن بعضها البعض، تسكنها أغلبية كردية يتحدثون بلغتهم الأم. في هضبة عفرين (كرداغ) شمال غرب حلب،

ومنطقة عين العرب (نبع العرب) شمال الرقة والحزام الحدودي حول القامشلي مع امتداد جبل سنجار العراقي في شمال شرق الحسكة. يتم التعرف في الوثائق العثمانية على مجموعات بدوية كردية كثيرة كانت تتوزع على مناطق واسعة من سورية الداخلية خلال القرن 18، وكانوا يجمعون الضرائب باسم الدولة، إضافة إلى هؤلاء البدو وجد قسم من الكرد الذين استقروا حديثاً وبنوا القرى.

يهدف هذا البحث إلى سرد العلاقة بين تلك المجموعات الكردية والدولة العثمانية من الناحية التاريخية وذلك من خلال وثائق الأرشيف العثماني. في الجزء الأول من البحث تتم دراسة القبائل والإمارات الكردية التي سكنت المناطق الغربية من الساحل السوري في القرن 18 والذين اندمجوا مع مرور الوقت في المجتمع العربي أي أنهم استعربوا. في الجزء الثاني من البحث تتم دراسة هجرة قبيلة الملان والرشوان خلال القرن 18 من مناطق الأناضول إلى منطقة الجزيرة، ولو أن الوثائق الحالية تمكننا من إلقاء نظرة تقريبية على توزع القبائل في ذلك العصر، وهي تبين لنا تداخل المجتمع الكردي والعربي خلال بواكير العصر الحديث.

1.2 حمص وحماه

تعتبر الأراضي العليا غربي مدن سورية الداخلية حمص وحماه من أقدم المناطق التي سكنها الكرد. ذكرت سابقاً بناء حصن الأكراد 1031 للأغراض العسكرية، وهو يقع في منطقة أستراتيجية هامة بين حمص وموانئ طرطوس وطرابلس الساحلية، ومع بداية العصر العثماني سكن الكرد في المناطق المحيطة بالحصن.

يرد في السجل العقاري العثماني (طابو التحرير) من القرن 16 و17 ذكر المجموعة القبلية (جماعت) التي تعرف بالكرد الحسكية (HESEKîYE) والتي شكلت مجموعة منفصلة في ناحية حصن الأكراد، وكانت تقوم بجمع الضرائب وترسلها مباشرة إلى الصندوق الخاص للدولة العثمانية، كما كان الحال بالنسبة للبدو وأشباه البدو في سورية أيضاً، وكانت هذه الضرائب تمول المنح الدينية لعائلة السلطان. وقد تم تحصيل الضرائب من 48 عائلة وهي عبارة عن غنم وجاموس. لا يظهر أسم الحسكية في أية وثيقة بعد سنة 1645-1646 (تاريخ آخر سجل عقاري لمدينة حمص).

مع بداية مشروع السلطة العثمانية لإسكان القبائل بنهاية القرن 17 تظهر عشيرة الساضلو Saçlo الكردية في مدينة حماه، التي لجأوا إليها تجنباً لدفع الضرائب للعثمانيين، وكان للساضلو علاقة قرابة مع كرد كلس. أما قبيلة قيليضلؤ (loçQili)- والذين سيتم ذكرهم أثناء الحديث عن حي الأكراد بحلب- فقد كان لديهم شعبة في قضاء محافظة حمص، وقد تم رفع دعوى قضائية سنة 1695 ضد أحد قادتهم المحليين بتهمة سرقة الغنم من أحد التركمان المحليين. لا توجد في الوثائق أية معلومات أخرى بخصوص منطقة حصن الأكراد.

كانت قرية وادي الحضور (udhūrḤ) في سنة 1715 مركزاً يختبئ فيه الكرد خوفاً من قطاع الطرق (الأشقياء) الأتراك من الذين كانو قد تركوا قبائلهم وتجنبوا دفع الضرائب واعتادو على العيش على النهب والسلب. أما بالنسبة للكرد فقد كانت هناك نخبة منهم أعضاء في طبقة الضباط العسكريين، وقد كانت لهم اتصالات جيدة مع قبائل الأناضول وكذلك الجيش العثماني، الأمر الذي مكنهم من التحكم باستيراد الصوف والغنم من كامل المنطقة.

كان سليمان آغا- وهو شخص أصوله غير معروفة- يجمع الضرائب لسنوات طويلة من سكان حصن الأكراد وقراهم، ومول في بعض الأحيان الأستئجار لأمراء حمادة -amāda EmireḤ في لبنان. استناداً إلى ملفات القضاء

نعلم بأن البرازي كانت أهم عائلة أغوات كردية، حيث امتلكوا مساحات واسعة من الأراضي العقارية ضمن مدينة حماه في القرن 19. اندمجت هذه العشيرة مع مرور الوقت بالمحيط العربي (أي أنهم استعربوا) وقد وصل البعض منهم إلى مناصب عليا في الجمهورية السورية.

2.2 إمارة الجبل الكردية في طرابلس

استقر الكرد بشكل أساسي في سورية كما هو الحال في كردستان في المناطق الجبلية العالية، بحيث يستيطعون بدون عوائق تربية الماشية وكذلك ممارسة تقاليدهم.

تعتبر الجبال الساحلية الوعرة في لبنان -والتي يمكن للمرء أن يصل إليها بصعوبة- ذو أهمية كبيرة بالنسبة للتاريخ الكردي، حيث استقرت هناك مجموعات قومية ودينية تمتعت بحكم شبه ذاتي واستطاعت الاحتفاظ بتقاليدها بشكل أفضل. كانت عائلة جان بولات (Can polat) وعائلة معن من أهم تلك العائلات الكردية الأميرية والذين تحولوا بعد انتقالهم إلى جنوب لبنان إلى المذهب الدرزي وهيمنوا لسنوات طويلة على سياسة القبائل وتحكموا بالضرائب. كذلك عائلة شعب وهي غير معروفة كثيراً فهي تنتمي إلى الطائفة الأثنا عشرية الشيعية في جنوب لبنان. كانت هذه العائلة تتمتع بحق جباية الضرائب في منطقة جبل عامل ولكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلاً أمام إمارة شهاب (1788-1840) القوية .يرد اسم هذه الإمارات بكثرة في الوثائق العثمانية المتعلقة بأمور التمويل، ولكن نظراً لاندماج هذه الإمارت السريع في المجتمع الأقطاعي اللبناني لا يمكننا معاملتها كجزء من التاريخ الخاص بالكرد. أما بالنسبة للعائلات الكردية في سنجق طرابلس فقد كانوا ومازالوا حتى القرن 18 محتفظين بهويتهم القومية، وأهم إماراتهم كانت الكورة في رأس نحاش وأحفادهم هم الأيوبيون الحاليون في شمال لبنان. في ملفات قضاء طرابلس من النصف الثاني للقرن 17 يتم ذكر إمارة الكورة ومجموعات كردية أخرى منهم عائلة حمادة التي كانت تحت حكم إمارة الكورة وكانت هناك علاقات زواج بين العائلتين. كانت عائلة حمادة تنتمي إلى الطائفة الأثنا عشرية ووقع على عاتقهم جباية الضرائب. عاشت إمارة الكورة مرحلة الانتعاش في منتصف القرن 18.

في سنة 1740 حصل الأمير علي ابن حسن الكردي (حفيد الأمير أحمد ابن موسى الكردي) مع شريك مسيحي على ضرائب الإيجار في عكار وعنفة. خلال العقد اللاحق هيمن فرع موسى وفرع حسن من العائلة الأميرية على الإيجار بشكل فردي أو معاً في محيط الكورة وعنفة والزاوية في جبال أعالي طرابلس.

كان على الأمراء الكرد كباقي الأمراء المحليين أن يبعثوا بأحد أعضاء العائلة كأسير إلى قلعة طرابلس إلى أن يتم استلام الضرائب. في سنة 1745 تمكن قاسم (على الأغلب ابن حسن الكردي) عن طريق الرشاوى من تجنب ذلك الاحتجاز. تمتع أخوه عمر بالحصول على الإيجارات من الكورة وعنفة حتى سنة 1764 بعد ذلك فقدت العائلة هذا الحق. لم يأخذ الإقطاع الكردي في لبنان حقه الكافي من البحث وهو أمر ينطبق على هذا البحث أيضاً نظراً لقلة الوثائق.

بالنسبة لجماعات أخرى والتي ربما أصولها كردية، مثل عائلة سيفا الأميرية من عكار، الذين حكموا كامل أيالة طرابلس اعتباراً من سنة 1579، يتم ذكرهذه العائلة في المصادر على أنهم أكراد ولكنهم كانوا من ضمن الاتحاد القبلي التركماني (ذوالقادر).

أما شعير الذين ربما هاجرو من شمال سورية، فينتمون إلى الطائفة الأثنا عشرية وكانت لهم في القرن 17 علاقات حميمة مع كرد الكورة وسيفا. تقدم لنا عائلة المرعبي

حالة جديرة بالأهتمام، حيث بسطت هذه العائلة سيطرتها حتى القرن 20 على منطقة عكار في أقصى شمال لبنان. في دراسة تفصيلية عن تاريخ عكار أظهر الباحث فاروق هبلوس أن هذه العائلة كانت تجبي الضرائب للعثمانيين، وقد هاجرت من حلب إلى طرابلس سنة 1715، ويرى الباحث بأن هذه العائلة ربما كانت ذات أصول عربية. ولكن هذا التقدير عائد إلى خطأ في ترجمة وثيقة من اللغة التركية (من طرابلس)، وحسب الوثيقة فأن وزيراً عثمانياً (وليس شديد الناصر المرعبي) هو الذي بات لعدة أيام (في سنة 1714) في حصن الأكراد أثناء ذهابه من حلب إلى صيدا، في ذلك الوقت امتلك شديد وأقربائه تحصيل الضرائب من عكار وحصن وصافيتا وأسرع شديد في الانتقال إلى جانب الوزير العثماني عندما حاول الحصول على منصب الحاكم في طرابلس ووضع المنطقة لسنوات عدة في حالة من الاضطرابات.

تمتعت عائلة المرعبي بدعم السلطات: في سنة 1741 يظهر شديد وأولاده سلهب وإسماعيل ضمن قائمة من 38 ثائراً أغلبهم تركمان كانوا قد انطلقوا قبل سنة من وادي الحضور وهاجموا منطقة صافيتا وأرهبوا سكانها (هذا الأمر ربما يوضح السبب الذي تم بموجبه نقل حق تحصيل ضرائب الإيجار في هذه السنة إلى أمراء الكورة: انظر في الأعلى). الأمر غير المعروف بالنسبة لنا هو فيما إذا كانت الدولة العثمانية تعتبر المرعبي إمارة كردية كما كان الحال بالنسبة لإمارة الكورة، ولكن الأمر المؤكد هو أن وجهاء عكار مازالو يفتخرون بأصولهم الكردية وكانوا حتى الأربعينيات على الأقل يتميزون بلهجتهم الخاصة وبلباسهم الكردي.

3.2 اللاذقية وجبال العلويين

كانت كامل المنطقة الغربية من الساحل السوري في القرن 18 موطن مجموعة قبائل كردية صغيرة التي لم يعد لها اليوم تقريباً أي أثر. في هذا الفصل سيتم الحديث عن عشيرة رشوان، ويجب أن أذكر هنا بأن أجزاء من اتحاد قبيلة ليكوان (Lekwan) هاجرت من مناطق الأناضول إلى طرابلس عندما أنهوا عقود الإيجار الأقليمية سنة 1749[25]. كان اتحاد قبيلة ليكوان يسكن في أضنة وكانوا معروفين بالسرقة والنهب ومرتبطين بتحالف مع عشيرتي يني إيل وأفشار التركمانيتين وقد أجبرتهم السلطنة العثمانية على السكن في مدينة الرقة، وقد اندمج هؤلاء أيضاً كأغلب القبائل الكردية في منطقة الساحل السوري في المجتمعات المحلية. نحن نعلم الآن وبالاستناد إلى وثيقة قضائية تعود إلى سنة1761 بأنه كان لدى قبائل عربية رعاة أغنام كرد، حيث مارسوا معهم البداوة بين عكار في لبنان وصافيتا جنوب جبال العلويين.

تاريخياً كانت منطقة الجبال الساحلية الشمالية حول اللاذقية مركز استيطان كردي مهم. يوثق السجل العقاري للضرائب من القرن 16 بناء مسجد (مسجد الأكراد) في جبلة من دخل محصول خاص يعود ربما إلى طبقة من الأكراد المتحضرين والذين ربما كانوا يمتلكون أراض زراعية منذ عصر المماليك الشركس في سورية 1382-1516. كان يطلق حتى القرن 20 أسم جبل الأكراد على المناطق المرتفعة خلف جبلة واللاذقية، وما تزال المناطق المحلية تحتفظ إلى أيامنا هذه بأسمائها الكردية: دوير الأكراد، مزارة الأكراد، بيت الكردي وإلى آخره. كانت بيت ياشوث وقرى علوية أخرى تعود ملكيتها و لفترة طويلة لآغا عائلة كنج (طنج). كان حصن صهيون في سنجق جبلة حسب المصادر العثمانية – والذي كان يعود بالأصل إلى الفرسان الصليبيين- مسكوناً من قبل قبيلة ساجلو (ساضلؤ Saçlo) الكردية في القرن 18، وكانوا يدفعون الضرائب للجوامع وإلى إمارة كوربرولو (Körprülü) محمد باشا في جسر الشغور، أما القبائل الأخرى فكانت تدفع الضرائب لخزينة الدولة في حماه. في وثائق

اخرى يتم اعتبار أكراد حصن صهيون جزءاً من عشائر الملية (ملان)، وقد عرف عن هؤلاء بأنهم عاشوا على جني الضرائب والنهب والهجوم على مناطق جسر الشغور.

يقع جسر الشغور على نهر العاصي وقد تمتع الجسر بأهمية استرتيجية إضافة إلى منشآت أخرى كانت لها أهمية كبرى بالنسبة للذاهبين إلى الحج وكذلك الأمر بالنسبة للتجار، لذلك كان محل طمع الحكام المحليين في المنطقة الجبلية المحيطة بها. في سنة 1698 هاجمت عشيرة الشيخان الكردية وبمساعدة ألف فارس من العلويين جابي ضرائب من اللاذقية كان يتاجر أيضاً بالتبغ، عندما كان هذا في زيارة إلى أملاكه العقارية بين مدينتي جبلة وجسر الشغور، ولكن رجاله تمكنوا من حمايته.

كان حسن آغا ابن رستم (جابي الضرائب) من أهم الأمراء العثمانيين في شمال سورية في ذلك الوقت وكان كردي الأصل، امتدت منطقة نفوذه بعض الأحيان من هضبة القصير أعالي أنطاكية وكامل منطقة جبل الأكراد إلى قلعة المرقب قرب بانياس على الساحل السوري. بنى حسن آغا مسجداً من أمواله الخاصة في جسر الشغور سنة 1721 وأشرف مع أولاده لعدة أجيال على المنح المالية الغنية لإمارة كوربرولو (Körprülü). قاد عمر وحسن سنة 1730 عشيرة موسان في ثورة قصيرة الأمد ضد العثمانيين، وذلك لأن موظفي الدولة كانوا قد اعدموا أخاهم رستم ابن حسن الكردي قبل ذلك بعدة سنوات (وذلك بسبب امتناعه عن دفع الضرائب) وأحتلوا قلعة العائلة في منطقة سلمى (ناحية بهلولية) ودمروها، لكن عائلة رستم آغا تمكنت من استعادة دورها المؤثر في المنطقة وتحكمت حتى القرن 19 بتجارة التبغ في المنطقة المحيطة بجسر الشغور وجبلة واللاذقية. تقع القرى التي كانت تخص رستم آغا في ايامنا هذه على جانبي الحدود السورية التركية في القصير، و كان سكان بعض تلك القرى مثل قرية باداما يتحدثون غالباً باللغة الكردية حتى سنة 1850.

شمال سورية وأقليم الرقة

كانت الأراضي العليا على طول الحدود الشمالية السورية التركية -والتي تشكل منطقة انتقال من الصحراء العربية إلى منطقة جبال طوروس- وما زالت حتى اليوم ذات كثافة سكانية كردية. وهناك جدل حول تاريخ الاستيطان في هذه المنطقة وهذا الأمر يعود إلى الاضطرابات والهجرات خلال الحرب العالمية الأولى. وفي مقابل ذلك تشير مشاريع التوطين العثمانية العائدة إلى القرن 18 إلى تبدل سكاني شمل الكرد والعرب والترك قبل ظهور عصر القوميات الحديثة. الأمر الجدير بالملاحظة هو عدم دراسة الوثائق الغزيرة والمتعلقة بالتجمعات الكردية حتى الآن من قبل المؤرخين. بغض النظر عن مصطلح أكراد الذي يرد في الوثائق العثمانية والذي يشك في أنه يشير إلى الكرد بالمعنى القومي وأنما يشير على الأغلب إلى القبائل البدوية (التركمانية) بالمغزى الأجتماعي فان الأمر الجدير بالملاحظة هو تقريباً عدم ذكر القبائل العثمانية الموجودة اليوم في المنطقة.

في هذا الفصل سيتم إلقاء نظرة على الوجود الكردي في ظل الإدارة العثمانية في منطقة شمال سورية، والذي يجب أن يأخذ حيزاً أكبر في المستقبل، وذلك من وجهة نظر جغرافية وتاريخية ومنهجية.

1.3 حي الأكراد في حلب

كان منطقة جبل الأكراد /كرداغ yayê kurmêncÇ (عفرين الحالية) شمال غرب حلب في الأمبراطورية العثمانية تتمتع بإدارة ذاتية كما كان الحال بالنسبة لكردستان الشرقية. و حسب الزمن والسياق الإداري يظهر بأن هذه المنطقة كانت لواءاً (سنجق) كرديا مستقلا، مركزا إداريا عشائريا أو مركزاً لجامعي ضرائب كبار. يتم ذكر الأقليم العسكري كلس في التسجيلات القديمة

بخصوص التمويل وكانت كلس تخضع حسب نظام السناجق الكلاسيكي لسيادة حلب وتسمى رسمياً بأقليم الأكراد، وكانت بالنسبة للعثمانيين مصدراً لتزويدهم بالعساكر من القبائل المحلية، في حملات تجنيد تصل إلى ألف رجل.

كانت عائلة جان-بولات التي تم ذكرها سابقاً تحكم كلس لعدة أجيال قبل أن يصبح علي جانبولات حاكماً لحلب، لكنه قام في سنة 1607 بثورة ضد الدولة العثمانية انتهت بهروبه إلى لبنان احتفظ لواء (سنجق) كلس بأهميته كمصدر منتظم لتزويد الدولة بالعساكر حتى أواخر القرن 18 ، ولكن مالكيه الكرد لم يمولوا العساكر مالياً في أوقات الحرب، وأنما كانوا يرسلون مبلغا محددا إلى صندوق الدولة.

تم تمثيل أكراد كلس لدى السلطات العثمانية كما باقي الاتحادات القبلية من قبل قائد محلي. كان هذا القائد مسؤولا بشكل خاص عن الضرائب ومراقبة استيطان القبائل الكردية في المنطقة بعد انتهاء حرب سنة 1683-1699. في سنة 1739 سعى إسماعيل وهو قائد من كلس إلى الحصول على مساعدة حاكم حلب، لأن عدة عشائر من قبيلة جوم الكردية غربي عفرين كانوا قد هاجرو إلى المدينة وامتنعوا عن دفع الضرائب الملقاة على عاتقهم. سعى قائد كلس مرة اخرى الى تحصيل الديون القديمة من أعضاء من عشيرة موسى بكلي Mûsa Beglî المعروفة لأرسالها إلى حلب. في سنة 1761 حصل شيخ من عشيرة أوقجي عزالدينلو Oqcî Izzedînlo على منصب الحاكم في كلس وذلك بعد أن نصحه أحد الحكام بأن يكون مطيعاً في تحصيل الضرائب وأرسالها إلى الباب العالي.

لم تعد المنطقة تذكر كأقليم عسكري كردي في الوثائق العائدة إلى القرن 18 وإنما كمقاطعة كلس وشيخلو Şêxloê. و قد مولت ضرائب عشيرة أوقجي عزالدينلو- مثلها مثل العشائر الاخرى التي لا تحصى في المنطقة-مولت الوقف الديني لوالدة السلطان آتيك (وقف) والتي توفيت سنة 1583، وكان الوقف تحت إشراف استانبول. و لكون الأكراد المحليين عنيدين فقد أعطيت جباية ضرائب كلس- والتي كانت غالباً امتيازا مدى الحياة- لحاكم الرقة الذي لعب دور رائداً في سياسة توطين القبائل في القرن 18. بما أن المسؤولية المالية كانت تقع على عاتق حاكم الرقة فأنه كان يقوم بحملات تأديبية ضد أكراد كلس وطرد القبائل المقاومة إلى صحراء الجزيرة.

يتم ذكر قبيلة شيخلو Şêxlo الكردية في وثائق كثيرة، وكما كانت الحال بالنسبة لقبيلة جوم أيضاً، ليس واضحاً دائماً فيما إذا كان المقصود هنا اسم العشيرة أو اسم الموقع الجغرافي (موقع بالقرب من كلس) . ولا يظهر في الوثائق أية تأكيدات فيما اذا كانت عشيرة ما هي فرع من قبيلة محددة ام لا. على سبيل المثال تظهر في بعض الوثائق أميكي îkîEm الكردية بالقرب من بحيرة آموك على الحافة الغربية من كرداغ كعشيرة منفصلة وفي وثائق اخرى كمظلة لدوشيرلو وبكداشلو وأصبحت أميكي معروفة في منتصف القرن 18، وذلك نتيجة لأعمال الغزو والسلب التي كانت تمارسها على الطرق والقرى المحيطة بأنطاكية (كانت أيضاً سنجقا تابعا لحلب).

سيطرت بكداشلو بشكل خاص على المنطقة المحيطة بقره مورت وهي محطة قوافل على الطريق الشمالية من أنطاكية إلى مضيق بيلان، و في سنة 1754 تم ارسال حملة جديدة من قبل الباب العالي بقيادة حاكم كردي من أضنة (رشوان زادة سليمان) إلى قره مورت لتأديب القبائل التي تقوم بأعمال السلب في المنطقة بعد أن كان قد سبق وقام بحملة كبيرة فاشلة ضدها. كانت قبيلة سركتانلو Serektanlo كذلك الأمر ذات سمعة سيئة، حيث قامت في سنة 1743على سبيل المثال بعرقلة نقل أدوات حربية إلى بيرجيك، وفي سنة 1756 قام 200 رجل منهم بمهاجمة قافلة تجارية ونهبها أثناء سيرها من الأناضول باتجاه حلب.

الجدير بالذكر هو أن مجموعات من القبائل التي يتم ذكرها هنا ترد اسمائها في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية أيضاً. ففي سنة 1743هاجمت مجموعة كردية تجاراً فرنسيين على الطريق إلى أسكندرون وتم كذلك إزعاج التجار الفرنسيين في المدينة واستغلالهم.

كانت قبيلة قليجلو QiliÇlo تسكن في كلس حتى نهاية القرن 19 وهي قبيلة شبه بدوية ومكلفة بتحصيل الضرائب من منطقة جوم القريبة من عفرين وكان لهذه القبيلة فرع في حمص، وكلاهما كانتا تشكلان فرعاً من قبيلة قليجلوا الكبيرة المستقرة في الأناضول، وتم أرسالها خلال القرن 19 من مرعش وسيواس كاستمرار لعمليات الاستيطان في الرقة. تتم المساواة تقريباً في كل هذه الوثائق بين الأكراد السوريين وغيرهم من الأكراد مع قطاع الطرق (الأشقياء).

يجب أن يتسائل المرء فيما إذا كان هذا الموقف من الجانب العثماني يشير في حقيقة الأمر إلى موقف ثابت وعدائي اتجاه المجموعات الكردية، أو أن الأمر يشير بالأحرى إلى تقييم ذاتي جديد من قبل القبائل الريفية كمشكلة إدارية خاصة.

تميزت سياسة الاصلاح للحكومة العثمانية في القرن 18 بمراقبتها الشديدة ومطاردتها ليس للقبائل الكردية فقط وإنما لكامل القبائل التركمانية والعربية أيضاً، وكان التوطين (إلاسكان) الدائم للقبائل، وكذلك الذين خدموا سابقاً في الجيش، في المناطق القاحلة مثل حران والرقة من ضمن مخططات الاصلاح ، وكان الغرض من ذلك هو حماية العمال والفلاحين وكذلك لأهداف أقتصادية، بحيث يوسع هؤلاء من مساحة الأراضي الزراعية. سأعطي هنا آخر مثال، حيث يرد ذكر عشيرة أوقجي عزالدينلو Oqcî Izzedînlo الكردية في مصنفات الديوان في حلب وأنطاكية، ويتم وصفها بأنها من أكثر العشائر سوءاً وأنها تقوم بأعمال السلب في المنطقة. ربما كانت عزالدينلو أكبر عشائر تجمع كلس، ويرد بعض الأحيان في الوثائق بأن عزالدينلو كانوا يشكلون أساسا لتحالف قبلي ضم سركتانلو وعشائر أخرى صغيرة. يرد في الوثائق كثيراً بأن عشيرة أوقجي عزالدينلو قد عوقبت من قبل السلطات وتم ترحيلها إلى الرقة ولكنها كانت تعود وبدون تردد إلى المناطق الرعوية المحيطة بحلب. في سنة 1735 حاول البعض منهم الهرب وذلك عندما تم نقلهم من قبل حاكم حلب، وفي سنة 1756 أمتدت حملات نهب عشيرة عزالدينلو من سهول عميق Amīq بالقرب من حلب حتى إلى الأقاليم المجاورة لأضنة ومرعش. لم تستطع السلطات العثمانية أساساً أن تقوم بمطاردة أوقجي عزالدينلو بشكل دائم، وفي آذار 1757 (بداية حساب السنة الجديدة) تم استدعاء قادة عشيرة أوقجي عزالدينلو وعشائر أخرى في جبال كلس ليمثلوا أمام الباب العالي وطلب منهم جمع ضرائب أربع سنوات سابقة وأن لا يسجلوا أعضاء العشيرة الذين ارتكبوا جرائم السرقة. بعد ذلك بعدة سنوات كما ذكرنا سابقاً كان أحد قادة أوقجي عزالدينلو وزعيم كامل تجمع كلس يلعب دور الوسيط بين الدولة وأهم المجموعات الريفية الهامشية.

2.3 قبيلة الملي/ملان

توجد فقط مجموعات قبلية قليلة تظهر ارتباطاً وثيقاً مع التاريخ السوري كما هي الحال بالنسبة لقبيلة الملان. تكونت هذه القبيلة أساساً من عشائر كردية وعربية من منطقة ويران شهر، وهيمنت ابتداء من القرن 18 على شمال سورية بالكامل. عين الباب العالي بعض الأحيان قائدهم تيمور مللي حاكماً على مدينة الرقة ولكنهم لم يتمكنوا من ايقاف حملاته الدائمة على أورفا وقرى المنطقة. عندما احتل والي مصر ابراهيم باشا سورية وقفت قبيلة الملان إلى جانب المصريين (1832 معركة قرب حمص). وفي النصف الثاني من القرن 19 استطاع الملان ثانية تحت قيادة إبراهيم باشا حفيد تيمور-الذي عهد إليه السلطان أمر

قيادة فوج من الفرسان الحميدية- استطاع فرض سيطرته على كامل العشائر في المنطقة ومن بينهم عشيرة شمر العربية. بعد الحرب العالمية الأولى وقفت قبيلة الملان إلى جانب قوات الانتداب الفرنسي ضد الكماليين ولكنهم ضربوا من قبل هؤلاء، ومع مرور الوقت وبعد رسم الحدود بين سورية وتركية (1921) استقر القسم الأكبر من الملان على الجانب السوري من الحدود وبشكل خاص حوالي رأس العين وفي الحسكة وأجزاء اخرى من الجزيرة.

أما بالنسبة لمدينة مدينة الرقة فمازال بعض وجهائها يدعون بأنهم من أصول ملية ولو أنهم حالياً من وجهاء قبائل عربية. في بحث ألفه عبد الحميد الحمد حول المجموعات السكانية المحلية، يؤكد الباحث الأصول القومية المتناقضة (ألف ملة) لقبيلة الملان، والتي تم تكوين اتحادها القبلي بداية في عام 1790 من قبل تيمور بك، لكن المؤلف تجاهل ذكر قبائل الملان قبل ذلك التاريخ بكثير، وذلك في المصادر العثمانية التي اعتبرتهم قبيلة كردية خالصة.

كانت عشائر الملان في القرن 16 ممثلين للسلطنة العثمانية في ماردين ويحتكرون ربح الضرائب، مع أن هذه المنطقة لم تكن على الاطلاق من ميراث القبائل الكردية في كردستان. ولم تكن عشائر الملان بمنأى عن مخطط الاسكان الذي اعتمدته السلطنة العثمانية، ففي سنة 1701 بدات محاولة اسكانهم في مناطقهم الأصلية حول دياربكر/آمد ومن ثم بدأت واعتباراً من 1711 بترحيلهم إلى أقليم الرقة، ولكن الملان وكما هو الحال بالنسبة لجميع البدو لم يبقوا هناك لفترة طويلة وعادو إلى حياة السلب، وكان يتم أرسالهم في السنوات التي تلت ذلك إلى مناطق الصحراء.

يجب أن لا يطمس خطاب الكتبة العثمانيين ضد الكرد الذين يمارسون أعمال السلب (أشقياء) حقيقة أن الملان كانوا واحدة من أبرز التجمعات السياسية في شرق الأمبراطورية العثمانية في القرن 18. كان الباب العالي يكلف عادة زعيم ملان الكبير/ milanê mezin (Millî-i Kebir) باسكان القبائل الملية. وبذلك تحمل زعيمهم كامل المسؤولية بالنسبة لعشائر قبيلة الملان في إطار مشروع استيطان الرقة، ولكن هذه الوساطة كانت مشوشة: على سبيل المثال يرد شكوى في أحد الفرمانات إلى حاكم ديار بكر والرقة في صيف 1750 من نقص الضرائب التي كان قد تم فرضها قبل سنة على الملان والمتحالفين معم من التركمان، وذلك عندما رفضت مجموعة من هؤلاء إطاعة أوامر المسؤول عن الاستيطان وانتقلوا إلى مناطق مختلفة من الأقاليم المجاورة. وفي نفس الفرمان يظهر بشكل واضح بأن قائد الملان بنفسه (وهو المسؤول عن الاسكان) قد انتقل برفقة 1000 خيمة إلى سيويرك Siverek في أقليم ديار بكر وحاصر هناك ولعدة أشهر السكان المحليين ومارس عليهم الظلم، ولم يكن باستطاعة حاكم دياربكر مواجهة الملان لهذا تمت محاكمته من قبل الباب العالي. وفي السنة التي تلت ذلك كلف الباب العالي والي ماردين والموصل وبغداد بوضع حد لتصرفات الملان، وذلك عندما قام هؤلاء وبمساعدة قبيلة قيس العربية بارهاب سكان مناطق أورفا وبهسني Behisni. الأمر الجدير بالأهتمام هو أن الباب العالي أرسل كتاباً إلى رئيس الملان، بشير ابن كلش عبدي وأخيه محمود جد تيمور مللي الذي سبق ذكره، وهددهم مباشرة بأقصى العقوبات، في حال لم يتبعوا إرادة السلطان ولم يتراجعوا عن أعمالهم السيئة ويعودوا بعوائلهم إلى مناطق الاستيطان. كانت العشائر الملية بالكامل بما فيها فرع كلش عبدي، تدين في الماضي بالديانة الإيزدية. يتم ذكر الإيزيديين واتباع الطوائف الدينية الأخرى من الكرد (على سبيل المثال العلويين) في الوثائق الإدارية بشكل متقطع، وعلى عكس ما يتم ادعاءه في الدراسات الحديثة فأن السلطات العثمانية لم تتبع سياسة مباشرة ضد أعضاء

الأقليات الدينية في ذلك الوقت*، ولكن يرد دائماً ذكر عصابات من قطاع الطرق في مرتفعات شمال العراق الذين تمت محاربتهم بشدة من قبل الإيزديين (احتلال ودمار برج تل اعفر في سنة 1740). ويرد في أماكن اخرى بأن الإيزديين استطاعوا التمتع بحماية السلطات العثمانية، على سبيل المثال كلف حاكم حلب في سنة 1724 قاضي كلس بحماية جماعة بدوية إيزيدية (Konar-Göçer) من مطالب نقدية مفرطة من قبل مالك عديم الرحمة.

في مرسوم من سنة 1756 وجه اللوم بشكل صريح إلى ملان كبير بسبب اتهامهم بالادلاء باعترافات كاذبة، ولكن في واقع الحال هو أن قيام الملان ومن جديد بخلق الاضطرابات وجلب الويلات في مناطق سويرك كان وراء توبيخ الباب العالي لهم ولكن الأمر المدهش هو دحض تلك الاتهامات من قبل حاكم الرقة، حيث قام بإخبار الباب العالي بوجود خلافات سابقة بين حاكم سيورك ومحمود باشا زعيم الملان. بينما قضى الملان شتاءهم سلمياً، ذهب حاكم سيورك إلى استانبول ليفتري عليهم وخوفاً من عقاب السلطات انسحبت عشائر الملان إلى عمق الصحراء السورية ليسلموا من المضايقات.

دامت لعبة القط والفأر بين الملان والأعداء المحليين وبينهم وبين السلطات العثمانية وسلطات الأقاليم لسنوات عدة. كمثال أخير يوضح لنا الوضع السياسي لاتحاد عشائر الملان في شمال سورية في ذلك الوقت نورد انه في شهر شباط من سنة 1758 أنذر الباب العالي كلاً من حاكمي مدينتي الرقة وبغداد بوبال فضيع لو لم ينسحب محمود والملان سريعاً من منطقة وادي الخابور قائلا انه يجب طردهم وابعادهم إلى الرقة. ويعود السبب وراء هذا الطلب حسب السلطنة هو تجرؤ محمود وذهابه بدون ابداء احترام إلى منطقة الخابور وقيامه بحجز مخزون الحبوب في قرية مجدل، ومن ثم بنائه لحصن في خربة (arbaḤ) وكذلك مباشرته العمل على بناء القرى الصغيرة والمزارع في المناطق المجاورة، ومخططه لحجز مياه الخابور ومن ثم حفر مجرى نهر جديد ليستملك كامل المنطقة لقبيلته. وقد استطاع رجال قبيلته نزع السلاح من أحد عشائر طي العربية واستولوا على ماشية قبيلة كيكان الكردية. لقد جاء في الامر انه يجب على الملان أن يعودوا إلى مناطق سكناهم، ويجب تدمير حصنهم في منطقة الخابور. من الواضح ان تصرف محمود بشكل مستقل هو الذي أثار حفيظة الدولة وليست مشاريعه. بعد أربعة أشهر من ذلك التاريخ وحصول حوادث جديدة تم جرد محمود من منصبه كمسؤول الاستيطان Iskan-Başi"" وتمت محاربته في قرشداغ Karaca Dağ حيث اضطر للهروب إلى دياربكر ومن هناك قاد لعدة سنوات الثورات ضد الباب العالي وهو أمر كلفه رأسه.

3.3 قبائل رشوان

في الختام سأعطي لمحة عن عشيرة رشوان الكردية والتي استقرت في كامل مناطق السلطنة العثمانية: ليس بإمكاننا واستناداً إلى الملفات الإدارية العائدة إلى القرن 18 تحديد أصولهم وترتيبهم الإداري، ولم تجر حتى الآن أية دراسة عنهم. يرى نجدت ساكوغلو Necdet Sakaoğlu بأن الرشوان لم يكن تجمعا سكانيا وإنما عبارة عن مصطلح يطلق على أعداد كبيرة من العشائر البدوية، والتي كانت تنتقل سنوياً بين شمال سورية والأناضول، أما السلطات العثمانية فقد تعاملت معهم كمجموعة مستقلة وفرقوا بشكل واضح بين البدو (erçög) والمستقرين (Yarlü) منهم، وتبدو الصورة واضحة إذا أجرينا مقارنة مع قبيلة بوز أولوس (Boz Ulus) التركمانية، حيث تعاملت السلطات مع هذه القبيلة كوحدة إدارية وضريبية. وجد شبيه لوضع هذه القبيلة حتى بداية القرن 16 في اتحاد قبلي كردي يسمى قرة اولوس ((Kara

Ulus ("الاتحاد الأسود") في جنوب شرق الأناضول، ولكن اسم هذه القبيلة لا يظهر في الوثائق المتأخرة. من المفيد ذكر أن رشوان- والذي يعني باللغة الكردية أسود- كانوا يشكلون في مناطق محلية متنوعة في القرن 18 بقايا اتحاد قبلي كردي، ويرد ذكرهم بشكل خاص في مناطق سيواس ومرعش وأضنة، وكان يحكم مرعش وأضنة وال من عشيرة رشوان زاده.

يبدو أن مركز قبيلة رشوان الرئيسي كان في حصن المنصور (آدي يآمان) في منطقة مرعش، ولو أنهم توزعوا في مناطق الأناضول المختلفة. هنا كان يوجد على الأقل جزء من مقاطعة تابعة لقبيلة رشوان، وقد خصصت إيرادها لجامع والدة السلطان في استانبول. وكان يمثل كل عشيرة أمام السلطنة العثمانية شخص ذو مكانة بارزة.

تخبرنا الوثائق العثمانية المتعلقة بالشكاوى المالية (شيكايت دفترلري)- والتي تعتبر من المصادر الغنية لدراسة التاريخ الاجتماعي والإداري للسلطنة العثمانية – كيف وجب على سبيل المثال في سنة 1690 على فرهاد أوغلي يوسف وهو من بدو الرشوان تحصيل الضرائب المتأخرة، والتي حاولت الحكومة المركزية تحصيلها بشروط أكثر عدلاً.

وقد شغلت المسائل الإدارية موظفي الدولة في أقاليم شمال سورية أيضاً، والتي قضى فيها الكثير من أشباه البدو من الرشوان فترة فصل الشتاء. تسببت على سبيل المثال مجموعة من الرشوان في سنة 1712 بخسائر كبيرة في منطقة حارم غرب حلب، حيث لم يتوقفوا عند المراعي الشتوية التي كانت مخصصة لمواشيهم وإنما تركوا أغنامهم تدخل بساتين أحدى القرى. وفي أحدى المرات كان على حاكم حلب جمع الضرائب المتأخرة منهم، أو، بناء على رغبة الرشوان، ترحيل الأعضاء المتمردين إلى قبرص.

استقرت بعض المجموعات من الرشوان لفترات طويلة في سورية، ويرد في الملفات القضائية من طرابلس بأن ثلاثة من قادتهم طلبوا في سنة 1712 الموافقة من السلطات باستيطان 600 عائلة منهم في منطقة عكار، وقد تم لهم ذلك بموجب شروط فرضت عليهم السكن في منطقة محددة وان يتقيدوا برعي مواشيهم في منطقة مخصصة لهم. إضافة إلى ذلك توجب عليهم دفع قليل من الفائدة للسلطات والمحافظة على الأمن والسلام في المنطقة. ولكن بعد ذلك بعدة سنوات الغيت الاتفاقية من قبل السلطات العثمانية، ويعود ذلك إلى شكوى من قبل محصل الضرائب الذي ادعى بأن هناك نقصا في المبلغ الذي توجب على الرشوان ارساله إلى طرابلس.

كانت أيالة الرقة أهم منطقة لهجرة الرشوان في القرن 18، حيث وجب عليهم كما كان الحال بالنسبة لقبائل الملان وقلجلو Qilçlo وعشائر كردية اخرى كثيرة وكذلك عشائر تركمانية، الخضوع للسياسة الحكومية بخصوص الاستيطان التي بدأت منذ العام1691، ولتحقيق ذلك قدمت الحكومة لهم التسهيلات المناسبة بخصوص الضرائب، وكانت تتم في بعض الأحيان معاقبة القبائل بإرسالها إلى الرقة.

لا نملك معلومات وافية بالنسبة لمدى تطبيق تلك السياسة ونتائجها، وهو أمر يحتاج إلى بحث مستفيض. الكثير من الرشوان وغيرهم من القبائل تركوا وبسرعة المنطقة المخصصة لسكناهم ليعودوا إلى الشمال. وقد كان لحاكم الرقة (مقره الوظيفي في أورفا) إلى حدما ما سلطات واسعة على القبائل خارج حدود أقليمه وكان يطلب منه مطاردة القبائل في المناطق الاخرى ومعاقبتها وإرجاعها إلى مناطقها المحددة. توجب عليه في سنة 1751 مهاجمة جماعة من قطاع الطرق من الرشوان في حصن المنصور، وكان سكان عنتاب وحصن قد اشتكوا قبل ذلك بعدة سنوات من معاون حاكم الرقة لدى الباب العالي بتهمة ابتزاز

الأموال وسرقة الأغنام. كانت عشيرة عمرانلو (Omranlo) الكردية وهي فرع صغير من قبيلة جيهان بكلو Cihanbeglo ضمن مخطط الاسكان، حيث عهد بمسألة انتقالهم من ملاطية إلى حاكم الرقة، بعد أن كان هؤلاء قد عبروا نهر الفرات في صيف وخريف 1764 ونهبوا القرى في منطقة سيفرة-أرغاني Sivre-Ergani. من غير الواضح هنا أيضاً الفترة التي قضتها القبيلة في الرقة، ولو أن الكثير من الكرد في مناطق الأناضول والذين ينتمون إلى عشائر كانت جزءا من الاتحاد القبلي لقبيلة رشوان و جيهانبكلو- يدعون بأن أصولهم سورية وهذا الامر ربما يعود إلى حقبة الاسكان في القرن 18.

تعتبر الوثائق التي تزودنا بمعلومات عن علاقات الرشوان مع الجهات المحلية الفاعلة في شمال سورية أمرا في غاية الأهمية بالنسبة لغايات البحث.

كما كان الحال بالنسبة للكرد، تمت قيادة القبائل البدوية العربية من قبل أمير صحراوي (öl BeğiÇ) معترف به رسمياً كان يتوجب على الحكومة دائماً حماية العشائر الصغيرة منه. اشتكى الرشوان في سنة 1694 من الأمير الصحراوي السابق حسين حمد العباس الذي هاجم مع المئات من أعضاء عشيرتي موالي وقيس وعرب آخرين قبيلة الرشوان في مقرهم الشتوي في السلمية وسرقو 200 ألف رأس من الماشية. حصل موظفوا السلطنة العثمانية في كامل سورية على أوامر توجب عليهم بموجبها السعي إلى أرجاع المواشي إلى الكرد.

كان الرشوان يتوقفون عادةً خلال ترحالهم في مناطق غير مأهولة بالسكان، ولكن في سنة 1736 وعندما كانت عشائر الرشوان تجوب المنطقة بين سلمية وكوك سو (Gök Su) في الشمال تسببت بأضرار بالغة بمحاصيل قرى شرق حلب وكان عليهم دفع تعويض لتلك القرى. بعد ذلك بسنتين هاجم الباب العالي ثانية أخو حمد العباس وذلك نصرة لقبيلة الرشوان التي تعرضت مناطقهم للاضطرابات وتم ابتزازهم مالياً بنتيجة صراع داخلي ضمن إمارة الصحراء. حصلت قبيلة رشوان على مرافقة عسكرية وصلت إلى الفرات واستطاعت من جديد الاتفاق مع جول بكي حول دفع الضرائب السنوية، وتعهد حكام حلب والرقة من جهتهم بمراقبة حمد العباس مراقبة شديدة.

كانت حماية قبيلة رشوان الكردية من الأهداف الأساسية لأمير الصحراء وتم رفع واجب دفع الضرائب عن الرشوان من قبل الباب العالي وذلك في سنة 1750 بعد أن عجزوا عن الدفع في السنة التي سبقتها.

المراجع والمصادر في نهاية الجزء الثاني من الدراسة في العدد القادم.

هەواڵنامەی کێبڕکێ